



جمهورية العراق

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

قسم اللغة العربية

المرجعية النقدية للدكتور محمود البستاني

_ قراءة في دراساته القرآنية _

رسالة مقدمة إلى مجلس كلية العلوم الإسلامية قسم اللغة العربية، وهي جزء من متطلبات نيل شهادة

الماجستير في لغة القرآن الكريم وآدابها، قسم اللغة العربية

تقدمت بها الطالبة:

ختام رحيم طلال

بإشراف

أ.د. علي محمد ياسين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا

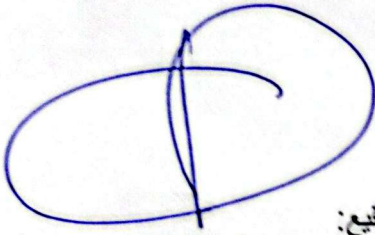
فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة المائدة، آية ١٠٥

ترشيح الرسالة للطبع

نظرا لإنجاز مباحث وفصول الرسالة الموسومة بـ (المرجعية النقدية للدكتور محمود البستاني -
قراءة في دراساته القرآنية -) لطالبة الماجستير (ختام رحيم طلال كاظم) فإني أرشحها للطبع .

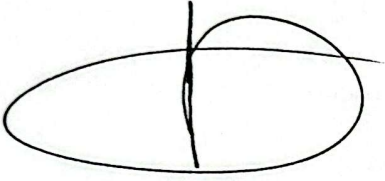


التوقيع:

المشرف: أ. د. علي محمد بن
مكان العمل: جامعة كربلاء / كلية العلوم / العراق
التاريخ: ٢٠١٥ / ٥ / ٢١

إقرار المشرف

أشهد أن الرسالة الموسومة بـ (المرجعية النقدية للدكتور محمود البستاني - قراءة في دراساته القرآنية -) التي قدمتها الطالبة (ختام رحيم طلال كاظم) قد تم إعدادها تحت إشرافي في جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية وهي من متطلبات نيل شهادة الماجستير في اللغة العربية / لغة القرآن وآدابها.



التوقيع:

المرتبة العلمية: أستاذ

الاسم: علي محمد ياسين

مكان العمل: 2 كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

التاريخ: ٢٨ / ٥ / ٢٠٢٠

بناء على توصية المشرف والمقوم العلمي أرشح هذه الرسالة:

رئيس القسم: 

التوقيع: ع / ح

الاسم: أ.م.د. صادق كامل

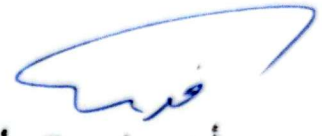
التاريخ: ٢٠ / ٧ / ٢٠٢٠

إقرار لجنة المناقشة

نشهد نحن رئيس لجنة المناقشة وأعضاؤها أننا اطلعنا على رسالة الماجستير الموسومة (المرجعية النقدية للدكتور محمود البستاني_ قراءة في دراساته القرآنية) وناقشنا الطالب/ة (ختام رحيم طلال) في محتواها وفيما له علاقة بها ونعتقد أنها جديرة بالقبول بتقدير (امتياز) لنيل شهادة الماجستير في لغة القرآن وآدابها.



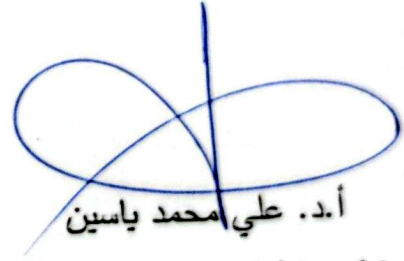
أ.د.م. أحمد راهي سعدون
جامعة كربلاء/كلية العلوم الاسلامية
عضوا



أ.د.م. فرح باقر أحمد
جامعة الكوفة / كلية الآداب
عضوا



أ.د. سعيد حميد كاظم
جامعة كربلاء/كلية العلوم الاسلامية
رئيسًا



أ.د. علي محمد ياسين
جامعة كربلاء/كلية العلوم الاسلامية
عضوا ومشرفا



التوقيع
الاسم: أ.د. محمد حسين عبود الطائي
العميد

التاريخ ١٦ / ٩ / ٢٠٢٠

نوقشت في جامعة كربلاء/كلية العلوم الاسلامية

الإهداء

إلى كلّ شهداء العراق (وأخصّ منهم بالذكر عمي)

شهداء العزّة والكرامة، شهداء الشرف والإباء

إلى والديّ براً وإحساناً، وثمرهً من ثمارِ غرسهما ...

إلى مشرفي وأستاذي الدكتور عليّ محمّد ياسين عرفاناً بالجميل...

ختام

شكر وعرّفان

كان من توفيق الله _عزّ وجلّ_ أن يحيط بالباحث أساتذة أفاضل، وإخوة كرام، غمروه بوافر الفضل والرعاية، ومن واجب الوفاء والعرّفان بعد أن أنهيت هذه الرسالة أن أتقدّم بجزيل شكري وعظيم تقديري لهم، لما أبدوه من مساعدة تمثّلت في توفير مصدر منهم الدكتور سامر عبد الكاظم تدريسي في جامعة بابل، والإعلامي أيمن أحمد في قناة العراقية الفضائية، لإرساله لي أعدادًا من مجلة الكلمة، كما أودّ أن أتقدم بالشكر الجزيل لمكتبة العتبة الحسينية المقدسة ؛ لتعاونهم معي خلال رحلة البحث في توفير المصادر .وأخيرًا: أشكر زملائي في هذه المرحلة الدراسية .

الباحثة

الخلاصة

بعد تتبع دراسات البستاني القرآنية، لغرض تحديد مرجعية البستانيّ النقديّة يطرح هذا البحث جملةً من الأسئلة يحاول الإجابة عنها: وهي ما مفهوم المرجعيّة النقديّة؟ وما هي تمثّلات المرجعيّة النقديّة للدكتور محمود البستانيّ؟ وماهي الأسس التي جعلت من البستاني ناقدًا؟ وهل كانت هذه المرجعيّة أحادية النمط أم مختلطة؟ ومعرفة فهمه على استعماله لمصطلحاته ومناهجه النقديّة؟ وهل مفاهيمه النقديّة طبّقت في دراساته القرآنيّة أم عدل عنها البستانيّ؟ ويمكن القول إنّ البستاني الذي جعل من النقد الأدبي منطلقًا له في بداية نشاطه الفكريّ استطاع أن يؤسّس لنفسه رؤيةً نقديّةً لا تنتكر للماضي، ولا تعزف عن الحاضر الذي واكبه عن طريق إجادته للغات أخرى، عبر اطلاعه على المناهج النقديّة الحديثة في مظانها الأصليّة؛ لكي تكون له مرجعية نقديّة توجهه الوجهة الصحيحة في دراساته التي غلب عليها اهتمام بالنصّ القرآنيّ ونصوص المعصومين (عليهم السلام).

وقد حاولت هذه الدراسة عرض ثلاثة فصول للإجابة عن التساؤلات المذكورة، وقد تناولت في فصلها الأول شيئاً من سيرة البستاني، وتكوينه الثقافيّ الذي مثّلت اطلاعاته وآراؤه، فضلاً عن إلقاء الضوء على منجزه المعرفيّ لوضع القارئ بإزاء هذا المنجز المتعدّد والخصب.

في حين عُنِيَ الفصل الثاني بالمفاهيم العامة التي اكتنفت خطاب البستانيّ النقديّ، بوصف هذه المفاهيم تشكّل جزءاً مهمّاً من تفكيره الذي شكّل مرجعيته النقديّة، ولأهمية هذه المفاهيم

في تحديد الأطر المعرفية التي شكّلت هذه المرجعية، حاولنا في الفصل الثالث الأخير الوقوف على أهم مظهراته التي تجلّت في دراساته القرآنية تحديداً عن طريق محورين أساسيين، انكب البستاني في أولهما على إيلاء العناية بالسياق الذي يكتنف النص، وما يؤثر في هذا الاهتمام من توجيه المرجعية لنقاط محدّدة تقع خارج النصوص غالباً.

في حين كان عناية الثاني منهما متمثلاً بالعناية بالنص ذاته، وما يترتب على هذه العناية من توجيه مرجعياتها المعرفية الخاصة نحو النصوص ذاتها لدراسة بنياتها الداخلية التي تشكّلها، وكما تظهرت في الدراسات التطبيقية عند البستاني حول نص القرآن الكريم تحديداً.

وقد ختمنا هذه الدراسة بأهم النتائج التي توصلت إليها بهذا الخصوص، وهي نتائج لم تشر إليها الدراسات التي جعلت من خطاب البستاني النقدي محوراً لها.

فهرس المحتويات

رقم الصفحة	العنوان
5.....1	المقدمة
47.....6	الفصل الأول: السيرة، المكوّن الثقافيّ، والمنجز المعرفيّ
13.....7	المبحث الأول: السيرة
2813	المبحث الثاني: المكون الثقافيّ
47..... 28	المبحث الثالث: المنجز المعرفيّ
101.....48	الفصل الثاني: في المفاهيم النقدية عند الدكتور محمود البستانيّ
50.....49	إضاءة في دلالة المفهوم
61.....51	المبحث الأول: مفهوما الأدب والفن، والأدب الإسلاميّ
66.....61	المبحث الثاني: مفهوما النصّ، والنص المعصوم
69.....66	المبحث الثالث: مفهوم الإعجاز القرآنيّ
77.....69	المبحث الرابع: مفهوما الشعر، والشعر الملتزم
89.....77	المبحث الخامس: مفهوم النقد، والنظرية النقدية
94.....89	المبحث السادس: مفهوما الشكل، والمضمون
98.....94	المبحث السابع: مفهوما التراث، والمعاصرة

101.....98	المبحث الثامن: مفهوم الحداثة
163102	الفصل الثالث: المرجعية النقدية وتمثلاتها في دراسات البستاني القرآنية
105.....103	إضاءة في مدلول المرجعية النقدية
132.....106	المبحث الأول: في المنهج والمصطلح
154.....132	المبحث الثاني: المرجعية السياقية وتمثلاتها
137.....132	أ- المرجعية التاريخية
142.....137	ب- المرجعية النفسية
147.....143	ت- المرجعية الاجتماعية
154147	ث- مرجعية القراءة والتلقي
163.....155	المبحث الثالث: المرجعية النصية وتمثلاتها
163.....155	أ- المرجعية البنيوية
169164	الخاتمة
182.....170	المصادر والمراجع
A.....B	الخلاصة باللغة الإنجليزية

المقدمة

مرّ النقد العربيّ الحديث في العراق بمراحل متنوّعة من التطورات التي طرأت على طبيعته المعرفية، وكان من أهم ما عرفه هذا النقد من تطور، نتيجة احتكاكه بالمؤثرات الأجنبية عن طريق رحلات التعليم المباشرة، أو عن طريق الترجمة من اللغات الأخرى كالإنجليزية والفرنسيّة إلى العربية.

ويُعدّ محمود البستاني واحدًا من النقاد العراقيين الذين تتلمذوا على الثقافة الغربيّة من خلال معرفته التامة للغة الإنجليزيّة، وقراءة نصوصها الأدبيّة والنقدية من دون الحاجة إلى الترجمة، وبسبب من ذلك تبدو دراسة نقدية هذا الرجل مكتسبة للأهمية من نواحٍ عديدة، منها: معرفته باللغات المختلفة، واعتزازه بثقافته الإسلاميّة بشكل واضح، مما أثر ذلك في عموم خطابه النقديّ، ممّا دعاني إلى دراسته بعد تشجيع أستاذي المشرف الذي هداني لهذا الموضوع لما له من أهميّة، ومن ارتكاز معرفيّ على قناعة بأهميّة ثقافتنا العربيّة الإسلاميّة الأصيلة، ولما قوبل به هذا الرجل من حيفٍ في الجامعات العراقيّة، فما كتب عنه حتى الآن من دراسات علميّة لا يقارن بحجم عطائه الفكريّ والنقديّ ومن هذه الدراسات القليلة نذكر ما يأتي:

أ-الدرس الأدبي عند محمود البستاني في النظرية والتطبيق، رسالة الماجستير للدكتور سامر عبد الكاظم قُدمت إلى مجلس كلية الآداب في جامعة القادسية، وجرت مناقشتها وإجازتها في الكلية المذكورة سنة ٢٠٠٩م

ب- الدكتور محمود البستاني، ومنهجه في تحليل النص القرآني، رسالة تقدم بها الدكتور هادي خلف رسن إلى مجلس كلية التربية في جامعة البصرة، وجرت مناقشتها وإجازتها في الكلية المذكورة سنة 2010م

ت- محمود البستاني بلاغيًا، أطروحة للدكتوراه كتبها أحمد بطل، مقدمة إلى مجلس كلية التربية في الجامعة المستنصرية، وجرت مناقشتها وإجازتها سنة 2012م

ث- المنهج البنائي في التفسير عند الدكتور محمود البستاني، رسالة ماجستير تقدم بها أحمد حنون إلى مجلس كلية الفقه في جامعة الكوفة في الشريعة والعلوم الإسلامية، وأجيزت من الكلية المذكورة سنة 2012م.

ويمكن القول بعد الاطلاع على جميع الدراسات الجامعية التي تناولت البستاني: إن دراستي هذه لا تعدّ امتدادًا لتلك الدراسات؛ لأنّ تلك الدراسات تناولت فكر البستاني من منظور التخصص (أدب، شريعة، الخ) من دون أن تضع في حسابها أثر المرجعية النقدية في صياغة خطابه النقدي عموماً ودراساته القرآنية خصوصاً، وهو ما جعل الدراسة تركز على أثر مرجعيته النقدية في دراساته القرآنية.

وقد اقتضت دراستي هذه أن أوزّعها على ثلاثة فصول بحيث في الفصل الأول سيرة البستاني التي أثّرت في شخصية البستاني المعرفية؛ إذ كان لها الدور الواضح في اتجاهه نحو دراسة النص القرآني ونصوص المعصومين (عليهم السلام)، فضلاً عن تكوينه الثقافي

المرتبط بالثقافة العربيّة انتماءً وأصالةً واعتزازاً، وبالثقافة الغربيّة تعلماً وثقافة اقتضتها ضرورات الحياة التي عاشها البستانيّ.

أمّا الفصل الثاني فارتكز على تحديد المفهوم النقديّ عند البستاني من خلال الحديث في تسعة مباحث حدّدت مفهومه للأدب والفن، والنص القرآنيّ والنص المعصوم، والشعر، والشعر الملتزم، وغيرها من المفاهيم النقديّة التي كان لها تماسٌ مباشرٌ في موقفه ورؤيته النقديّة التي لا يمكن بحال من الأحوال فصلها عن مفاهيمه العامة التي وجّهت خطابه النقديّ.

في حين اهتمّ الفصل الثالث في تحديد المرجعيّة النقديّة وتمثّلها عند البستاني، إذ تناولت في ثلاثة مباحث تحديد مدلول المرجعيّة والمنهج، والمصطلح الذي فضّله البستاني، ودرج على استعماله في خطابه النقديّ الشارح، فضلاً عن المرجعيّة النقديّة التي اكتنفت خطابه النقديّ ضمن دراساته عموماً، ودراساته القرآنيّة خصوصاً، وهي مرجعيّة ذات شقين: أولهما المرجعيّة السياقيّة، وثانيهما المرجعيّة النصيّة. في حين وظفت هذه الدراسة منهجاً يقوم على الوصف والتحليل تعتمد مبادئ نقد النقد، فهذه الدراسة تنتمي بشكلٍ أو بآخر إلى هذا الحقل المعرفي، وذلك لاعتمادها على موضوعات معيّنة في خطاب ناقد من النقاد المعاصرين الذين وظّفوا معارفهم لخدمة الخطابات الكبرى في حياة الأمة، كالقرآن والنصوص المعصومة، والأخلاق البشرية والالتزام بقضايا المصير العربيّ والإسلامي المشترك. وقد واجهت الباحثة مجموعة من الصعوبات والعراقيل في طريق البحث وكان أهمها:

قلّة المصادر حول تناول مفهوم المرجعيّة النقدية، لكون موضوع البحث في تحديد المرجعية النقدية موضوع حديث عند الدارسين، وعدم نشر بعض مؤلفات البستاني إلكترونيًا إذ اضطررنا إلى البحث عنها في المكتبات الورقية ولم نحصل إلا على بعضها، لذلك اتّجهتُ إلى التواصل مع الباحثين الذين تناولوا بالدراسة الدكتور محمود البستاني للحصول على بعض مؤلفاته المفقودة، فضلًا عن عامل الوقت؛ وذلك لأنّ البحث المعرفي في نقد النقد وما جاوره من معارف يحتاج قراءة واسعة وتأن كبير قد لا يكفي معه عام واحد.

وفي النهاية تتقدّم الباحثة بالشكر والتقدير إلى الأستاذ المشرف والأب (أ.د. علي محمد ياسين) لما له من دور في تركيز الباحثة على البستاني وحده، من دون التطرق إلى آراء نقاد ليس لهم صلة بأفكار البستاني، ولدوره في إفساح المجال للباحثة لغرض كتابة الرسالة بكلّ حرية وتشجيع مداره الثقة بطلبته كما عوّدنا على ذلك، وكما تتقدّم الباحثة بالشكر الجزيل لكلّ من مد لها يد العون لإتمام هذه الرسالة ومنهم السادة الخبراء العلميين، والسادة أعضاء لجنة المناقشة الكرام، لما بذلوه من وقت وجهد رصين في قراءة هذا العمل ومحاولة إكمال نواقصه. والله ولي التوفيق .

الباحثة

الفصل الأول

محمود البستاني: السيرة، المكون الثقافي، والمنجز المعرفي

المبحث الأول: السيرة

المبحث الثاني: المكون الثقافي

المبحث الثالث: المنجز المعرفي

المبحث الأول/السيرة

في عام 1937م ولد الدكتور محمود بن عبد الحسين البستاني في النجف الأشرف فنشأ وتربى في كنف أسرة دينية عراقية لها مكانتها الاجتماعية المتميزة، إذ اتّسمت بسمات التقوى والصلاح ، حيث كانت لها علاقات وثيقة مع شخصيات دينية وأدبية بارزة حتى أن مجلس والده الحاج (عبد الحسين البستاني) الأسبوعي كان يزخر بالوجوه العلمية الوافدة اليه وقد كان لتلك الشخصيات أثرها في تكوين شخصية الدكتور محمود البستاني، لاسيما في قناعاته وميوله ومزاجه، أمّا والدته فقد انحدرت من أسرة هاشمية علوية تعرف ب(آل السراي)، وهؤلاء ممن أسهموا في ميدان النشاط الفقهي والشرعي في محافل الفقه الامامي بالنجف الأشرف، وقد أفاد الصبي محمود البستاني من أسرته شيئاً بالغ الأهمية، لاسيما في تعديل سلوكه وشحن ثقته بنفسه، إذ في رعاية تلك الأسرة المحافظة الأصلية عاش البستاني حياة عادية وهادئة، وفي مدينته التي تشكّل مركزاً ثقافياً مهماً من مراكز الإشعاع الفكري الضخمة في العالم الإسلامي قاطبة ، فلقد كتب عن النجف الأشرف وعن أبعاد مؤسساتها الدينية ما هو أعمق دلالة وأشمل مضموناً حتى بلغ رصيدها التقييمي الكثير من المؤلفات والكلمات (1)

(1) ينظر: الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، إضاءات نقدية في ضوء إسلامة العلوم الإنسانية، محمد الساعدي، مطبعة أمير، ط، ١، ٢٠٠٠م، ص ٢١، ٢٢

التحق الدكتور محمود البستاني بالمدارس الرسمية (مدارس منتدى النشر) حتى تخرّج عن

كلية الفقه في النجف الأشرف⁽¹⁾

بعد ذلك قرّر أن يصبّ وجهته العلميّة إلى إحدى أفضل الجامعات العربيّة والعالميّة وهي

جامعة القاهرة، حيث واصل دراسته الجامعية في كلية دار العلوم، قسم البلاغة والنقد والأدب

المقارن وحصل فيها على الماجستير في دراسته المكتوبة عن النقد الأدبيّ في العراق في

القرن العشرين، وذلك سنة ١٩٦٩م ونال أيضاً درجة الشرف الأولى في الدكتوراه في دراسته

المناهج النقدية في نقد المعاصرين سنة ١٩٧٣م، بعد أن أشرف على أطروحته الدكتور

(بدوي طبانة)* رئيس قسم البلاغة والنقد والأدب المقارن آنذاك، والواقع أنّ اختياره للنقد

الأدبيّ وقد درسه في جامعة القاهرة؛ بسبب كونه من الفروع المعرفية الحديثة في ذلك

الوقت والإنسان عندما يريد أن يوصل أفكاره إلى الآخرين عليه أن يتوسل بلغة العصر،

وثقافته، لأن النقد الصحيح يتناول الجانب الفني للنص فهو يعارض النقد القديم* بوصفه

نقدًا جزئيًا وبسيطًا، بعكس النقد الأدبي الحديث الذي يتوكأ على ثقافة العصر، هذا من

(1) ينظر: موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين: حميد المطبعي ، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية

بغداد، ط١، ج٢، ١٩٩٦م، ص ٢١٤

*الدكتور بدوي طبانة، ولد في مصر وحصل على درجة الليسانس في اللغة العربية وآدابها والدراسات الإسلامية من

جامعة القاهرة ، ثم حصل على درجة الماجستير في النقد الأدبي والبلاغة بتقدير (ممتاز) ثم مرتبة الشرف الأولى في

الدكتوراه في الجامعة نفسها عمل مدرساً بعد تخرجه في دار العلوم بوزارة المعارف الإسلامية ، تولى الكثير من

المناصب منها رئاسة قسم البلاغة والنقد في دار العلوم وأشرف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه منها

رسالة الماجستير وأطروحة الدكتوراه للدكتور محمود البستاني

*النقد القديم :هو النقد الجاهليّ الذي يعتمد على الأنطباعات الشخصية دون التعليل للأحكام النقدية ،للاستزادة ينظر

مثلا كتاب تاريخ النقد الأدبي عند العرب لاحسان عباس

جانب ومن جانب آخر تقترب عملية النقد بضروب متنوعة من المعرفة الإنسانية، كعلم النفس والاجتماع والاقتصاد والسياسة إلخ، لذلك فالبستاني لم يقص البعد الغائي الديني والأخلاقي* في عملية النقد بوصف الدين بعداً معرفياً ضمن الأبعاد المذكورة.(1)

والجدير بالذكر أن البعد الديني والأخلاقي يشكلان عند البستاني محوراً أساسياً في فهمه للنصوص الأدبية والقرآنية، فهو يرى أن الأدب والفن لا يكتملان إلا إذا ارتبطا بالقيم الدينية والأخلاقية.

ثم بعد ذلك رجَعَ إلى النجف الأشرف (مسقط رأسه)، وعُين أستاذاً في كلية الفقه وعُهد إليه تدريس جملة من العلوم منها النقد والأدب العربي والتربية الإسلامية، اذ نال شهرة واسعة وممتازة بين الأوساط الأكاديمية آنذاك، ولاسيما بعد أن أثبت قدرة فائقة في الكتابة ضمن حقول متنوعة، وكما تشهد بذلك الدوريات والمجلات والجرائد العراقية والعربية، وقد توزع نتاج البستاني المعرفي بين مجالات علمية وأكاديمية عديدة كعلم الاجتماع وعلم النفس غير أن دراساته الأدبية كانت هي النشاط الأبرز(2)

(1) ينظر: الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، الشيخ محمد الساعدي، ص ١٧٨

(2) ينظر: المنتخب من اعلام الفكر والأدب، كاظم عبود الفتلاوي، مؤسسة المواهب للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٩٩م، ص ٦٨٢

*الجانب الديني للبستاني أفاده في الإتجاه نحو دراسة النصوص القرآنية ونصوص المعصومين (عليهم السلام)، بالإضافة إلى ذلك أفاده الجانب الأخلاقي في عملية انتقائه للنصوص الملائمة للمجتمع الإسلامي في دراساته جميعاً من دون الإستشهاد بنصوص غير أخلاقية، عاطفية، منحرفة، الخ. لذلك فهذين الجانبين يحققان الغاية في ارتباطهما في عملية النقد

وقد تتلمذ على يد البستاني جمعٌ من طلاب العلم وعُشاق المعرفة، وأخذوا ينهلون من علمه الفياض وبعض منهم، ممن لهم مكانة علمية سامية في المجتمع الأكاديمي والثقافي أبرزهم على سبيل المثال لا الحصر، الدكتور كمال الحيدري، والدكتور عبد الامير كاظم زاهد والدكتور فارس الرحاوي

وقيل أيضا إنه زاهد* في الشهرة والتدافع من أجلها، والواقع أنّ البستاني سعى إلى نشر شعره بشكل ملحوظ، وآراءه النقدية في الصحف والمجلات على سبيل المثال لا الحصر، مجلة الكلمة ومجلة كلية الفقه ومجلة الآداب ومجلة الأقلام ومجلة الفجر في حياته الثقافية، وطرق أبواب دور النشر، وكانت الصحف والمجلات، تسعى لنشر نتاجه، زيادةً على ذلك لبي البستاني الدعوات التي وجهت إليه للحضور في المهرجانات الشعرية وبث العديد من المحاضرات عبر الإذاعات الفضائية، حيث أقدم على تحقيق الكثير من المؤلفات والتقديم بقلمه لعدد من المجلات العربية والعراقية على سبيل المثال: مجلة الموسم، ثم عُين عضوً في جمعية الكتاب والمؤلفين العراقيين، كما أن للبستاني نشاط واسع في مجال التحقيق في المكتبة الرضوية العامرة. (1)

(1) ينظر: موسوعة النجف الأشرف، شعراء النجف في القرن الخامس عشر، جمع جعفر الدجيلي، بقلم عبد الله الخاقاني، دار الأضواء، بيروت، لبنان، ج ٥٢، ط ١، ٢٠٠١م، ص ٣٣٤

*منهم صديقه عبد الجبار الرفاعي

*الزهد: هو مدعاة لصناعة إنسان إسلامي يؤمن بقيمه ويعمل بتشريعاته، فكان انموذجًا مطواع لتطبيق ذلك سلوكًا وعملاً نقديًا وأكاديميًا، للاستزادة ينظر مثلا معجم المصطلحات الأدبية، نواف نصار، ص ١٤٩

يمكن القول: إن كثيراً من الأدباء والكتاب قد تم نفيهم إلى بلدان أخرى من قبل حكوماتهم، لأسباب سياسية، ثقافية، اجتماعية الخ، ففي عام ١٩٨٠م، هُجّر البستاني هو وأسرته قسراً عن وطنهما بأمرٍ من نظام الحكم البعثي الجائر آنذاك، عندما رفض النظام أن يعطيه الجنسية العراقيّة بالرغم من أنه عاش وتعلّم وأبدع في العراق بفضل الحرمان للاحتفاظ بنقائه وشرف كلمته، لقد كان الموقف الرسميّ منه ومن الكثير من العراقيين قاسياً مؤثراً في نفسه، فوصلت به الحال أن ينزل بأرض الجمهورية الإسلامية الإيرانيّة ليعيش ألم الغربة ومرارة الفراق، فنزل مدينة قم المقدسة وانتقل بعدها إلى مدينة مشهد الإمام الرضا (عليه السلام) وعيّن في إحدى كليّاتها هناك، متردداً إلى بيروت، ثم توجه للتأليف في الدراسات القرآنيّة، وكان مبدعاً، إذ أنتج فكراً وأدباً خدم بهما الأدب والعقيدة، وعمل في مؤسساتها العلمية وحصل على الجوائز الإبداعية من أعلى مقامات الدولة الإسلامية منها جائزة الدولة الإسلامية الإيراني ومنها العديد من كتب الشكر والتقدير، لاسيما كتاب وزير الثقافة والإرشاد الإيراني⁽¹⁾.

والجدير بالذكر: إن البستاني زار مدينته النجف الأشرف في عام ٢٠١٠م، إذ كانت رغبته في العودة إلى كلية الفقه في مدينته أستاذاً كما كان سابقاً، عندما وقع التغيير في العراق سنة 2003م، والبستاني لم يكن محتاجاً إلى العمل، فهو مكتف بقناعاته وإنتاجه العلمي، ولكنها رغبة منه في مواصلة حياته العلميّة في كليته، لكن لم يسعفه الظرف آنذاك، وكان

(1) ينظر: مقال الدكتور محمود البستاني أديباً، د. زهير غازي زاهد، <http://www.azzamam.com>

تقصير من القائمين على الجامعة في عدم احتوائه بأية صورة، ولو بالتعاقد معه كما عاد غيره الى الجامعة، ولقد بقيت حسرة في نفسه وصدمة أخرى في حياته لذلك قرر العودة إلى مدينة قم المقدسة في جمهورية إيران الإسلامية. (1)

وعادة ما يصنف الأدباء والنقاد البستاني وفق ألقاب أدبية محددة ذكرت في المجالات والكتب منها: (شاعر النجف المجدد)، إذ إن ملامح التجديد في شعره، تتمثل عبر توفره بما يمكن تسميته بـ (اللغة الحديثة) ذات الخصائص العالية في مقررات الفن الحديث* وطرائق الاستجابة السريعة لجماليات الكلمة والأسلوب: " فهو ممن سلك المنهج الحديث في شعره ، فاللفظ العذب، والكلمة الموسيقية والإطار الخارجي، كل أولئك مما تستهويه في تصميم القصيدة ". (2) ويميل في شعره (للمرزية والتجريدية)، أي: يستعمل المفردات في النص الشعري للإشارة الى عدة دلالات (3)

ويصنفه الدكتور جبرا إبراهيم جبرا بالناقد (المنظر) لنظرية النقد، بمعنى نشاطاته مقدمة لنقد أدبي خالص. (4)

(1) ينظر: المقال ، <http://www.azzamam.com>

(2) فلسطين في الشعر النجفي المعاصر، د. محمد حسين الصغير -سلسلة القضايا العربية في الشعر النجفي المعاصر ساعدت على نشره كلية أصول الدين ببغداد، ط ١، ١٩٩٨م، ص ١٩١

(3) ينظر: موسوعة النجف الأشرف، ص ٣٣٤

(4) مجلة الكلمة، حوار مع الناقد جبرا إبراهيم جبرا، العدد الاول، مطبعة دار الساعة، بغداد، ١٩٧٣م، السنة الرابعة اللغة الحديثة: هي اللغة التي تشهد تحولات متعددة في بعض مستوياتها الأساسية ،لاسيما المستوى الدلالي والصرفي ولعل المستوى الدلالي ابرز مستوى تتبدى فيه التحولات، أما الفن الحديث: هو مصطلح يشمل مجموعة واسعة من الحركات والتيارات الفنية التي ظهرت في الفترة ما بين اواخر القرن التاسع عشر ومنتصف القرن العشرين، ويتجه نحو التجريد ويطلق عليه اسم (الفن المعاصر) او (فن ما بعد الحداثة) للاستزادة ينظر مثلاً كتاب دليل الناقد الأدبي، سعد

توفي البستاني في 9 ربيع الثاني 1432 هـ الموافق ٢٠١١/٣/١٥ في مدينة قم، عن عمر ناهز ال 74 عامًا قضاها الرجل في تحصيل الكمالات العلميّة والعباديّة، حيث وافته المنية في سفره إلى مدينة قم المقدسة، ونقل جثمانه بعدها إلى مدينة النجف الأشرف (1).

وهكذا، امضى حياته وديعًا وداعة الأتقياء، ورحل بصمت رحيل العلماء تشييعه مشاعر إخوانه وأحبائه ومريديه من تلامذته؛ لذلك أقيم تابين على روحه في عدة أماكن منها: النجف وقم التي عمل فيها ونظرًا لجهود الدكتور محمود البستاني، أي ما قدمه من دور كبير في تطوير الثقافة الإسلامية، أقامت كلية الفقه بجامعة الكوفة حفلًا تأبينًا بمناسبة رحيله على قاعة الجامعة بحضور سماحة الشيخ علي النجفي وعدد من الشخصيات الدينية والثقافية والسياسية في البلاد، حيث استذكر الحاضرون السيرة العطرة للمغفور له، وما قدمه من نتاج أدبي وعلمي وديني أثرى به المكتبات الإسلامية في جميع أنحاء العالم وهو دليل على سعة ثقافته وعلمه، وعلى الصعيد ذاته فقد أقام المنتدى الوطني لأبحاث الفكر والثقافة وبالتعاون مع المكتبة الأدبية المختصة حفلًا تأبينًا على قاعة المكتبة الأدبية المختصة، وقد القي في الحفل عدد من القصائد التي استذكر فيها صفات فقيه الفكر الإسلامي الرصين و الأدب العربي، ونظرًا لدوره في إثراء المشهد الثقافي والأدبي والفكري في المحافل المختلفة، فقد اقامت له جامعة أهل البيت (عليهم السلام) صباح يوم الثلاثاء 16 ربيع الثاني 1432

البازعي،ميجان الرويلي (1860_1980)للاستزادة ينظر كتاب قواعد النقد الأدبي ،لاسل أبر كرمي و ينظر مثلاً كتاب محمد مندور الأدب وفنونه

(1)ينظر: نبذة عن حياة المفكر الإسلامي الدكتور محمود البستاني، مؤسسة السبطين (عليهم

السلام)،<https://www.sibtayn.com>،

هـ الموافق 2011/3/22م احتفالاً تأبينياً بمناسبة وفاته، وقد تضمن الحفل عدداً من

الكلمات التي القاها أساتذة الجامعة وضيوفها من أسرة الراحل. (1)

ومن خلال عرض سيرة البستاني الموجزة نستشف إنه عاش حياةً مضطربةً، بسبب وضعه

الاجتماعي والثقافي، وقد أمدته هذه التجربة بالغنى الفكري والقوة والصلابة النفسية، كما

أثبتت سيرته الشخصية وفاءه وحبّه للأكاديمية الأولى التي شكّلت منطلقاً لسيرته العلميّة

الطويلة وأكّدت حبّ الناس لشخصيته العلميّة والأكاديميّة المخلصة للمعرفة الحقّة.

المبحث الثاني / المكوّن الثقافي

لقد بيّنت لنا سيرة "البستاني" المتمثّلة بوعيه المبكر في مدينته النجف الأشرف بوصفها مدينة

للعلم والأدب والفقّه، فهي رقعة جغرافية، مليئة بالمؤسسات والنشاطات الثقافية التي يتنافس

كوادرها فيما بينهم بغية أن تتقدم بالعطاء نحو المجتمع الإنساني بعامة والمجتمع الإسلامي

بصورة خاصة، لذلك فإنّ من ينمو في أحضان هذه الحاضرة الزاخرة بالمعرفة والشخصيات

العلمية الفذة ينشأ وكل أمنياته في الحياة أن يكون واحداً من أولئك الأفاضل ممن تخلع مدينته

عليهم أكايل التقدير والاحترام، ونلاحظ آثار تلك الحاضرة منعكسة بكل تفاصيلها على

شخصيات أبنائها، في ضوء ذلك: بدأت علاقة الدكتور البستاني بالكتاب والقراءة والمعرفة

(1) ينظر مقال: مكتب سماحة المرجع بشير النجفي (دام ظله) يعنى الدكتور محمود البستاني والمؤسسات الفكرية

والعلمية تؤبّنه وتستنكر دوره في التجديد الأدبي والفكري، <https://www.alnajafy.com>

منذ سني حياته الأولى، فكان في طفولته يعكف على الكتابة و قراءة القرآن الكريم والأدعية والأذكار الخ، في محله الصغير الذي طالما يتأخر فيه من أجل كسب الرزق .⁽¹⁾

والجدير بالذكر أنّ الدكتور البستاني كان شاعرًا مميّزًا، إذ يحتلّ الشعر من تجربة الدكتور البستاني الثقافيّة، ما غطّى شهرته على سائر ضروب المعرفة التي سجل فيها حضورًا معرفيًا مشرفًا، وقد نظم الشعر، وهو في العقد الأول من عمره ونشر نتاجه الشعريّ في الصحف العراقيّة، وأطلقت عليه ألقاب عديدة كما نوهنا سابقًا، والغريب في مثل هذه البداية المبكرة أنّ البستانيّ أسهمت الثقافة الفطريّة في تنشئته الشعرية، وكما هو مألوف عند بداية كل تجربة شعرية من قبيل الأنماط التي تعمل على تنمية المواهب وتوضيح استعداداتها، فالملاحظ ان البستاني قد أستجاب للشعر فطريًا والفطرة وحدها التي قامت بربط العلائق ومد الجسور فيما بينهما فليس ثمة ما يشير بمروره عبر قنوات (التلمذة) و (التعليم)، في عملية التأهيل الشعري وقد تصح بعض الاعتبارات الذاهبة الى إن (للمناخ النجفي) دورًا ملحوظًا في منح أبنائه إمكانية التعاطي الشعريّ وتوليد الموهبة ببواطن نفوسهم من خلال (ظاهرة) تفشي الشعر وانتشاره بشكل مدهش للغاية وهذا ما يفصح بكون البستانيّ قد (نظم) الشعر أو كتبه، وهو في العقد الأول من عمره.⁽²⁾ كما يُذكر أنّه قد (نشر) نتاجه الشعري في أمهات الصحف العراقيّة منها مجلة الآداب والأقلام والأضواء، وهو لم يكمل بعد عقده الثاني، أي: في منتصف الخمسينيات تقريبًا.

(1) ينظر: الدكتور محمود البستاني مفكرًا اسلاميًا، ص ٢٠٢

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٥

ومما ينبغي الالتفات إليه أن اختلافًا قد حصل بين الباحثين بخصوص وجود ديوان مطبوع للبستاني، فالأستاذ حميد المطبعي يشير في كتابه موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين بأن البستاني يعدُّ ديوان شعره الاول للطبع⁽¹⁾، أمّا الدكتور كاظم الفتلاوي فيشير في كتابه مستدرك شعراء الغري⁽²⁾ إلى أنّ ديوان شعره من ضمن المؤلفات المطبوعة، أما باقي المصادر فلم تشر إلى ديوان شعره.

وبهذا الصدد فإنّ الباحثة لم تعثر على ديوان شعره سواء أكان مخطوطًا ورقيًا أم كتابًا منشورًا، لكن لا يمكننا أن نتجاوز المجالات التي نشرت الكثير من قصائده منها قصيدته التي نُشرت في مجلة الآداب البيروتية بعنوان: (إنتصار شاعر)

شاعر، ينثر عطر الكلمات

عبق الله، بعينه، أزاهير

يلدن الفجر، في عرس الحياة

يضفر الشمس جديله

خيمة، يرتادها الركب، سماوات جميلة

يصنع الحرف، خميلة

(1) ينظر: موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين، حميد المطبعي، دار الشؤون الثقافية، العراق، بغداد، ط ١، ج ٢،

١٩٩٦م، ص ٢١٤

(2) ينظر: مستدرك شعراء الغري، كاظم عبود الفتلاوي، دار الاضواء والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ج ٣،

٢٠٠٢م، ص ٢٣١

تحتفي خضراء، بالنعمة الطليعة⁽¹⁾

والملاحظ في هذه المقطوعة، اختيار المفردات المناسبة، وانسيابية عذبة بأسلوب جديد، يبيث روح الحياة في القصيدة من خلال استعماله الصور البلاغية الموحية، التي تعكس تأثره بالبيئة، والمجتمع، والطبيعة.

لكن الدكتور البستاني تنحى عن كتابة الشعر بالرغم من كونه أحد الشعراء الواعدين آنذاك، وأسدل على ماضيه الشعري ستاراً من التناسي، وهو ليس كما يدعي البعض لا يتجاوب مع كل من يحاول أن يذكره به، بل لا ينظمه ولا يتجاوب مع الشعر الذي لا يتلائم مع المبادئ الإسلامية .⁽²⁾

فضلا عن كون حياة الإنسان تتغير وتتطور وتختلف من جيل إلى جيل باختلاف الثقافات والأحداث والبيئات، أي يتجاوب الشخص مع مشكلات العصر واوضاع مجتمعه، لأنه لا يستطيع بأي حال من الأحوال إن يعيش بعيداً عن الحياة التي يعيشها.⁽³⁾

لذا اتّجه الدكتور البستاني إلى دراسة النقد الأدبي في مصر وخير دليل على ذلك رسالته الماجستير، وأطروحته للدكتوراه، لأن النقد بطبيعة الحال استعداداً إنسانياً وفطرياً، وما من شخص طبيعي إلا وله تصورات وآراء وأفكار، ومن هذه النوازع الفطرية تبدأ فكرة النقد عند

(1) ينظر: مجلة الآداب، لبنان، بيروت، العدد الثاني، السنة ١١، ١٩٦٣م، ص ٤٧

(2) ينظر: مقال، سيرة طالب <https://alqhat.com/beta/archives/449546>

(3) ينظر: مداخل النقد الأدبي الحديث، د. محمد حسن عبد الله، الدار المصرية السعودية، مصر، القاهرة، ط١،

٢٠٠٥م، ص ١٣

الناقد، ولكي يأخذ مسار النقد العلمي ويغادر التعبير الفطري يحتاج إلى موهبة وثقافة منوعة ومنظمة تمكّنه من طرح آرائه بوضوح للقارئ.

والواضح من ذلك ان صفة الثقافة هي واحدة من أكثر الصفات لصوقاً بشخصية البستاني، حيث تعد من أهم الركائز والشروط التي تحدث فيها النقاد واختلفوا في مدياتها وحدودها، فضلاً عن اختلافهم في أهميتها وخطرها على النقد والناقد معاً، فوجود ناقد بدون ثقافة جادة حقيقية لن ينتج سوى نقدٍ ساذجٍ فطري، يفتقر إلى الفاعلية والإضافة والإبداع، مهما تمتع الناقد بحدة ذكاء ورهافة حس وسلامة ذوق، وسعة أفق ونقاء طبع، فالنقد في أساسه بناء ثقافي يرشح في قلم الناقد بمقدار ما يتزود به من قراءة (1)

هكذا يحتفظ الحقل الثقافي برصيد ضخم من إسهامات محمود البستاني، ونشاطاته الفكرية، الأول الرصيد الشعري، والثاني رصيد الدراسات القرآنية الهادفة إلى الإصلاح، فمع بدء ما يطلق عليه بالوعي السياسي الإسلامي أو معركة الذات والدفاع عن الهوية الذاتية، تتحدد بوجه الدقة بداياته الشعرية التي أطلّ بها على الوسط الإعلامي والثقافي معاً، وإن كان هناك بعض الجوانب التي برزته لدى المثقفين كشخصية لها دورها المتميز، غير أن رصيد الدراسات القرآنية يظلّ أوسع نافذة عُرف من خلالها البستاني، هذا من جانب، ومن جانب آخر فإنّه يظل القناة التي مارس عن طريقها بثّ الوعي الإسلامي، أما في الصعيد الشعري فقد انصب خطابه الشعري الهادف على التضامن الحي مع البلدان الإسلامية، كما دعا الى

(1) ينظر: المناهج النقدية الحديثة، أسئلة ومقاربات، د. صالح هويدي، دار نينوى، سورية، دمشق، ط ١، ٢٠١٥م،

التحرر والاستقلال من هيمنة ونفوذ القوى الاستعمارية التي تربعت -وقتئذ- على قلب العالم الاسلامي، أمّا في المجال الفقهي فقد أَلّف دورة كاملة في الفقه الاستدلالي (مخطوطة) ومن كتبه الاستدلالية: كتاب السنة وذكرى الشيعة الذي (توفر على لغة محكمة، ذلك عبر تجردها من الترهل والإسراف والتراكمات المعقدة التي تطبع أغلبية البحوث الفقهية، بما في ذلك تداخلات وجهات النظر المتضاربة من ناحية الاستطراد الى جانب التشابك القائم في الأسلوبيات بنحو يفقد البحوث الفقهية جانباً كبيراً من معطياتها الأصلية، لابتعادها عن آليات المعاصرة وعن خطوط المناهج العلمية وطرائقها المتفق عليها في الأوساط الثقافية عامة) (1)

وهكذا، تعددت وتنوّعت مصادر ثقافة البستاني العربيّة؛ لكونه أحد إفرازات النجف المهمة بحيث لا يمكننا عزل أو تجاهل المناخ النجفي في بلورة وصياغة شخصيته بمستواها الفكري. فخصوصية الثقافة العربية تتكشف أول ما تتكشف في المأزق النوعي الذي تعانيه هذه الثقافة من منظور علاقتها بمتغيراتها الداخلية وعلاقتها بشروط العالم المتقدّم الذي تتأثر به ويؤثر فيها، فهي ثقافة يسعى حاضرها إلى أن يتحرر من قيود ماضيه الجامد بواسطة العناصر الموجبة في ماضيه الحي وهي ثقافة تريد أن تعيش آفاق العصر مع الحفاظ على هويتها الخاصة (2).

(1) الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، ص ١٧٣

(2) ينظر: نحو ثقافة مغايرة، جابر عصفور، الدار المصرية اللبنانية، ط١، ٢٠٠٨م، ص ٥٥

وتأسيسًا على ما تقدّم: فالتعامل مع ما يترشح به العقل المبدع من رؤى وإشارات ذات طبيعة ملحوظة على حركته وفلسفته يمنح الفرد قابليات فائقة من النضج والإبداع، شريطة ان يتم له التفاعل الكامل مع ما يفتح عليه، ولطالما أسفرت عمليات الانفتاح بنتائج ايجابية واضحة، حيث اسهمت العمليات المذكورة الخاصة بالناقد الأكاديمي العراقي محمود البستاني بتشحين المفاعيل المعرفية وإنماء تجاربها الخاصة.

اتّجه البستاني إلى دراسة النقد الأدبي فكانت أطروحة الدكتوراه لديه دراسة تتحدث عن النظريات الغربية المعاصرة*، إذ مكث عدة سنوات لإكمالها باحثًا عن مسارات النقد الأدبي ومناهجه في العصر الحديث، لا في نطاق العالم العربي فحسب، بل على نطاق العالم الغربي؛ وذلك من خلال دراسة نصوص تابعة لنقاد من إنكلترا وأمريكا وفرنسا وألمانيا والاتحاد السوفيتي، و من مختلف الدول الغربية، وإنّ البستاني عندما أكمل أطروحته بعد كثير من المصاعب أثرت الثقافة الغربية فيه، بل من خلالها أدرك ضرورة توظيف ما تتقف به من الثقافة الغربية لخدمة ثقافته الخاصة، لذلك عندما رجع إلى العراق بدأ بكتابة أفكاره النقدية وسائر النشاطات الفكرية من خلال وجهة نظره المغلفة برؤيته الإسلامية. (1) فبدأ البستاني بالكتابة على منحنيين هما: أسلوب متأثر بالتيارات الحديثة يميل إلى الغموض

(1) ينظر: نحو ثقافة مغايرة، ص ١٥٨

*النظريات الغربية المعاصرة: هي مجموعة واسعة من الأفكار والتيارات الفلسفية والاجتماعية التي ظهرت في الغرب منذ نهاية القرن التاسع عشر وما بعده وتشمل مفاهيم مثل الظاهراتية، الوجودية، البنيوية، ما بعد البنيوية، التفكيكية، وغيرها بالإضافة إلى التطورات في نظريات المعرفة والعقلانية والمادية الإقصائية والاتجاهات المتعددة في الفلسفة القارية والتحليلية.

والضبابية، وهذا لا يتناسب وهدف الكاتب الإسلامي، ومنحى ثانٍ هو أسلوب يميل إلى الوضوح يتلاءم وهدف الكاتب الإسلامي، ويصل إلى مستوى القارئ المتوسط* ويوضح البستاني طريقة التأثير هذه بقوله: "في الواقع نتأثر في التيار الأوربي، فالتيار الأوربي يفد أولاً، ثم يترجم إلى اللغة العربيّة ويتأثر العرب بهذا التيار، ثم يأتي الإسلاميون بعد فيتأثرون بهذا التيار، وهذا التأثير ينبغي أن نميّز فيه بين نمطين: نمطٌ نستفيد فيه بشكل عام من الأسلوب أو من اللغة الحديثة، وآخر ينبغي أن نُتعب أنفسنا لكي نصوغ لغة خاصة بنا، وهذا أمرٌ صعبٌ من دون أدنى شك، ولكن لا مناص منه، أمّا أن تكتب بأسلوب بيغائي كما يكتب الأرسطيون، فهذا لا يتناسب مع طابع الإسلام أبدأ"⁽¹⁾

الخلاصة مما تقدم: قد تتباين ثقافة النقاد العرب بحسب الأسس والمعايير التي يذكرها الدكتور (بدوي طبانة) إلى ثلاثة أوجه⁽²⁾: الوجه الأول نقاد يمتلكون ثقافة عربية خالصة، لا يرضيهم إلاّ الأدب التراثي، فهؤلاء النقاد غلب عليهم لون من ألوان الثقافة العربية كالثقافة النحوية واللغوية والأدبية، وفي الوجه الثاني نقاد غلبت عليهم الثقافة الأجنبية، وبذلك يقفون على ما وقف عليه النقاد الأجانب من أصول النقد ومناهج الأدب، أمّا الوجه الثالث فقد

(1) حوار البستاني في كتاب الدكتور محمود البستاني مفكرًا إسلاميًا ص ١٥٨

(2) ينظر: التيارات المعاصرة في النقد الأدبي، د. بدوي طبانة، دار المريخ، الرياض، ١٩٨٦م، ص ٣٤-٤٠
*القارئ المتوسط: لديه خلفية دينية، لغوية معتدلة أو متوسطة تكفي لفهم الغالب من ألفاظ النص ومقاصده العامة، لكنه يفتقر إلى القراءة النقدية المتخصصة أو الإطلاع الواسع على علوم البلاغة والأسلوب.
*التيارات الحديثّة: مصطلح يشير إلى مجالات الفلسفة، الاقتصاد، الفن، السينما،... الخ

استطاع من خلاله النقاد الحصول على ما عند الغربيين ويعون ما وصلوا إليه من الآراء والاتجاهات مع حظ من المعرفة العربية بأساليب النقد الأدبي، فغدا الناقد ينظر إلى الأدب من خلال هاتين الزاويتين الثقافة الأصلية، وما لديه من الثقافة الأجنبية، فكان عاملاً من عوامل المحاكاة والتقليد.

والحق ان البستاني يندرج ضمن الوجه الثالث الذي سعى من خلاله ترسيخ أفكاره لخدمة الدراسات القرآنية في العالم الإسلامي منتقياً من اطلاعه ومعرفته لآليات النقد الحديث عبر دراساته في جامعات الغرب المختصة.⁽¹⁾ تبين لنا مما تقدم، بأن البستاني تخلى عن قول الشعر بعد أن كان شاعراً ذا شأن فيه متجهاً إلى النقد الأدبي، ومن الأسباب التي دفعت البستاني -بحسب رأيه- إلى تغيير سلوكه أن تعاطي الشعر عنده لا ينطوي على فائدة ضخمة بقدر ما تتحقق فائدة الدراسات الأخرى التي تجدي نفعاً أكثر مما يعطيه الشعر، مضافاً إلى ذلك إن الشعر يعدُّ تعبيراً عاطفياً عن الحقائق، والإسلام يطالبنا بأن نتعامل عقلياً مع الحقائق وليس عاطفياً، صحيح أن العاطفة ضرورة لا مناص منها، إلا أنها ينبغي أن تستخدم في نطاق محدود بحيث لا تطغى على العقل⁽²⁾ بهذه الأسباب وغيرها، وجدت أن هناك نشاطاً آخر يمكن أن يوظفه الإنسان لتحقيق المهمة الإيمانية في الحياة، وهي عملية النقد، فالنقد يستطيع أن يوصل الأفكار إلى الآخرين صحيح أن غالبية الناس تميل إلى الشعر، إلا أن هذا الميل يظل - في الواقع - غير مرصود من الناحية الإيمانية؛ لأن

(1) ينظر: التيارات المعاصرة، ص 34

(2) ينظر: الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، ص ١٧٦

الإنسان يمتلك ميولاً متنوعة ، وهذا لا يعني أننا نشيع هذه الميول كيف ما اتفق، بل علينا أن نحمل القارئ أو ينبغي أن نوجهه توجيهاً آخر يتماشى مع ما يريده له الإسلام بوصفه ديناً يهدي للتي هي أقوم.

فإذا كان القارئ يحيا حياة عاطفية نستطيع بطريق آخر أن نملاً حياته العاطفية من خلال النثر الأدبي أيضاً، فالنثر الأدبي ينطوي على معطى عاطفي إلا أنه معطى نسبي من جانب ويستطيع أن يتجاوز النطاق العاطفي إلى النطاق العقلي من خلال أساليب معينة، بحيث يوصل من خلالها الأفكار التي يستهدفها وقد نزه الله سبحانه وتعالى النبي (محمد صلى الله عليه وآله وسلم) عن قول الشعر رداً على الاتهامات التي وجهت للنبي (صلى الله عليه وسلم) بأنه شاعرٌ، لكن القرآن الكريم لم يهاجم الشعر من حيث هو شعرٌ، وإنما ذم الشعر الذي يؤذي الله ورسوله الكريم، أو الذي لا يمت للشريعة الإسلامية بصلة⁽¹⁾

من هنا اتجه البستاني إلى دراسة النقد الأدبي من أجل استثمار هذا الجانب لكي يوصل أفكاره إلى الآخرين، من خلال نقد النصوص الأدبية، فخاض تجربة النقد الأدبي ليحقق الهدف الذي كان ينشده، وفي الواقع عندما قرر ترك الشعر وجد أن في النقد الأدبي نصوصاً متنوعة، فهناك نصوص منحرفة وهناك نصوص سوية* وهناك ما هو أهم من هذه النصوص، نصوص التشريع الإسلامي كالقرآن الكريم وأحاديث المعصومين، لذلك رأى أن

(1) ينظر: تاريخ العصر الإسلامي، شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ج ٢، ط ٧، د.ت، ص ٤٤

*النص المنحرف: استعمله البستاني للأشارة إلى النصوص المنحرفة عقائدياً بالإضافة إلى الاضطراب والتشكيك اما النص السوي فهو على العكس من ذلك هي نصوص توضح الايمان بالله تعالى واليوم الآخر وتمجد اهل البيت عليهم السلام. للاستزادة ينظر كتاب تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، ص 621

الأفضل هو أن يتّجه إلى دراسة النصوص الشرعية ذات الطابع الفني* ومن خلال ذلك يستطيع أن يحقق الهدف، لكن بما أنّه كان معروفاً على أنّه شاعرٌ، وحينها قرر أن يؤلّف كتاباً نقدياً محايداً ليس فيه توظيف إسلامي حتى يكتسب سمعة نقدية من خلال الجمهور، وبعد أن اكتسب هذه السمعة اهتم بدراسة النصوص الشرعية بالشكل الذي يتناسب مع مستوياتها، فلقى شهرة واسعة حتى بين الأوساط الأكاديمية، إذ إنّه نزل إلى الأسواق وتناولته الأيدي ونفذت نسخه بوقت قصير.⁽¹⁾ والجدير بالذكر ان البستاني لا يرفض رفضاً قاطعاً قول الشعر للشعراء الإسلاميين الذين يوجهون رسالتهم للمجتمع فموقف البستاني موقف إيجابي من الشاعر والقاص والكاتب الإسلامي لذلك عليه أن يتخذ أسلوباً خاصاً به، ولا يبقى مقلداً للسلف حيث يمتاز النص السلفي* أو الكتابة القديمة بالوضوح أو ما يمكن أن نسميه بالأسلوب الكلاسيكي أو التقليدي هذا أيضاً لا يناسب الكتابة الحديثة ولا الشعر الحديث ولا القصة المفروض بالكاتب الإسلامي والشاعر الإسلامي والقاص الإسلامي أن يستقل بأسلوب خاص له ، فلا يعتمد على الأسلوب البالي الذي لا يتناسب مع العصر وفي الآن نفسه أن لا يتأثر بالموضات الأوربية ، عليه أن يتخذ لنفسه أسلوباً خاصاً يستقل به كاستقلال هويته الإسلامية ومن جانب آخر ينبغي أن يكون هذا الأسلوب متسماً بالوضوح ، لذلك فإن المسألة ليست سهلة وصادف أن طرحت في إحدى الندوات مسألة تتصل بهذا

(1) ينظر: الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، ص ١٧٦، ١٧٧

* هي الاشكال الفنية التي استندت قواعدها ومبادئها على النصوص والتعاليم الإسلامية

* النص السلفي: هو النص القديم

الجانب وسئلت وكانت مجموعة من الشعراء حاضرة في تلك الندوة وكلهم ينتسب إلى الجيل الحديث جداً وصارحتهم بأن أساليكم هذه - في الواقع - لا تأتلف مع التصور الإسلامي للكتابة والشعر والقصة ، لذلك ينبغي على الشاعر إذا أراد أن يكون شاعراً حقاً ، أن يتعب نفسه ويجهدا في سبيل أن يؤسس لنفسه أسلوباً خاصاً يجمع بين الوضوح من جانب وبين الحداثة من جانب آخر وبين الاستقلالية للشخصية الإسلامية من جانب ثالث وهذا الأمر يتطلب جهداً كبيراً بمعنى أن الشاعر أو القاص أو الكاتب وبخاصة الشاعر والقاص سيعانون أزمة شديدة في هذا الجانب إلا أنهم يستطيعون أن يجتازوها بسلام إذا أتيح لهم أن يتعبوا أنفسهم في نحت وصياغة جديدة تتسم بالسمات الثلاث المشار إليها. (1)

يخص رؤية البستاني في البلاغة العربية فيقسمها على قسمين بلاغة موروثية قديمة وبلاغة حديثة جديدة* أما البلاغة الموروثة فقد ألفت قبل ألف عام بشكل يتناسب مع البيئة التي كانت تعيشها الناس في تلك القرون، أما الآن فإن البلاغة تطورت تطوراً ملحوظاً، وظهرت نظريات بلاغية حديثة، وحينئذ إذا كنا نريد أن نتابع العصر ونكتب بلغته ، حينئذ ينبغي أن نكتب بلاغة حديثة أيضاً، تتناسب مع العصر هناك قواعد بلاغية مخطئة* في الواقع ، وقد ذكر ذلك في مقدمة كتاب القواعد البلاغية، منها أنها بلاغة جزئية تتناول حدود الجملة فقط

(1) ينظر: حوار للبستاني في كتاب الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، ص ١٨٣، ١٨٤
*البلاغة الحديثة: هي تطور الدراسات البلاغية التي تركز على الإقناع والتأثير من خلال تحليل الخطاب المتنوع في سباقات حياتية، تشمل توجهات علمية مثل اللسانيات، الأسلوبية، الحجاج، التداولية.
*القواعد المخطئة في البلاغة القديمة، عدم شموليتها لجميع القواعد، بمعنى أنها لم تتناول كل أشكال الفن وقواعده، كما أن البلاغة القديمة تتسم بالتناول الجزئي للنصوص بدلاً من تناول الكلي، بالإضافة إلى ذلك هناك خطأ في المفهومات البلاغية ذاتها. للاستزادة ينظر كتاب القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني

، ومنها أن المعايير نفسها خاطئة، وهذا كله أيضاً، لا يتناسب وهدف التأليف البلاغي في ذلك العصر، فالبلاغيون في ذلك العصر، قالوا : أنما ألفنا هذه الكتب، لكي نتبين من خلالها إعجاز القرآن الكريم، ولكننا إذا دققنا النظر في تلك البلاغة وجدنا أن قسماً منها ينطلق من معايير إذا أردنا أن نطبقها سنخرج بنتيجة أن القرآن الكريم ليس بليغاً؛ لأنه لا يتألف مع تلك القواعد التي صيغت، وهذا كفر ببلاغة القرآن؛ لهذه الأسباب وجدت أن الحاجة تدعو بشكل ملح إلى أن أولف كتاباً بلاغياً جديداً، تطرح فيه مفهومات البلاغة القديمة في قسم منها، مضافاً إلى مفهومات البلاغة الحديثة ولهذا قسمته على ثمانية أقسام وفرزت فيه كل قسم من الآخر وأسست فيه قواعد أخرى جديدة، والمهم هو وجود جانب ثالث بالنسبة إلى النصوص، فالبلاغة القديمة وجدتها تستشهد بنصوص منحرفة في سبيل التعزيز أو الاستشهاد بقاعدة ما، حيث رأى بأن هناك واجباً شرعياً عليه، هو أن لا يسمح للنصوص المنحرفة بأن تأخذ طريقها إلى ذهن. (1) أما استعمال البلاغة عند الحوزويين كما يذكر البستاني فينحصر اهتمامها بالنص الفقهي الذي يؤخذ من القرآن الكريم، وقد يؤخذ من الحديث ولا يشك أن الذي يمتلك ثروة بلاغية جيدة ، يستطيع أن يفهم النصوص ، بشكل أكثر عمقاً من الشخص العادي ، وهذا ما وجدته البستاني منسحباً على بعض الفقهاء بالفعل ، حيث لاحظ أنهم يستفيدون من الآية الكريمة أو الحديث نمطاً من الاستخلاص يرتبط، ولو بشكل غير مباشر، بنفس الحكم الشرعي الذي يستنبطونه ، لذلك، فإن الثروة

(1) ينظر: القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، مشهد، ط1، 1993م، ص 13، و14

البلاغية أو الحس البلاغي الموجود عند الفقيه يعينه، فيقول : يساعده كثيراً ولا يقول يتوقف عليه، يساعده على فهم أفضل للنص - دون أي شك - مضافاً إلى ذلك أن الإعجاز في القرآن الكريم والكمال الأدبي في نصوص المعصومين من الأفضل لكل من يقف على هذه النصوص أن يتعامل معها من خلال الصلاة أو الدعاء أو المناجاة أو الذكر إلى آخره، عندما يعرف مستوياتها البلاغية يكون تجاوبه وتفاعله بشكل أفضل مما لو كان يجهله.⁽¹⁾ في ضوء ما تقدم ترى الباحثة أن البستاني مع استعمال البلاغة أثناء التعامل مع النصوص القرآنية لكي تسهل للقارئ الفهم الأفضل.

وبتتبع البستاني لقضية النقد السيرى الذي أشار إليه الناقد الفرنسي (سانت بيف) من خلال الإشارة إلى أن الإحاطة بسيرة الكاتب ضرورية لمعرفة النص⁽²⁾ ومنذ ذلك العهد نشطت الدراسات القائمة على السيرة لعدة سنوات، لذلك يحاول البستاني إعطاء وجهة نظره في ضوء هذه الدراسات التي عنيت بالسيرة فيوضح بأن النصّ عمل إبداعي جمالي وقد مر بمراحل معقدة حتى انتهى إلى الصياغة النهائية ولعل من البداهة معرفة الخلق دون معرفة الخالق للنص؛ لأنه ناتج عن العمليات الذهنية سواء كانت عاطفية، أم نفسية، أم فكرية، الخ، ولعل من البداهة فرز أحدهما عن الآخر، إذ إنّ أولهما أن نصف عملية الخلق في صلتها بالكاتب من حيث النشاط الإدراكي، ووصله بالينابيع الثقافية والتاريخية والاجتماعية

(1) ينظر: الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، ص ١٧٥

(2) ينظر: نقلا عن كتاب في النظرية النقدية ترجمة محمود البستاني Ashrt History Of French Literature

وغيرها وثانيهما إن تتجاوز عملية الخلق نفسها وتقفز إلى سيرة الكاتب من خلال معطيات النص النثرية من دون إعانات أقلامنا بالبحث عن العناصر الأولية التي ساهمت في بلورة النص لذلك يقر البستاني بمشروعية مصطلح (السيرة)، كما إن الحس العلمي الذي يمتلكه الناقد الذي يرغب في إقصائه عن النقد المتصل بالسيرة، لا يتميز عن الحس العلمي الذي يرقد خلف تفسير أية ظاهرة جمالية في النص وتقييمها، أن السيرة بما إنها ضرب من المعرفة غير الأدبية تبقى بالضرورة متميزة عن المعرفة الجمالية، وحين نضع الجانب الجمالي في الاعتبار نكون -حينئذ - قد اكسبناه صيغة الكشف (الإيحائي) للنص؛ يوضح البستاني النتيجة من ذلك قائلاً: إننا حتى في حالة تحليلنا نصاً جمالياً صرفاً، واتكأنا على أدوات (سيرية) فإن النتيجة تظل ناطقة بالحكم نفسه، والأثر يتجاوز القيم الفكرية أو الجمالية في النص، إلى البحث عن الجذور التي ترقد خلفها، أي: إن مناقشتنا تدور حول هذه الجذور ومدى إفادة القارئ منها أو من عدمها. (1)

ويمكن توضيح الرأي أعلاه للبستاني بكون ارتباط سيرة الكاتب بالنص مهمة لكشف إبعاده إلا إنها ليست مطلقة؛ لكون الناقد عندما يتناول مثلاً الجانب الموسيقي في نص ما يبقى حكمه محدوداً على هذا الجانب لذلك لا داعي للبحث عن سيرة كاتب هذا النص .

وتأسيساً على ما تقدم ذكره، فإن الدكتور محمود البستاني سلك مسلكاً جديداً في توصيل الأفكار الإنسانية المختلفة، وذلك من خلال الثقافات المختلفة التي أفاد منها وتحدد الرؤى

(1) ينظر: مقال النقد والسيرة، مجلة الأعلام، ١٩٧٠م، العددان ١١، ١٢

والمقاصد، إذ اتضحت رؤيته من خلال المنهجيات الحديثة لهذا المسلك من خلال التطبيق الذي سنعرض له في المباحث القادمة، إذ تعمل على محاولة تأسيس حوار إنساني فعّال، وعلى إيجاد أساليب للتواصل الثقافي، مما سيُسهم في تأسيس رؤية علمية شاملة بوصف ذلك فعالية بشرية ونشاطاً ذهنياً وحسباً يُغني تجارب الناس ويُسهم في خلق فهم جديد للحياة الإنسانية بغض النظر عن لغتهم التي يكتبون بها.

المبحث الثالث / المنجز المعرفي

إذا تجاوزنا شعر البستاني، فهو أحد النقاد الأكاديميين العراقيين، الذي ينتمي بدوره إلى مؤسسة النقد العربي الحديث الذي عُرف مع أواخر القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين تحولاً مفاهيمياً واصطلاحياً وإجرائياً بفعل الانفتاح على التجربة النقدية الغربية التي اكتملت ثمارها بعد النصف الثاني من القرن العشرين بين المناهج النقدية (الداخلية والخارجية) من جهة أخرى في تلاحق حوارٍ فذ، ولعلّ من يتابع أعمال هؤلاء النقاد سيجد اختلافاً واضحاً عند النقاد العرب والعراقيين في درجة تمثّل هذه المفاهيم عند استعارتها وتوظيفها، فضلاً عن ذلك فالنقاد جميعاً "يبحثون عن قوالب تستوعب أفكارهم وتجاربهم ولغة تُوّديها وتحتويها، وهذا طموح مشروع حتمته عوامل لا حصر لها: إرادة التغيير، واتساع التجربة الخاصة والعامة بمجالات مستجدة من الفكر والثقافة، وتقارب بين أبعاد كوكبنا الأرضي"⁽¹⁾

(1) الشعر العراقي الحديث مرحلة وتطور: د. جلال الخياط، دار الرائد العربي، لبنان، بيروت، ط 2، 1987م، ص 132

ومن هنا تتضح مشروعية التساؤل عن أهمية المنجز المعرفي الذي قدمه الناقد البستاني من خلال، سعيه لإخضاع المادة النقدية الغربية (الخام) للفهم والاستيعاب أولاً، ومن ثم محاولة تكييف هذه المادة من خلال الإجراء والتطبيق على وفق متطلبات الواقع الثقافي العربي المختلف عن البيئة والثقافة التي تخلقت من رحمها تلك المادة ثانياً (1)، وكما سيتضح لنا عند الحديث عن هذه المنجزات النقدية: بالعودة الفاحصة الى كتاب البستاني (في النظرية النقدية) (2) الذي يعد أول مؤلف تأسيسي لأفكاره النقدية، حيث توالت هذه الافكار وصبت في مؤلفاته جميعها لاسيما المؤلفات القرآنية منها، والملاحظ على هذا الكتاب المذكور بان مؤلفه يرد الدراسات النقدية العربية والدراسات النقدية الغربية بغض النظر سواء أكانت هذه الدراسات حديثة ام قديمة، ثم يعطي وجهة نظره بالرفض او القبول دفعاً لحل مشكلة قد لا تتلاءم مع الواقع النقدي، وهذه الحلول جميعاً تدعو إلى تخطيط نظري شامل متصل بالنظرية النقدية، لذلك يذكر البستاني سبب تأليفه لهذا الكتاب بنية إن هذا الكتاب مقدمة لنشاط نقدي اسلامي خالص حيث قام بتأليفه في شهر رمضان المبارك، وكان يتألف من أربعة عشر فصلاً (3).

توالت مؤلفات البستاني بعد اول مؤلف له بنحو ملحوظ ساعدت على رفد المكتبة او الحقل النقدي، ففي كتابه (دراسات فنية في التعبير القرآني) يتناول بالدراسة والتحليل الناحية الفنية

(1) ينظر مئة عام من الفكر النقدي، سعيد الغانمي، دار المدى، دمشق، ط 1، 2001م، ص 184

(2) ينظر في النظرية النقدية، محمود البستاني، وزارة الإعلام، مديريةية الإعلام العامة، بغداد، ط 1، ص 1971م

(3) حوار للدكتور محمود البستاني في كتاب الدكتور محمود البستاني مفكراً اسلامياً، ص 77

في النص القرآني من حيث التركيب الفني وبناء الصورة، حيث يستلهم المؤلف تجربته الأدبية الفذة كشاعر وناقد، فكانت دراسته حديثاً أدبياً مهماً تعلن فرادتها وأصالتها على رغم من كثرة الدراسات التي تناولت القرآن الكريم من هذا الجانب⁽¹⁾ وفي كتابه (دراسات فنية في قصص القرآن) يحاول أن يتناول القصة القرآنية الكريمة من خلال نماذجها جميعاً ما عدا بعض منها : حسب تسلسلها في السور الكريمة ، كما يتناولها من زوايا الفن المختلفة سواء كان ذلك متصلاً بعمارة القصة (بنائها) أو عناصرها، أو أدواتها وتناولها - ثالثاً من خلال الحرص على إبراز دلالاتها الفكرية التي يستهد فيها الفن القصصي أساساً مادام الهدف الفني ينحصر في توصيل الأفكار إلى القارئ بغية استثمارها في تعديل السلوك، فيقول البستاني في مقدمة كتابه المذكور : " فإن هذه الدراسات تحاول ان تتناول كلاً من الجانبين: [الفني والفكري] ما دمنا نعرف بوضوح أن (الفن) موظف لإنارة الأفكار وليس لمجرد الإمتاع الذي يطبع بعض الاتجاهات الأرضية في تصورنا لوظيفة الفن، تبعاً لذلك ، فإن الجانب الفكري العقائدي والأخلاقي) يحتل مساحة كبيرة من هذه الدراسات السريعة التي كتبت أساساً (في برامج إذاعية)، آمليين من الله أن يسد لنا جميعاً للإفادة من أية معرفة تساهم في تعديل سلوكنا عبر وظيفتنا العبادية في الأرض، وقد حاولنا متابعة غالبية القصص التي انتظمتها سور القرآن الكريم حسب تسلسلها، سواء أكانت القصة مستقلة في نص بأكمله مثل قصة يوسف ونوح وسواهما، أم كانت عنصراً من السورة وسواء أكانت مصاغة مرة واحدة أم

(1) نقلاً عن دراسات فنية في التعبير القرآني، محمود البستاني، كلمة الناشر، مؤسسة الوفاء، بيروت، ط1، 1984م

كانت مكررة، إذ ما هو (مكرر) من القصص إنما يرد في سياق جديد يتطلبه هدف السورة، فضلاً عن أن الأبطال والوقائع والمواقف تصاغ، وتنتقى من حيث التفصيل أو الاختزال بنحو لا يتكرر في أي قصة تنتظمها هذه السورة أو تلك⁽¹⁾. وفي كتابه (تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الإسلامي) "يحاول البستاني إخضاع التاريخ الأدبي لمنهج موضوعي يتناول من خلاله: عصور الأدب في ضوء الواقع الاجتماعي الذي ينتسب إليه، كما يتناول التعريف بكل التيارات الأدبية حتى يقف القارئ على الطابع العام لعصور الأدب، مع الحرص على نقد التيارات المنحرفة وإبراز التيارات الإيجابية منه، مضافاً إلى أنه يركز على إبراز الجوانب الفنية للأدب، وليس مجرد العرض: في صعيد السيرة الشخصية، أو البعد التاريخي، أو التقويم الفكري الصرف، إذ إن قصر الدراسات على هذه الجوانب يسلب عنها صفة البحث الأدبي، لذلك فإن ما يميز هذا الكتاب هو عنايته الملحوظة بإبراز الطابع الفني في مختلف عناصره: إيقاعياً ولفظياً وصورياً وبنائياً وشكلياً، وبذلك يستكمل مهمته في دراسة تاريخ الأدب (فنياً وفكرياً) في ضوء المنهج الإسلامي والإنساني بعامة، حيث إن الدراسة التي تعزل النص الأدبي عن دلالاته الإسلامية والإنسانية تفقد مميزات الأدب نفسه"⁽²⁾

(1) دراسات فنية في قصص القرآن الكريم، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، إيران، مشهد، مؤسسة طبع ونشر في الاستانة الرضوية، ط ١، ١٩٨٧م، ص ٣-٩

(2) تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، لبنان، ١٩٩٠م، ص ٦٤ و٦٥

واجه البستاني نقدًا لعنوان الكتاب المذكور من خلال إحدى المراجعات النقدية من لدن الدكتور عبد المجيد زراقت (ناقد وقاص لبناني)، ولعلّ أهم ما لاحظته هذا الباحث على البستاني بأنه وقع بمفارقة حينما وضع هذا العنوان إذ سجل الباحث ادب القرآن الكريم وادب النبي (ص) واهل بيته فكان ينبغي عليه أن يذكر الأدب قاطبة أو يغير في العنوان، لكن البستاني يوضح ذلك في تصديره للكتاب (لقد حاولت دراستنا السريعة لتاريخ الأدب أن تتجنب هذه المزالق التي وقع فيها مؤرخو الأدب، واضعين بنظر الاعتبار أن التاريخ، أو التراث ينبغي أن نفيد منه في (الحاضر) مستهدين بخطى القرآن الكريم الذي يؤرخ للماضين وقصصهم باعتبار ذلك (عبرة وعظة) (لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ ⁽¹⁾ ⁽²⁾) وليست لمجرد الامتاع والتسلية واللهو من خلال الكتاب يتبين للباحثة بأنّ البستاني في تقسيمه لهذا الكتاب ابتعد عما اعتاد عليه الباحثون السابقون له من توثيق بعض النصوص المنحرفة التي لا تخدم سلوك المجتمع الإسلامي ورؤيته في نظره وإن أورد نصوصاً غير سوية (منحرفة) فهو يهدف لردّها لكي ينبغي للقارئ ما يفيد منه وما لا يفيد منه.

وتطرح قضية الأدب والفن في كتابه (الإسلام والفن) من خلال وجهة النظر الإسلامية مقارنة بوجهة النظر الأرضية في مختلف الظواهر المرتبطة بمفهوم الأدب وعناصره و تياراته ومناهج دراسته، مضافاً إلى الظواهر المرتبطة بالأشكال الفنية الأخرى مثل: النحت والتصوير والموسيقى وغير ذلك من انماط التعبير الفني الذي يمتلك الإسلام حيالها تصوّراً

(1) ينظر: مجلة (نور الإسلام) العددان ٢١، ٢٢، سنة ١٤١٢، ٩٢

(2) سورة يوسف

خاصاً يختلف عن تصورات الأرض من حيث حظره أو تحفظه أو إباحته لهذا الشكل أو

ذاك.... واستكمالاً لرصد التصور الإسلامي للأدب والفن. (1)

كما إن كتابه الموسوم بـ[القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي] جهد البستاني فيه على

ربط المفهومات البلاغية الموروثة مع طرائقية الأدوات البلاغية المعاصرة، ذلك عبر توسله

العميق بثقافة تسعفه على استيعاب التراث والمعاصرة دون ان يلاحظ عليه شيئاً من الوهن

أو الضمور مع حرصه من خلال ما كتبه على تقديم رؤية تأسيسية شاملة لمبادئ البلاغة

الحديثة ، فيما سجل - في الوقت نفسه - مساهمة واضحة في حلقات التأسيس الإسلامي

المعاصر ، وملاً فراغات المعرفة الانسانية عبر عقد العلاقات الحثيثة بين افرزات المعرفة

الصائبة ، ومكتنزات الفكر الإسلامي العظيم، فوجد البستاني إن: (البلاغة القديمة تطبعها

جملة من العيوب التي لا يمكن التغاضي عنها، خاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن

صياغة قواعدها تمتد الى أكثر من ألف عام، حيث حدثت تطورات فنية خلال هذا الزمن ،

بنحو يجعل البلاغة الموروثة قاصرة عن تمثل ذلك، فنحن لا نملك الحق في مطالبة

البلاغيين القدامى بان يتجاوزوا حدود زمنهم ، وأن يصوغوا القواعد التي لا تسمح بها ثقافتهم

الفنية آنذاك ، ولكننا نملك ،الحق في توجيه اللوم الى المعاصرين الذين جمّدوا على قواعد

أسلافهم ، بحيث يمكن القول بان دراساتهم للبلاغة التقليدية أفسدت أذواقهم وعطلتها بدلاً

من أن تنميتها وتصلحها) (2) فيصرح البستاني بأن هناك جملة من القواعد البلاغية القديمة ، لا

(1) ينظر: الإسلام والفن، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، لبنان، بيروت، ط1، 1992م

(2) ينظر: القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، ص 13

يزال يحتفظ بفاعلية وحيويته، إلا إن في الجانب الآخر توجد العديد من القواعد الموسومة بالعيوب المخلة في فهم جمالية النصوص الأدبية ومن خلال الجمع بين المعاصرة والتراث، "تقدم إلى القارئ بكتاب جديد يجمع بين التراث البلاغي و بين البلاغة المعاصرة، حيث يضطلع بكتابة قواعد جديدة تتناسب مع ثقافة العصر دون أن تهمل قسماً من بلاغتنا الموروثة التي تشكل مادة مشتركة بين الأجيال جميعاً، مضافاً إلى أن الكتاب المذكور يحاول أن يستخلص من القرآن الكريم و من أدب المعصومين (عليهم السلام) غالبية القواعد البلاغية الجديدة ويستشهد بهذه النصوص التربوية، بدلاً من النصوص العادية التي شحنت الكتب البلاغية القديمة بها، بخاصة تلكم النصوص المنحرفة التي تصب في موضوعات كالجنس، و الخمر، و مدح السلاطين.... إلخ. لذلك فان اهمية هذا الكتاب، تتمثل أولاً في انطوائه على البلاغة الجديدة، وثانياً في اعتماده على النصوص التشريعية، آملين من ذلك أن يفيد الكتاب المعاصرون من هذه المادة، وأن يفيد منها الدارسون أيضاً، بخاصة المؤسسة الحوزوية والمؤسسة الجامعية التي لا تزال - مع الأسف - مشدودة إلى البلاغة الموروثة غير المتناسبة مع ثقافة العصر"⁽¹⁾

والملاحظ على كتاب البستاني (دراسات فنية في صور القرآن الكريم) * أنه لم يضع له مقدمة تعرف القارئ بموضوع الكتاب فهو يبدأ صفحاته بشكل متسلسل للسور القرآنية على

(1) القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، ص ١٤
*تعني دراسة تحليلية لأساليب البلاغة المستخدمة في القرآن الكريم لنقل المعاني والأفكار بطريقة إبداعية ومؤثرة، تهتم بالتربية والاستعارة والكناية لتحقيق الفهم والاعجاز القرآني

وفق رؤية نقدية ثقافية واسعة في العلوم المختلفة، يحاول البستاني من خلال كتابه المذكور توضيح مدى جمالية الصور المختلفة في القرآن الكريم (التمثيلية، الاستعارية، التشبيهية، الرمزية، الاستدلالية.... الخ) لكونها تزيد النص القرآني جمالية ذات طابع عميق ودقيق، وكيفية تقديم النص القرآني الملامح العامة وتفاوت هذه الملامح التي تصب في روافد من الدلالة سواء كانت دلالة فنية او نفسية لتدع المتلقي يستجيب لمفهوم التوجيه السريع، مع بيان مدى الصورة الفنية للقرآن؛ لكونها تشرح نفسها بنفسها وهذا هو القمة في الفن، كما إن بيان مدى وضوح الصورة للمتلقي أو غموضها، لكن لا يقصد البستاني الغموض الحاجز* الذي نلاحظه في النصوص الفنية البشريّة، وإنما الغموض الواضح للمتلقي*، كما يحدد البستاني صلة الصورة بما يسبقها من الصور ومدى تأثيرها في بنيتها المتناسكة والممتعة والطريفة، كما يركز البستاني على أهمية السياق في النص القرآني الذي وردت فيه الصورة، لذلك يسعى البستاني في كتابه المذكور بتأثير جمالية الصورة لفك الشفرات الفنية في النص القرآني. (1)

لم يلبث البستاني بعد هذا الكتاب إلا أن يخرج بتفسير ضخم للقرآن الكريم أسماه (التفسير البنائي للقرآن الكريم) متكون من خمسة أجزاء، وقد أعيد طبع هذا التفسير أكثر من ثلاث طبعات، وهذا ما يدل على أهمية هذا التفسير الذي تناوله القراء حال طبعه، فهو واحد من

(1) ينظر: دراسات فنية في صور القرآن الكريم، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، ايران، مشهد، ط1، ٢٠٠٠م

*الغموض الواضح: هو غموض متعمد في النص يمكن للمتلقي إدراكه مع جهد قليل.
*الغموض الحاجز: هو غموض يقف حاجزاً أمام فهم المقصد ويحتاج إلى تحليل معمق لتجاوزه

المؤلفات التي كتبها الدكتور محمود البستاني فيما يتصل بالقرآن والمعارف الإسلامية لذلك يذكر البستاني بان الدراسات التي تناولت القرآن الكريم لم تتوفر على دراسة سورة من حيث العمارة التي تنتظم السورة الكريمة ، لذلك " هو قراءة في سور القرآن الكريم من أولها إلى آخرها، عني مؤلفه بالتعرف على بناء هيكل السورة الواحدة، من خلال ما بين أجزاء السورة من ترابط ظاهر أو خفي، و ما بين مقاطعها من تواشج و انسجام تشكل معه السورة وحدة متكاملة من الوجهة الفنية والمعنوية، وهذا سر تسمية الكتاب باسم (التفسير البنائي). والواقع أن هذا النمط من التأليف قائم على رؤية تستلهم الفن والدلالة معاً، من أجل رسم هندسة السورة وعمارته بنائياً.. مما يضيف على الكتاب سمة تركيبية تستند إلى رؤية الوحدة من خلال الكثرة، والتوصل إلى التوحد عبر حالات التنوع في المضامين، يستثمر الظواهر التعبيرية والسياقية المتنوعة التي يمر بها في القرآن الكريم ليصل بالقارئ إلى الإحساس بالهدف القرآني" (1)

فهذا التفسير يعنى بالجانب الفني إضافة إلى الجانب الفكري حيث لا ينفصل أحدهما عن الآخر حيث إن الوحدة التي تحكم السورة ينظر إليها من عدة زوايا منها الموضوعات والأهداف، والأشكال، والعلاقات إضافة إلى مستويات أخرى من الابنية أو الخطوط التي سلكها النص القرآني في الانتقال من آية إلى أخرى او من موضوع إلى آخر التي ادت الى نظم السورة القرآنية الكريمة.

(1) التفسير البنائي للقرآن الكريم، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، ايران، مشهد، ج ١، ط ١، ٢٠٠١م،

اما في كتابه (المنهج البنائي في التفسير) فيذكر الدكتور "عبد الجبار الرفاعي" بأنه اقترح على صديقه البستاني بأن يعدّ له كتاباً يشتمل على بعض نصوصه السابقة، مع حوار أجراه معه منشور بمجلة قضايا إسلامية معاصرة، لذلك اقترح عبد الجبار الرفاعي تسميه هذا الكتاب بعنوان المنهج البنائي في التفسير، فوافق البستاني عليه لذلك كتب له مقدمة تناول فيها ملامح المنهج ونشأته وتطوره، وجهود البستاني في اغناؤه وتوظيفه في دراساته القرآنية لاسيما في تفسيره البنائي⁽¹⁾

ففي كتابه (الإسلام والأدب) الذي يعدّ بداية التأسيس الصحيح لأسلمة العلوم المعاصرة بسلسلة متواصلة من الإصدارات تعرف التصور الإسلامي للكون والحياة والمجتمع في مختلف ميادين المعرفة المتداولة كعلم النفس والأدب والاجتماع والإدارة والاقتصاد وغيرها تساهم فيها نخبة من طاقاتنا العلمية والفكرية المتوفرة على التخصص المطلوب مضافاً إلى الاستيعاب الكامل غير المشوب في غمار فهم حقيقة النص الديني وتمثلها مثلاً صحيحاً غير منقوص ولا مدخول، نسأل الباري -عزّ وجلّ- أن يوفق كتابنا الأعزاء إلى إكمالها. ومن ناقلة القول إن هناك مبادئ واضحة تكون الخطوط العامة لذلك، إلى جانب الأخرى المفتوحة للإنسان والزمان والمكان تركها الإسلام بما يتناسب مع كل جيل وطبيعة تركيبته الثقافية المعرفية ومستواه، مضافاً إلى أن الباري عز وجل أنهم بني الإنسان معرفة الخير والشر فطرياً بما يستطيعون به أن يظفروا بالصواب في مختلف أدوار الحياة ويهتدوا إلى

(1) ينظر: مقال للدكتور عبد الجبار الرفاعي، <https://www.almothaqaf.com>

الحقيقة نسبياً، لكنهم كانوا وما زالوا محتاجين إلى اقتران ذلك باليقين في الوصول إلى مطلق

الحقيقة الذي هو وحي الله تعالى النازل على رسوله في مبادئ الشرع الحنيف.

لذلك تبقى المعايير الإسلامية هي الفيصل في الحقائق؛ لأن العلم لدينا منذ ولد حتى الآن

يخضع لظاهرتين هما التطور والاختلاف في وجهات النظر وهذا يعني عدم إمكانية الركون

مطلقاً إلى أي يقين علمي . (1)

وفي قراءة كتابه (مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي) يقول البستاني:

ان المسوغ للكتاب الذي يقتادنا إلى أن نكتب تاريخاً لأدب اللغة العربية: مع أن هناك

عشرات النماذج التي صدرت في هذا الميدان، و هي أكثر تفصيلاً و عمقاً مما حاولناه في

هذه الدراسة المختزلة، إن التفصيل و العمق يكتسبان أهميتهما في حالة واحدة هي أن يوظفا

من أجل القيم الخيرة، أما أن تفصل الكلام وتتغلغل إلى أعماقه عرضاً و محاكمة و حصيلة

من أجل إبراز القيم الشريفة أو حتى من أجل القيم المحايدة التي لا تحمل خيراً أو شراً فأمر

لا يحمل أية قيمة، بل يحمل قيمة سلبية دون أدنى شك، من وجهة النظر الإسلامية و

الإنسانية أيضاً بصفة أن كل ما هو إنساني ينتسب بالضرورة إلى ما هو إسلامي، مادام

الإسلام يجد خاتمة المبادئ التي صاغتها السماء للكائن الادمي إنه من المؤسف جدا أن

تلحظ أن أدب الجنس و الخمر والغناء واللغو بعامته، مضافاً إلى الأدب الزائف (مدح الملوك

و الوزراء الخ) والأدب العدوانى (الهجاء الذاتى... وليس الموضوعى)، والأدب الذاتى

(1) ينظر: الإسلام والادب، محمود البستاني، المكتبة الأدبية المختصة، ايران، قم، ط1، 2001م، ص5

(الفخر ..). هذه الأنماط من الأدب السلبي تغطي خارطة النتاج المكتوب باللغة العربية، وغالبية الآداب الأجنبية أيضاً، في مطلق العصور⁽¹⁾ يذكر الدكتور محمود البستاني في كتابه (ادب الشريعة الإسلامية)* بأن (المؤرخين والدارسين و المعنيين بالخطاب الأدبي إذا كان البعض منهم قد تناول اللغة الجمالية للنص القرآني ، أو إذا تناول بنحو أشد ندرة في التعامل مع أدب المعصومين ، فإن الغالبية قد تغافلت عن ذلك ، و كثفت دراساتها للأدب الأرضي في مختلف عصوره و فنونه و اتجاهاته، أنه من المؤسف جداً أن نجد على سبيل المثال الكتب المؤرخة للأدب العربي تتجاهل أدب الشريعة الإسلامية ، بخاصة أدب الأربعة عشر معصوماً، ما عدا نصوص النبي ﷺ والإمام علي (ع) وتتجاهل سائر المعصومين الذين قدموا مختلف النصوص الفنية من خطب ورسائل و أحادي و الخ، بينما نجد الكتب المؤرخة للأدب العربي تقدم نصوصاً الى من هم أعداء الطائفة المحقة وهم ينهلون من تراثهم وبخاصة من تراث الإمام علي وسواء من المعصومين ، حيث أن الكتاب الذين ظهروا في القرون الموكبة والتالية لزمان المعصومين قد أفادوا بدورهم من أدب المعصومين (عليهم السلام) ، فإن الدراسة للأدب التشريعي من جانب، و نصوص الأدب للمعصومين من جانب آخر، تفرض ضرورتها : بخاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن النص القرآني الكريم يتسم بالإعجاز الجمالي ، و نصوص المعصومين بالكمال ، مع الأخذ بنظر

(1) ينظر: مختصر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي محمود البستاني مؤسسة أسنان القدس العضوية

للبحوث الإسلامية، إيران مشهد، ط1، 2002م، ص 1

*الادب التشريعي أو أدب الشريعة: ويقصد به البستاني نصوص القرآن الكريم والأحاديث النبوية، ونهج البلاغة، وأحاديث أهل البيت والأدعية... للاستزادة ينظر كتابه: الإسلام والفن، وكتابه: أدب الشريعة

الاعتبار أيضاً، أن النص الشرعي قد راعى من جانب لغة العصر و من جانب آخر تعامل مع ما هو (مشارك) بين الأجيال الأدبية، ومن جانب ثالث، استبق العصور اللاحقة، و هو أمر لا يثير الاستغراب: مادام التناول اللغوي لا يختلف عن الدلالة التي تضمنتها النصوص الشرعية من حيث اتسامها بما هو معجز و غيبي مما تفرزه عظمة الله تعالى. (1) ففي كتاب (أدب فاطمة الزهراء) " يتناول أدبياً خطبتي الزهراء البتول المعروفتين ومن المؤسف أن المجتمع الإسلامي لم يتوافر على أمثال هذه الكتابة إلا نشاطات معدودة مما يشير إلى مظلومية الصديقة الطاهرة" (2) أي لم تسلط الأضواء على أدب هذه الخطب على الرغم من ثرائها اللغوي والفكري.

أما كتاب البستاني (قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا) فيقول فيه: "ولعل من أنفع الأساليب وأكثرها رسوخاً في نفس المتلقي هو الأسلوب القصصي في القرآن الكريم الذي يستند في الدرجة الأساس إلى عناصره المتحركة، ومشاهده الواقعية، وصورة الفنية الرائعة، وجوانبه الدلالية، والتي أضحت وجهاً من وجوه الإعجاز القرآني، فتناولت الدراسات والأبحاث هذا الأسلوب التربوي للقرآن الكريم، فكتبت الكتب، وألفت الدراسات، ومن بين تلك الدراسات الجادة في هذا المضمار هي ما جاءت به قريحة الدكتور " محمود البستاني " وذلك في كتابه المائل بين يديك والموسوم ب: قصص القرآن دلاليًا وجماليًا، حيث تناول قصص

(1) أدب الشريعة الإسلامية، محمود البستاني، مؤسسة السبطين (عليهم السلام) العالمية، إيران، قم، ط1م، 2003،

ص8 و9

(2) أدب فاطمة الزهراء (ع)، محمود البستاني، دار الحسينين، إيران، قم، 2003، ص5

القرآن المجيد من زاويتين: الأولى الزاوية الدلالية (الفكرية) بما تحمله القصة من أهداف أراد القرآن توصيلها إلى المخاطب، فتوسل بالعنصر القصصي في تحقيق ذلك، بحكم كون القصة أشد تأثيراً على من يتوفر عليها، وأما الزاوية الثانية فهي الزاوية الجمالية، بصفة كون القصة نصاً أدبياً له بلاغته الخاصة، وعناصره المتنوعة، من شخصيات وأحداث ومواقف، وبيئات، وأدوات كالسرد والحوار بنمطيه الداخلي والخارجي وغير ذلك". (1)

وبالتفحص في كتابه (دراسات في علوم القرآن الكريم) حيث يعد هذا الكتاب آخر انجازات البستاني المعرفية قبل وفاته، تطرق فيه لعدة قضايا قرآنية حيث ذكرها العديد من الدارسين والباحثين في علوم القرآن الكريم ومنهم من لم يوفق بأرائه ومنهم وصل لشيء بسيط لكن البستاني اعاد النظر في هذه الدراسات القرآنية على وفق رؤية نقدية ثقافية* تمكنه من حل لهذه المشاكل التي شاعت بالأوساط العلمية سواء أكانت هذه الدراسات قديمة ام حديثة. (2)

اما ما يتعلق بالمحور الثاني: فهو اتجاه التأليف في العلوم الإنسانية لاسيما علم الاجتماع وعلم النفس ففي كتابه (الاسلام وعلم النفس) يذكر البستاني في ضوء (تحديد العمليات النفسية) (وتنظيمها) تقديم وجهة النظر الاسلامية مقارنة بوجهة النظر الارضية (أي وجهة نظر علماء النفس المنعزلين عن مبادئ السماء) بغية تحديد نقاط التلاقي بينهما في بعض

(1) قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا، محمود البستاني، مؤسسة السبطين (ع) العالمية، إيران، قم، ط1، ج1، 2004م، ص 8

(2) ينظر: دراسات في علوم القرآن، محمود البستاني، مدينة العلم، مطبعة البقيع، إيران، قم، ط1، 2007م
*الرؤية النقدية الثقافية: هي منهج نقدي يدرس النصوص والخطابات الثقافية من منظور واسع يشمل العوامل التاريخية والاجتماعية والاقتصادية بدلاً من التركيز على الجماليات النصية هدفها الكشف عن الانساق المضرة والهيمنة والقوة التي تشكل الخطاب الثقافي وتفكيك هياكل السلطة.

الخطوط التي تومض بملاحظة صائبة أو تجربة محكمة ينتهي البحث الارضي إليها، أو تحديد المفارقات التي ينطوي اليها في سائر اتجاهاته. علماً باننا لا نجد أنفسنا ملزمين باصطناع طرائق البحث الارضي في تناول (المادة النفسية) أو اصطناع لغته أو الوقوف عند الدائرة التي يحصر موضوعاته فيها، بل يمكننا أن نتجاوز ذلك الى تخوم علم الاجتماع والفلسفة مثلاً أو نختزل بعض موضوعاته حيناً آخر.⁽¹⁾

اما بخصوص كتابه (دراسات في علم النفس الإسلامي) فيحدد التصور الإسلامي للمرض (نشأة وعلاجاً ، يظل في - واحد من أنماطه - وهو (التفسير الوضعي) للمرض متوافقاً مع التفسير الذي اهتدى اليه مؤخراً مع افتراقه عن التفسير الأرضي في تصديه لظواهر ما زالت غائبة عن البحث الأرضي مثل العلاج بالنوم في أوقات خاصة على سبيل المثال ... بيد ان الاسلام لا يقف عند تخوم التفسير الوضعي للمرض (طالما يظل هذا التفسير منحصراً في أسباب دنيوية صرفة) ، بل يتجاوزه الى (التفسير العبادي) بصفته تفسيراً للحقيقة المطلقة لوجود الانسان على هذه الأرض)⁽²⁾ وفي كتابه (الاسلام وعلم الاجتماع) فقد أورد فيه ما نصه: (إسلامياً: لا ترديد في أن مهمة الانبياء منذ أول تجربة في الأرض ، متمثلة في آدم وخلفائه وانتهاء بنبوته محمد ﷺ واستمراريتها، وهذه المهمة قد اقترنت بقضايا (التنظيم) لمختلف السلوك البشري بشكل أو بآخر، ولا أدل على ذلك من ملاحظة (حكومة النبي حيث جسدت مفهوم (الدولة) و(وظائفها) بجلاء في شتى

(1) ينظر: الإسلام وعلم النفس، محمود البستاني، مجمع البحوث الإسلامية، مشهد، إيران، ط1، 1988م ، ص 8

(2) دراسات في علم النفس الإسلامي، محمود البستاني، دار البلاغة، بيروت، مج 1، ط1، 1988، ص150

الميادين : سياسياً ، وإدارياً، وعسكرياً ، واقتصادياً، كما ان التوصيات تؤكد قيام (الدولة) بشكل أو بآخر تحقيقاً للأهداف التي تمت الإشارة إليها، وكل ما في الأمر ان التصور الاسلامي لـ (الدولة) يتميز عن التصور الأرضي لها، لكونه ينطلق من مبادئ عبادية وفكرية لا بد من مراعاتها انسجاماً مع سائر المؤسسات الاجتماعية التي تنظمها المبادئ المشار إليها⁽¹⁾.

وكتابه (علم الاجتماع في ضوء المنهج الإسلامي) يقف البستاني على الاجتماع الأرضي ليتبين له صواب أو خطأ بعض تصوراته ومن ثم يقارن بينهما وبين التصور الإسلامي للظاهرة الاجتماعية.⁽²⁾ وأما المحور الثالث من منجزات البستاني فهي المحاضرات والمقالات والبحوث المنشورة في المجالات ومنها:

المحاضرات الصوتية المسجلة في علم البلاغة والتربية الإسلامية وعلوم القرآن الكريم وعلم النفس⁽³⁾

والمحاضرات المكتوبة مثل محاضرات النقد الأدبي التي ألقاها البستاني على طلبته في السنة الثالثة، تناول فيها موضوعات نقدية لا تبدو جديدة على الساحة النقدية على نحو ذلك

(1) الإسلام وعلم الاجتماع ، محمود البستاني ،مجمع البحوث الإسلامية ،لبنان،بيروت،ط1، 1994م،ص220

(2) علم الاجتماع في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، إيران، قم، ط1، 2002م، ص 15

(3) ينظر: محاضرات صوتية للدكتور محمود البستاني على موقع جامعة أهل البيت (عليهم السلام)

* جميع الألفاظ التي تشبه مثلاً كلمة (الأرضيون) في مؤلفات البستاني هي ما قام بها غير الإسلاميين

المذاهب الأدبية والفنون الأدبية مثل الشعر والقصة والأسلوب كما تطرق إلى تحليل النص

القرآني وكيفية دراسة النص الأدبي (1)

وأيضًا مقالاته مثل مقالة رد على نقد حيث تناول فيها نقد الدكتور عز الدين إسماعيل

لقصيدته (هي وآيار والشتاء) إذ يرى عز الدين إسماعيل القصيدة من الاقسام التي فيها

ضبابية وتوحي بتمزق التجربة وعلى نحو ذلك يرد البستاني على نقده ،وإذا عرفنا أن الناقد

يعد في أثناء نقده العمل الفني وحدة متسقة لم يتأطر بالصور الجزئية ما لم تتربط عضويا

وينظر اليها كبناء عام، ككل ، فإنّ المقطع الثاني يرتبط في تجربته الخاصة ، وينتمي معناه

الى المقطع الأول، فكيف يسمح لنفسه ان يستل بعض الصور من دون أن يعكسها على

الرؤية في مجملها - خلافا لما يؤكد عليه، والذي أخاله، أن الوحدة العضوية اذا لم تتماسك

على النحو المطلوب خلقا، فإنّها - على الاقل - لم توح بتمزق التجربة على النحو الذي

حكم به الناقد الكريم (2)

كما أنّ له بحثًا منشورًا في مجلة الكلمة بعنوان القيم الجمالية والفكرية تناول فيه موضوعات

مهمة شغلت عقول النقاد منها قضية تحديد المفهوم بالنسبة للأدب وقضية الشكل

والمضمون (3)

(1) ينظر: محاضرات النقد الأدبي، محمود البستاني

(2) ينظر: مجلة الآداب، مقال رد على نقد، محمود البستاني، العدد 5، مايو 1964، ص ٧٢

(3) ينظر: مجلة الكلمة، العدد 3، شباط 1971، السنة الثالثة

كما نشر أيضًا بحثًا في مجلة الكلمة تناول فيه تحليل قصيدتي بدر شاكر السياب التي بعنوان (المسيح بعد الصلب) وقصيدة أخرى للشاعر صلاح عبد الصبور من خلال السياق والدلالة والتركيب والايقاع والتخييل الخ. (1)

بالإضافة إلى الأبحاث المنشورة مثل دراسات في عمارة السورة القرآنية إذ اتخذ نماذج تطبيقية من النص القرآني مثل سورة الأحزاب وسورة سبأ وسورة صاد (2)

انجز البستاني هذه الدراسات المذكورة آنفاً لذلك نجده توقف عن التأليف قبل اربع سنوات من وفاته حيث استقر بعد هذه الكتابات نضوجه المعرفي، حيث إن إسهامات البستاني في مؤلفاته التي ذكرناها سابقاً حافلة بكل ما هو جاد وأصيل ، فالملاحظ انها تنطلق من منظومة تتسم بالعمق والموسوعية الجادة الخ بحيث يقف المتلقي أو الدارس أمام طاقة تعبيرية وزخم هائل من الرؤى المبدعة الى جانب الأدوات الأخرى التي يعتمدها البستاني في بلورة أفكاره ونظرياته ، ومما ينبغي التأكيد عليه ، أن هناك سعة أعطت نتاجاته المعرفية مزيداً من الانشدادية والانتشار عند قرائه والمتابعين لأعماله. (3)

أما بعد وفاة الدكتور البستاني فقد طبع له مؤلف معرفي جديد حيث جمعت محاضراته الصوتية في علوم القرآن الكريم في كتاب عنوانه: (محاضرات في علوم القرآن الكريم) حيث يذكر بأن النص القرآني يتضمن جوانب وفق صياغة خاصة متممة بجانبين هما: الجانب

(1) ينظر: مجلة الكلمة، العدد الأول، كانون الثاني، ١٩٧٢م، السنة الرابعة، ص ١٩-٣٧

(2) موقع <http://maarefquran.com>

(3) علم الاجتماع في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، إيران، قم ، محدث، ٢٠٠٢، ١٥ ص 1

العلمي ويتناول كل ما رسمه الله سبحانه وتعالى لنا والجانب الفني فيتناول الظاهرة الاعجازية التي تخص نبينا الأكرم محمد (ص) بالنسبة إلى صياغة النص القرآني من حيث فنية البلاغة وما يتضمنها من خصائص متنوعة والأهم أنّ النص القرآني يتناوله البستاني من زاوية علومه وتاريخه وما يرتبط به من بدء نزوله إلى انتهاء نزوله وما يتضمنه من ظواهر وقضايا متنوعة يتصل بعضها بالواقع ومتطلباته ومتطلبات كل واحد منا من بعد معرفي يتعين علينا ان نفهم ماذا يتضمن كتاب الله سبحانه وتعالى.(1)

ونلمح البناء المعرفي الذي أفرزه خطاب البستاني النقديّ كان يقع ضمن تخطيط مدروس تتواشج في نسجه أكثر من أداة، حاولنا فيما مضى ذكر قسم من نماذجها، وتركنا الجزئيات الاخرى لذا فإنه يمثل تجربة متكاملة ذات أسلوب يتسم بإعتماده الدقة والخبرات العلميّة في توصيل المعرفة بشتى مستوياتها ومختلف تخومها الى المتلقيّ، ممّا يجعل القارئ أو المتابع يتحسس بنكهة خاصة وتميز واضح فيما لو حاولنا مقارنتها بأعمال الدارسين الآخرين، وهي بعد ذلك كله أصداء حية لوعيه الفكري والعبادي .

وتستنتج الباحثة من خلال ما تقدم ذكره: أن المنجز المعرفي للدكتور محمود البستاني مرّ بمرحلتين :

أ-المرحلة الأولى: مرحلة التأسيس، اذ تمثل التخطيط الأول للفكر النقديّ عند البستاني لاسيما ما وظفه في كتابه الأول في النظرية النقدية اذ يبدو للقارئ من خلال كتب المرحلة

(1)ينظر محاضرات في علوم القرآن الكريم، محمود البستاني، مؤسسة البلاغ، لبنان، بيروت، ط1، 2013م، ص 7 و8

الأولى أن الناقد البستاني يحاول توظيف كل الآليات النقدية الممكنة والمتاحة لتعامل نقدي سليم منطلقاً من مبدأ أن طبيعة المتن الأدبي المشتغل عليه هو من يحدد الاشتغال النقدي.

ب- المرحلة الثانية: مرحلة الاستمرار التراكمي أي تراكم المعرفة على نحو ملحوظ في مؤلفاته إذ يسعى في ذلك إلى توضيح آرائه للقارئ على نحو ما نراه في كتابه القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي والإسلام والأدب إلخ، حيث يظهر توظيف المنحى النقدي سعياً لتراكم معرفة إسلامية إصلاحية، لذلك فالممارسة النقدية المنفتحة على كل أشكال الحياة الفكرية والمتحصنة بذخيرة معرفية متجددة هي ممارسة تتصف باتساع الأفق وانفتاح التجربة النقدية، وهما أمران لا مندوحة عنهما لتأسيس كل رؤية نقدية متفاعلة وطامحة إلى تجديد القناعات النظرية والمواقف والمعالجات النقدية في المشهد الثقافي الذي ينتمي له الناقد الأدبي ، لكن الذي يحكم هذا المنجز المعرفي هو منهج البستاني الذي سوف تظهر ملامحه من خلال ما سنعرضه في الصفحات القادمة .

الفصل الثاني

في المفاهيم النقدية عند البستاني

- إضاءة: في دلالة المفهوم
- المبحث الأول: مفهوما الأدب والفن، ومفهوم الأدب الإسلامي
- المبحث الثاني: مفهوما النص، والنص المعصوم
- المبحث الثالث: مفهوم الإعجاز القرآني
- المبحث الرابع: مفهوما الشعر، والشعر الملتزم
- المبحث الخامس: مفهوما النقد، والنظرية النقدية
- المبحث السادس: مفهوما الشكل، والمضمون
- المبحث السابع: مفهوما التراث، والمعاصرة
- المبحث الثامن: مفهوم الحداثة

إضاءة: في دلالة المفهوم:

المفهوم هو أداة إجرائية معرفية، تستخدمها الذات العارفة؛ لصنع معرفتها بالأشياء وبنفسها إذ هناك جملة من الاعتبارات والعوامل تجعل المفهوم ثمرة المعرفة المتطورة من اللاشعور إلى حدس، من خلال آليات صنعت منه وسيلة يستخدمها العقل ليستكمل إنجاز هذا الفعل النقدي، فالمفهوم -ببساطة- هو الوحدة الأولية في سيرورة تكوين المفهوم . (1)

إن مواصلة البحث في المفاهيم عند البستاني، لها أهمية قصوى في إنتاج خطاب علمي دقيق، بل لخلق تواصل بين مختلف المعارف والفنون وبين مختلف الثقافات والحضارات ، كما أنّ تاريخ المفهوم يوقفنا على الظروف والملابسات العلمية وغير العلمية التي ظهر فيها، وكذلك ما يعترى المفهوم من تطورات عند الاشتغال به في الحقل النقدي، ومثل هذا البحث يساعد على فهم التصورات التي تتحكم في التشييدات النظرية، والتطبيقات العملية في مختلف الدراسات الإنسانية والأدبية المعاصرة، ولهذا تعد المفاهيم أداة لخلق تواصلات مختلفة من شأنها أن تساعد على إنتاج معرفة علمية سليمة، عندما تستوفي هذه المفاهيم قدرًا من البحث الدقيق، لهذا ارتأت الباحثة أن تنظّم البحث في المفاهيم، مركزة على أشكال التواصل التي تساعد عليها مختلف المعارف والفنون، لأنّ المفاهيم الصحيحة تساعد على

(1) ينظر: مفهوم التراث في النقد الأدبي العربي الحديث، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة من قبل الطالب محمد الطيب القويدي، الى كلية الآداب واللغات، جامعة الجزائر، ٢٠٠١م، ٢٠٠٠ ص ٩

إنتاج معرفة وتواصل صحيح، لذلك وإن اختلف تصوّر البستاني في هذه المفاهيم إلا إنها

جميعاً تصبُّ في حقل معرفي يدور في فلك إسلامي. (1)

لذلك يمكن القول: إن الناقد الأدبي في عصر ما هو الذي توكل إليه مهمة بلورة المفاهيم

النقدية الخاصة ببيئة ثقافية معينة، وهو الذي يرفع قيمة العمل الأدبي أو يسقطه، على وفق

الأفكار التي يغطي بها الواقع الثقافي، والمناخ الثقافي الذي يتأثر به ويؤثر فيه بالدرجة

الأولى، هذا إلى جانب مساهمة الناقد الأدبي في الحياة الثقافية واقترابه من التطور المعرفي

المباشر واستعماله لعلوم عصره؛ وذلك يعني أن الناقد يؤسس لقواعد أدبية، فيساهم في إنتاج

له خواص وسمات معينة له الفضل في تأسيسها عن طريق تشكيل القواعد والمفاهيم الأدبية

المطبوعة بطابع الحداثة، وتنظيم المضطرب منها وإعادة تقويمه، فضلاً عن التطور

المعرفي الحديث الذي ساهم في نشر المزيد من العلمية والمنهجية وكل ذلك جعل من الناقد

شخصاً مختلفاً في وظيفته عن الأديب، كل له مجاله المحدد الذي لا يجعله تابعاً للآخر أو

محتاجاً إليه، لأن المقاييس التي يتعامل معها كل منها تفرض عليه هذا الاختلاف والتمايز

إلى تلك الدرجة التي تسمى بالتناقض بين ما يريده الأديب ويتوصّل إليه الناقد. (2)

واستناداً لذلك سنحاول إيضاح أهم المفاهيم النقدية التي ركّز عليها البستاني، نحو الآتي:

(1) ينظر: المفاهيم وأشكال التواصل، تنسيق محمد مفتاح وأحمد بو حسن، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

الرباط، المملكة المغربية، ط 1، 2001م، ص 9

(2) ينظر: البعد النقدي، قراءات في الأدب والفكر، رمضان سليم، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع والإعلان، طرابلس،

1987م، ص 9، 10

المبحث الأول: مفهوما الأدب والفن، والأدب الإسلامي

ليس الحديث عن مفهوم الأدب والفن وتحديد معناه أمراً يسيراً، إذ كتب فيه الفلاسفة والمفكرون والنقاد كتباً ومجلدات؛ لذلك اختلفت فيه آراؤهم ووجهات نظرهم، تبعاً لاختلاف مواقفهم ومذاهبهم ومناهجهم الفكرية والفلسفية (1).

مما لاشك أن البستاني تطرق إلى مفاهيم نقدية في الدرس النقدي العربي والغربي، إذ تحدث عنها عدد غير قليل من النقاد والباحثين الذين سبقوه، ويجدر بنا أن نبدأ بمفهوم الأدب، لكونه أصلاً قديماً وجديداً في النظرية الأدبية والنقدية، يعرفه البستاني: بأنه "الجمال والمعرفة" (2) أي أن البنى الفكرية في النص عنصر غائي ولا تتحقق غائية النص في العمل الأدبي لوسائل السرد العادي بل بوسائل التقنية الجمالية، ويمكن أن نوضح ما أراده البستاني إذ اقتران الأدب بالمعرفة لا يمكن أن نقول عنه: مفهوماً جديداً، إذ أشار إليه (رنييه وليك وأوستن وارن) في كتابهما نظرية الأدب؛ وذلك على وفق قولهم: "واضح أنها ليست مسألة أفكار في عمل أدبي، طالما ظلت هذه الأفكار مجرد مادة أولية أو معلومات فالمسألة تنشأ عندما تدخل هذه الأفكار في نسيج العمل الأدبي وتصبح عنصراً مكوناً فيه بالاختصار عندما تتوقف هذه الأفكار عن كونها مفاهيم، وتصبح رموزاً أو ربما أساطير، هناك المجال

(1) ينظر: في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، فائق مصطفى، وعبد الرضا علي، دار الكتب للطباعة والنشر،

العراق، الموصل، ط 1، 1989م، ص 11

(2) في النظرية النقدية، محمود البستاني، ص 76

الفسيح للشعر التعليمي، حيث ترد الأفكار في صورة تقريرية، وتزود بالوزن الشعري وبعض المحسنات من استعارة أو كناية⁽¹⁾

كما أنّ الواضح من خلال تعريف البستاني للأدب بان هناك علاقة بين الأدب والجمال إذ إن (الجمال) يحدد في العنصر الايقاعي والعنصر الصوري لتحقيق مهمة الفن بالإضافة إلى عناصر أخرى لاحظ وجودها في النص القرآني وهي: العناصر التي تتجسد في قوالب أو أدوات مختلفة من التعبير، منها ما هو (لفظي) مثل انتقاء العبارة و متانة تركيبها، ومثل تجانس الحروف و توازن العبارات في مطلق الكلام، و منها ما هو (بنائي) أو (هندسي) مثل صوغ العبارات أو الموضوعات وفق تخطيط خاص بحيث يترابط بعضها مع الآخر بنحو تكون بين كل عبارة وأخرى أو موضوع و آخر: علاقة سببية بالنحو الذي لحظناه في سورة الكهف مثلاً... و منها ما هو (شكلي) مثل القصة أو المسرحية أو الخطبة أو السورة... إلخ، حيث تخضع كل واحدة منها الى صياغة خاصة، ومنها ما هو (موضوعي) مثل: انتخاب الموضوع من حيث فائدته النفسية أو الاجتماعية، ومن حيث اقترانه بما هو طريق أو مدهش: حيث يساهم انتخابنا لنمط الموضوع وطرافته في اضافة عنصر (الجمال) عليه.⁽²⁾

(1) نظرية الأدب، رينيه وليك وأوستن وآرن، تعريب الدكتور عادل سلامة، دار المريخ للنشر، الرياض، المملكة العربية السعودية، ١٩٩٢م، ص ١٧٠

(2) ينظر: محاضرات في علوم القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ١٨٠، ١٨١

أما الفن عند البستاني فهو " التعبير عن حقائق الحياة، فإذا كانت اللغة العلمية أو العادية التي نستخدمها في حياتنا اليومية تتميز بكونها تعبيراً مباشراً عن الحقائق، فإن اللغة الفنية تتميز بكونها تعبيراً غير مباشر عنها والفرق بين اللغة المباشرة وغير المباشرة ان الأولى منها تعتمد نقل الحقائق بصورتها الواقعية، بينما تعتمد لغة الفن عنصر (التخيل) أساساً لها، أي العنصر المتمثل في إحداث (علاقة) جديدة بين الحقائق التي تستهدف نقلها إلى الآخرين، (عادياً) أو (علمياً) لكن عندما نقول مع الآية الكريمة ﴿مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة﴾⁽¹⁾ حينئذ يكون هذا التعبير (فنياً)، والمسوغ لإحداث هذه العلاقة بينها هو تعميق الهدف أو الدلالة في ذهن المتلقي (القارئ، المستمع، المشاهد)".⁽²⁾

وبما أن الأدب تعبير لغوي فاللغة الأدبية تختلف عن اللغة العلمية واليومية على الرغم من أن مجالهما توصيل المعرفة الإنسانية فالعالم يتناول حقائق الواقع ويصفها كما هي غير مضيف إليها أي شيء من داخله أو من مشاعره وتصويراته إنما ينسج الواقع وحقائقه وقوانينه أما الأديب فلا يهتم الواقع ولا حقائقه وقوانينه وإنما تهتم نفسه وحقائقها الوجدانية وذخائرها الشعورية لذلك يمكن القول: بأن ركون الأدب إلى عنصر ذاتي والعلم واللغة اليومية إلى عنصر موضوعي⁽³⁾ وهنا تجدر الإشارة إلى إن الادب إنتاج ذاتي لكن برؤية اجتماعية وسياسية وفنية قد تكون أحياناً عالمية، فالأدب هو انعكاس لهموم المجتمع.

(1) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ٢٦١

(2) الإسلام والفن، محمود البستاني، ص ٧

(3) ينظر: في النقد الأدبي، شوقي ضيف، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، د.ت، ص ٦٩

من الواضح بأن مجال الفن أغزر نتائجًا من مجال الأدب عند البستاني؛ لأنه يشمل إضافة إلى الكلام المنطوق والمكتوب أنماطًا تعبيرية أخرى تعد بمثابة رمزٍ أو بديل للكلمة كما هو الأمر بالنسبة إلى الفنون المختلفة نحو الرسم والنحت وسواهما، وذلك لأن الأدب استند إلى لغة ذات صياغة خاصة، تعتمد الكلام المنطوق أو المكتوب، مقابل الأشكال الأخرى (الفنون التشكيلية، الموسيقى الخ) (1)

أما في مجال طرح نظريتي الفن للفن والفن للحياة إذ تنصّ النظرية الأولى، على أنّ الفنان ينتج لنفسه دون أن يفكر بالآخرين، لأنّه لا يريد أن يتحمل المسؤولية فقد يكون الفنان متدفقًا وراء شهواته وانحلال شخصيته فهو ذاتي مغرق بالذاتية أما النظرية الثانية وقد تنصّ على أن الفنان يفخر بأهدافه واتجاهاته وخدماته الاجتماعية إذ له فاعلية في عملية التغيير نحو الأحسن. (2)

اذ يرى البستاني أن طرح هاتين النظريتين مخطئٌ أساسًا فليس من المعقول أن يختلف اثنان في أن الفن موظف لإشباع الحاجات الإنسانية كما أن الفن المعاصر تجاوز هاتين النظريتين لمفروضيتهما في الذهن (3)

ويندرج مفهوم الأدب والفن عند البستاني بمفهوم واحد وهو "التعبير الجميل عن الحقائق بغض النظر عن الشكل الخارجي لهذا التعبير، وبغض النظر عن حجم العناصر الجمالية

(1) ينظر: الإسلام والأدب، محمود البستاني، ص ٤

(2) ينظر: مقدمة في النقد الأدبي، علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط ١، ١٩٧٩ م، ص ١٧، ١٨، ١٩

(3) ينظر: الإسلام والفن، ص ٩

فيه، فالجمال يتأتى من مجموعة عناصر، حيث يتفاوت تركيز هذه العناصر من شكل لآخر أو نص لآخر. وما دام توفر أحد العناصر أو بعضها أو جميعها متحققاً في النص، فحينئذٍ يكتسب صفة الفن: حتى لو كانت نسبة الاستعمال ضئيلة، وحتى لو كانت الحقائق المستهدفة توصيلها: حقائق علمية تستند إلى لغة الأرقام والمنطق إلا أنها وشّحت بشيءٍ من عناصر الفن". (1)

وتأسيساً على ما سبق: من خلال تحديد مفهومي الأدب والفن عند الدكتور "محمود البستاني" وهنا نلاحظ أولاً أنه يطلق على الأدب كلمة الفن وهو في عرف المعاصرين إطلاق صحيح مقبول، وإن ظهر لنا أن المتقدمين لم يتحروا دائماً التفرقة بينه وبين العلوم . (2)

وإذا كان مفهوم الأدب الإسلامي عند النقاد قاصراً على أدب عصر صدر الإسلام والعصر الأموي، فالمحدثون لا يفرقون بين عصر وعصر، في مفهوم الأدب الإسلامي، فشوقي شاعر إسلامي وحسان كذلك، ومصطفى صادق الرافعي أديب إسلامي، والإمام علي بن أبي طالب (ع) بليغ من أعظم بلغاء الأدب الإسلامي... والمهم أن يكون مضمون أدب الأديب شعراً ونثراً - حكمة وقيماً إسلامية (3)

(1) تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، ص ٥٩

(2) ينظر: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١٠، ١٩٩٤م، ص ١٤

(3) ينظر: الأدب الإسلامي المفهوم والقضية، علي علي صبح، عبد العزيز شرف، محمد عبد المنعم خفاجي، دار

الجيل، بيروت ط ١، ١٩٩٢م، ص ١٠

كما إن البستاني لم يستخدم مصطلح الأدب الإسلامي وإنما اعتنى بمصطلح آخر بديل هو أدب الشريعة فيحدد هذا النوع من الأدب عنده بأنه: كلّ أدب ملتزم بالمبادئ الإلهية، وتوصيلها إلى الآخرين بلغة جمالية وأدبية وتتمثل هذه اللغة في نصوص القرآن الكريم والنبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) والمعصومين (عليهم السلام)

وفي ضوء ذلك يحدد البستاني مهمة الأدب في ثلاثة عناصر:

العنصر الأول: التوصيل، وهنا بمقدور المتلقي ان يتمثل النص أبداعاً او دراسة وأن يستوعب دلالاته مع عدم وجود حاجز يقف حياء ذلك

والثاني هو الغموض الذي يحتجز المتلقي عن التمثل (الاستيعاب) فيقف ظاهرة مضادة لمهمة الكاتب الإسلامي، حتى لو تحول (الغموض) في الأدب المعاصر إلى ظاهرة جماعية تسم العصر، فتوفيق الكاتب الإسلامي يتعين عليه ان يوفق بين المبادئ المفتوحة التي تركها الإسلام وبين ان ينتخب ما يتوافق فنياً مع عصر الكاتب وبين الدعوة إلى نبذ الغموض وهو سمة العصر، وعلى وفق لغة العصر لا يعني الانسياق المطلق لهذه اللغة بقدر ما يعني: الأساليب الفنية واستثمارها في تمرير التجربة الإسلامية، بمعنى إن انتقاء هذا الأسلوب أو ذاك إنّما هو (أداة) لتوصيل المبادئ، فان إطالة الأسلوب ذاتها (عيب) يحتجزها عن عملية التوصيل، حينئذ تنتفي مشروعية الأسلوب ذاته، وهذا ما يتجسد في ظاهر الغموض.⁽¹⁾

(1) ينظر: الإسلام والادب، ص ٣٠

وأما الثالث فهو الضبابية، وتعني: عدم إمكانية الاختراق لطبقة الضباب الحاجزة عن الرؤية تماماً... والنصوص الإسلامية على النمط الأول من الغموض، وفائدة مثل هذا الغموض تتضح بجلاء إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن مساهمة المتلقي في كشف الدلالة يحقق له مزيداً من الإمتاعين: الدلالي والجمالي، فمن حيث الدلالة فإن المتلقي حينما يكتشف بنفسه هذا النمط أو ذلك: يتحسس حينئذ بالإمتاع، لأن الحاجة إلى المعرفة تجسد أحد مكونات التركيبة البشرية والأدبية بالنسبة إلى الإمتاع الجمالي، لذلك يرى البستاني، ثمة فارق بين غموض (يكشف) عن دلالات النص، وبين غموض يصيب دلالاته، والأول هو المطلوب، والأخير هو المرفوض: السبب واضح هو: عدم تحقيقه للمهمة التوصيلية التي يضطلع بها الكاتب الإسلامي. (1)

دعا البستاني إلى اقتران الفن بمصطلح (الالتزام) وهو كلمة قديمة لها أصل في اللغة وهو أن يتقيد الأدباء وأرباب الفنون في أعمالهم الفنية بمبادئ خاصة وأفكار معينة يلتزمون بالتعبير عنها والدعوة إليها ويقربونها إلى عقول الجماهير، ويحبونها إلى قلوب الناس وبهذا المفهوم يصبح الأديب صاحب رسالة في التثبيح والتوجيه والشرح والدعوة إلى الإصلاح وبهذا المفهوم يصبح الأديب ملتزماً، أما الأديب الذي لا يتقيد بتلك الأهداف، بل يعبر عن ذاتيته وعن تجاربه وعواطفه وانفعالاته، متحرراً من سائر القيود التي تحد من حريته في التعبير عن مشاعره، فهو أديب غير ملتزم، ولا شك أن الدعوة إلى الالتزام تحمل في

(1) ينظر: الإسلام والأدب، ص ٣٠

مضمونها الاعتراف بقيمة الفنون بعامة والأدب بخاصة، والاعتراف كذلك بتأثيرها البعيد في حياة المجتمعات الإنسانية، وفي نفوس الذين يعيشون فيها، لتنتقل في سبيل المبادئ ودعوات الإصلاح التي رسمتها أو التي رسمت لها، ولتحقق الغايات التي حدّتها تلك الدعوات وتبشر الناس بالسعادة التي يمنيهم بها الدعاة إليها إذا التزموا بها، وجروا في مضاهاها.⁽¹⁾

ومعنى هذا أن الفنان عندما يعبر عن انفعاله، وأنّ هذا الانفعال تابع لتصوراته عن الأمور وعن الأشياء وهذه التصورات للكون من حوله وللأشياء مرتبطة بتكوينه الثقافي وما بنى عليه بناء يجعله ملتزماً بهذه من دون تكلف عن هذه الأفكار التي استقرت في وجدانه ومن هنا يكون مضمون الالتزام في الأفكار التي استقرت في وجدان الأديب، وملكت مشاعره وفي تصورات المرتبطة بهذه الأفكار تصورات عن الكون، وعن الحياة وعن الناس والعلاقات الاجتماعية وتصورات عن النفس الإنسانية، وعمّا يصيبها من آلام، وأفراح وأحزان فهذه التصورات جميعاً تختلف من فنان لآخر من ناحية الالتزام.⁽²⁾

لذلك يرى البستاني الفن الذي يعنى بالمتلقي في ضوء الاتجاهات غير الإسلامية الملتزمة أمراً غير موجود في ميدان التطبيق، إذ الفنان يحصر نشاطه في ظواهر محدودة تشترك الإنسانية فيها جميعاً، كما إنهم لم يلتزموا عملياً بمبادئهم حيث نجدهم يتناولون ظواهر تتسم

(1) ينظر: قضايا النقد الأدبي، بدوي طبانة، دار المريخ للنشر، الرياض، ١٩٨٤م، ص ١٥

(2) ينظر: الالتزام في التصور الإسلامي، محمد رأفت سعيد، دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١،

بطابع النسبية التي يرفضونها وهذا على العكس من الاتجاهات غير الملتزمة التي ترى الجانب السلبي أمرًا مشروعًا في الواقع الإنساني كما ان هذه الاتجاهات بنمطها لا تتوافق مع التصور الاسلامي الذي ينطلق في ممارسته للفن من مفهوم عبادي خاص هو ان الاشباع الجمالي الصرف لا قيمة له ما لم يقترن بهدف كما أن الالتزام بهدف ينبغي أن يتحدّد وفق مبادئ الاسلام⁽¹⁾

إضافة إلى ذلك ماهية الأدب تكمن في المتعة والمنفعة اللذين مصدرهما تلك الأشياء التي نجدها في العمل الأدبي، والتي لها أهمية إنسانية، فبمقدار ما يكون لهذه الأشياء من أهمية يكون إمتاعها ونفعها لنا، لذلك يضع البستاني هذين الاتجاهين مجتمعين من ضمن الاتجاهات الملتزمة التي تسهم في نجاح النص الأدبي جماليًا، لتوصيل المبادئ الإسلامية للأخريين ومدى انعكاس هذه المبادئ على اللغة الجمالية⁽²⁾

في ضوء ذلك، فإن (الفن) موظف لإنارة الأفكار وليس لمجرد الإمتاع الذي يطبع بعض الاتجاهات الأرضية في صورتها لوظيفة الفن.⁽³⁾ فالأدب في نظر البستاني محاكاة ولكنه من خلال الرؤية العبادية التي تصل بين المحاكي وابداع الله تعالى ، وقد يكون (فيضًا تلقائيًا تعبيريًا) من خلال الرؤية العبادية التي تتواصل مع الله تعالى ، وقد يكون خلقًا أو تجاوزًا لواقع ولكنه نموذجي للمبادئ العبادية المطلوبة ، وقد يكون انعكاسًا للواقع لكن ليس

(1) ينظر: الإسلام والفن، محمود البستاني، ص ١١، و ١٢

(2) ينظر: الإسلام والادب، محمود البستاني، ص ١٠

(3) ينظر: دراسات فنية في قصص القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٨

بمعناه الطبيعي والماركسي أيّ التزام بمبادئ السماء، لذلك التصور الاسلامي للأدب لا ينتسب إلى مذهب أدبيّ خاص (من حيث السمات التي تطبع مذهباً دون آخر) بقدر ما يشكل لنفسه مذهباً مستقلاً نسبياً يتعامل مع أدوات اللغة الجمالية (الايقاع، البناء، الخ) (التخيل، العاطفة، المنطق الخ، بقدر ما يتطلّب نمط الخطاب من حيث دلالاته المستهدفة، وبذلك يتحرر من (الثوابت) ويتكيف مع (المتغيرات) التي يفرضها العصر، لكن في نطاق له استقلاله وتحفظاته حيال ما هو متقاطع مع التصور الاسلامي للحياة⁽¹⁾

وفي نظر البستاني إن الأدب ينبغي أن يكون هادفاً بالضرورة مع افتراض خصيسته الجمالية؛ لأنه هناك محاولات منوعة تمت الى العبث واللغو وما اليها من ظواهر السلوك الفردي والاجتماعي تتفق كافة الأيديولوجيات الروحية والاجتماعية على إنها لا تخدم الانسان في تظلماته الى الأفضل⁽²⁾

نستنبط مما تقدم: أنّ الناقد محمود البستاني من أشد النقاد الملتزمين الداعين الى الأدب الملتزم ففي رؤيته للأدب ينطلق من مرجعية عربية تراثية، لذلك فالأدب ينبغي ان يقترن هذا بهدف لكون الإشباع الجمالي لا يمكن أن يتحقق مالم يقترن بهدف، وهذا الهدف بنفسه هو الالتزام في توصيل مبادئ الإسلام إلى الجماهير، وبعد أن طرح البستاني مسألة الالتزام من غير ربطها بزمن معين، وتراكم الخبرة النقدية له فقد حاول أن يمد مفهومه التنظيري للالتزام إلى التطبيق العملي وهذا ما دفعه إلى دراسة الأدب التطبيقي وليس فقط دراسة الأدب

(1) الإسلام والأدب، محمود البستاني، ص ٤١، ٤٢

(2) ينظر: محاضرات الدكتور محمود البستاني، ص ٥

الصرف، لذلك البستاني يتوسم بالأدب الذي يحقق الغاية الجمالية المعززة بتحقيق الغايات الإنسانية ليكون في خدمة الإنسان لا أن يمدّ الفوضى والعبث إلى واقعه، بل يحقق إضاءة لوجوده بعد ما يمدّه بالمعرفة والجمال والثقافة كما لمنهجه المتعة العميقة والفهم الشامل للحياة من خلال لغة فنية سليمة .

المبحث الثاني: مفهوم النص، والنص المعصوم

يمكن ان يحدّد مفهوم النص عند البستاني كيان معرفيّ فهو ليس مجرد كلمات أو تراكيب لغوية، بل هو بنية دلالية تتجاوز ظاهر الألفاظ لتصل إلى عمق المعنى، حاملاً لرؤية فكرية وقيمية. لذلك ينطلق البستاني في تحديده لمفهوم النص من المنظور الإسلامي إذ يحدد أربعة أنماط من النصوص التي تواجه الناقد المسلم في عملية النقد وهي نص اسلامي ، نص إنسانيّ ، نص محايد ، نص منحرف ؛ وذلك لأن الناقد الملتزم ينطلق من التصور الاسلامي بتوصيل مبادئ الله تعالى إلى الآخرين من خلال : كشفه لخصائص النص فكراً وجمالياً ، فإن الخطوة الأولى هي : رفضه للتعامل مع النص المنحرف أساساً ، ذلك من الوضوح بمكان كبير ، إذ إن النص المنحرف يتقاطع أساساً مع مهمة الناقد المسلم الملتزم ، وبما أن اللغة الجمالية في التصور الاسلامي (أداة) لا (غاية). * (1) فهي تسقط الأداة أساساً في حالة توظيفها لما هو (منحرف) من المبادئ؛ لأن الناقد اذا اتجه إلى النص المنحرف وتناوله من الزاوية الفكرية وحكم عليه بالرداءة من هذا الجانب ،حينئذ تتحول

(1) ينظر: الإسلام والأدب ، محمود البستاني ، ص ٣٢٤

* لا يمكن أن تعد اللغة أداة فقط وإنما غاية ايضاً

الممارسة إلى (نقد فكري) لا (نقد جمالي) تنتفي خلاله مشروعية النقد الأدبي، وتبرز مشروعية النقد كموقف فكري، لذلك يرى البستاني التعامل مع النص المنحرف فكرياً ، محظوراً على الناقد المسلم الملتزم بالمقابل، يظل التعامل مع النص الإسلامي محكوماً بالضرورة ، تماماً على العكس من التعامل مع النص المنحرف⁽¹⁾ وحينئذ أن مهمة الناقد في التعامل مع النص الإسلامي هي : الكشف عن الخصائص الجمالية للنص إيجاباً أو سلباً ، أي في هذا النطاق ينبغي ألا يتغاضى عن عيوبه الجمالية حتى يحتفظ بموضوعية ممارسة النقد، أما النمط الثالث من النصوص وهي النصوص الانسانية العامة، فلا حرج في تناولها ما دام ما هو (إنساني) لا ينفصل في حقيقته عما هو (إسلامي) ، فالتعاون والاستقامة والإخلاص والمحبة الخ ، ومحاربة الاستعمار والاستغلال والظلم والاحتكار الخ، تظل قواسم مشتركة بين التصورين : الإسلامي والأرضي وفي نزعاته الإنسانية ، وعندها فإن تناول الجمالي للنص الإنساني يكتب مشروعيته أيضاً أما النمط الأخير (المحايد)، فلا حرج من تناوله جمالياً ، لكن مع لفت الانتباه على ضرورة تدخل الناقد الاسلامي لـ (أدلجته)، كما لو فرض تناوله لنص بتفاعل مع الظاهرة الكونية (الطبيعة مثلاً) ، حيث يتدخل الناقد ليصل بين الظاهرة المشار إليها وبين عظمة (المبدع) تعالى.⁽²⁾

هذه الخطوط العامة للنص الأدبي التي جعلت من البستاني أن يتجه إلى دراسة نصوص

القرآن الكريم والمعصومين (عليهم السلام)

(1) ينظر: الإسلام والأدب ، محمود البستاني ، ص ٣٢٤

(2) ينظر:المصدر نفسه، ص ٣٢٥

فالنص الشرعي (نصوص القرآن الكريم، والمعصومين (عليهم السلام) يعتمد اللغة المباشرة* على وفق أداء علمي من دون أن تتوكأ على عناصر التخيل والإيقاع ونحوهما من أدوات التعبير الفني كما أن هذه النصوص اغلبها قد روعي فيها الأداء الجمالي.⁽¹⁾ وفي ضوء ذلك يتحدث البستاني عن النص القرآني إذ بمقدور الناقد أو الدارس أن يتناوله على وفق عمارة السورة القرآنية أي بمقدوره أن يتناول العناصر المكونة له مثل العنصر الشكلي والمقوم الصوري الخ مع ملاحظة الناقد بأن هذه النصوص تتميز بمفرداتها الجمالية خاصة وفي ضوء هذا الفهم اتجه البستاني إلى دراسة النصوص المعصومة وهي ما وردت من نصوص الأربعة عشر معصوماً في ميدان : الخطبة ، الرسالة، المقالة، الوصية، الدعاء، الزيارة، الحديث الخ ، فالملاحظ إن غالبيتها تتسم بطابع (اللغة الجمالية) من حيث مقوماتها ، الإيقاعية ، الصورية ، اللفظية ، الخ، ومثل هذه النصوص ، مدونة نهج البلاغة بعشرات نصوصها المتنوعة، ومدونة الصحيفة السجادية للإمام زين العابدين (ع) بعشرات نصوصها الدعائية ، والنصوص المتنوعة لسائر المعصومين (محمد، علي ، فاطمة ، الحسن ، الحسين ، السجاد ، الباقر ، الصادق ، الكاظم ، الرضا ، الجواد ، الهادي ، العسكري، المهدي عليهم السلام) تجسد مدونات أدبية* لها جمالياتها وتميزها.⁽²⁾

(1) ينظر الإسلام والفن، ص ٩٠

(2) ينظر: الإسلام والأدب، ص ٣٦٦

*لا يمكن أن تعدّ هذه النصوص تعتمد جميعها اللغة المباشرة بل قد تتوكأ على عناصر أخرى ...

*يعني بها البستاني: السجلات والكتب الأدبية التي وصلت إلينا مكتوبة

فيرى البستاني بأن النصوص الواردة عن النبي محمد (ص) وكذلك نصوص المعصومين (ع) تظل على أنماط ثلاثة من التعبير، بعضها يخضع للتعبير العلمي الصرف (أي: التعبير عن الحقائق بما هو خاضع للواقع وللمنطق وللأرقام)، وبعضها يخضع للتعبير الفني الصرف (أي: التعبير الذي يعتمد أدوات الفن من إيقاع وصورة ونحوهما)، وبعضها يجمع بين لغة العلم و بين لغة الفن، والسرف في هذا، أن هدف النصوص الشرعية هو إيصال مبادئ الله -تعالى- إلى الآخرين، وليس الهدف هو صياغة الكلام بشكل علمي أو فني، لذلك فإن المعصوم (عليه السلام) يستخدم أية وسيلة يمكن بها توصيل الهدف إلى المتلقي، فحيناً يتطلب الموقف تعبيراً علمياً، وحيناً يتطلب تعبيراً فنياً، وحيناً يتطلب تعبيراً يجمع بين العلم و الفن. (1)

فالمعصوم (ع) يتعامل مع العبارة ، بمقدار ما تحققه من فائدة توصيلية إلى الجمهور، وليس بما تفرضه المعايير الاجتماعية التي تصاحبها الحذقة والزخرف والتخيل الموهوم والفضول ، في الأدب البشري العادي لذلك يرى البستاني أن المأثور من كلامه (ص) يجمع بين ما هو (عام) من اللغة التوصيلية وبين ما هو (خاص) من اللغة الموشحة بعناصر صورية أو إيقاعية ، علماً أن العنصر (اللفظي) يُراعى من خلاله إحكام العبارة وانتخابها وإخضاعها لمتطلبات التقديم والحذف والاختزال وأدوات الوصل والاعتراض والتعقيب والتأكيد الخ ، هذه المستويات اللفظية والتركييبية تلعب دوراً كبيراً في جعل العبارة (فنية) الطابع

(1) ينظر: مختصر تاريخ الادب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، ص ٥٥

دون أن ينحصر الفن أو الفصاحة أو البلاغة في قيمها التصويرية والإيقاعية ، وحتى و
العنصر الإيقاعي ، فإن انتخاب العبارة من حيث جرسها وموقعها من مجموع النص ومن
حيث طولها أو قصرها تشكيليًا وإيقاعيًا ، له أهميته دون أن ينحصر الإيقاع في الوحدات
الصوتية المنتظمة من قافية أو سجع أو وزن أو توازن بين الجمل ، بل حتى العنصر
الصوري لا ينحصر في رصد العلاقة بين ظاهرتين واستخلاص صورة رمزية أو استعارية
أو تشبيهية منها ، بل أن رصد ما هو (واقع) فعلا مثل صورة جعل الأصابع في الأذان
واستغشاء الثياب على الوجوه . (1)

ثم يتناول البستاني النص المعصوم في تحليله على وفق مبادئ تمهيدية أو تعليمات خاصة
مثل مدى معرفة النص موروث ام معاصر؟ ومدى اعتماده على الصورة، ومعرفة فضاء
النص الذي هو التجربة الاجتماعية التي عايشها المعصوم، ومن ثم بعد ذلك صياغة لغة
جمالية مكثفة تبدأ من حيث، الشكل واللغة، والصورة، والبناء(2)

والجدير بالذكر إن النص المعصوم لا يستعمل العبارة شأنها شأن أي استعمال آخر، بل
يتجاوزها إلى البعد الإدراكي في مختلف أنماطه الجمالية بعيدًا من الخطأ أو الخلل الفني
،فهو نص ادبي يتفرد به قائله إذ يظل بمنأى عن المعايير الاجتماعية التي تصاحبها

(1) ينظر تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، ص ١٣٣، ١٣٤

(2) ينظر الإسلام والأدب، ص ٣٦٦، ٣٦٧

الحدائق والزخرفة والتخيل الموهوم والفضول الخ وهذا ما يجعل النص المعصوم يختلف عن النصوص الأدبية الأخرى⁽¹⁾

نستنتج مما تقدم ذكره بأن البستاني في دراساته النظرية قد تبني على وفق رؤيته الخاصة لمفهوم النص، والنص المعصوم مرجعية دينية متمثلة في نصوص القرآن الكريم والنصوص المعصومة، إذ هذه الرؤية النقدية للنص بصورة عامة أسهمت في اتجاهه إلى دراسة النص المعصوم لكونه نصاً له أهميته فنياً ومضمونياً، إذ أصبح في وقتنا الحاضر أحد المصادر التي يعتمد عليها الباحثون في مختلف مجالات أبحاثهم للاقتباس والتضمين الأدبي بعد القرآن الكريم.

المبحث الثالث: مفهوم الإعجاز القرآني

يُعرّف الإعجاز القرآني بأنه: التعبير الإسلامي عن المعجزة التي أوحيت لكل نبي، لكي يصدقها الناس، ويقبلوا بأن ما يأتيهم به هو من عند الله، وإذا ما بهر موسى قومه بعصا سحرية، وعيسى بشفاء الأكمه والأبرص وإحياء الميت كان النص القرآني من الناحية الأدبية هو المعجزة التي واجه محمد ﷺ بها العرب.⁽²⁾

ولقد ورد ذلك في عدة سور من سور القرآن الكريم. تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن: (قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله. ولو كان بعضهم

(1) ينظر أدب الشريعة، ص ١٠٥، ١٠٦

(2) ينظر: الإعجاز القرآني وآلية التفكير النقدي عند العرب وبحوث أخرى، علي مهدي زيتون، دار الفارابي، لبنان،

بيروت، ط ١، ٢٠١١م ص ٤٣، ٤٤

لِبَعْضِ ظَهِيرًا⁽¹⁾ تناول البستاني مفهوم الإعجاز القرآني من خلال محور العلوم الإنسانية اي المحور الأدبي او البلاغي وذلك وفق تخصصه في مجاله لأنه لا يمكن ان يدرس موضوع الإعجاز القرآني من خلال محاوره جميعًا (العلوم الطبيعية والعلوم البحتة) إلا على وفق اختصاصه الأكاديمي، وسبب اختيار البستاني لمحور العلوم الإنسانية هو إن القرآن الكريم تميز بإعجازه بالنسبة إلى البيئة الاجتماعية التي نزل بها نظرًا لكون هذه البيئة الاجتماعية تتمثل آنذ في البعد المعرفي الخاص بالأدب وبلاغته، اذ ان الفن الأدبي او النص البليغ يتميز مع ما يتوافق والذوق الأدبي الذي تحياه البيئة التي جاء القرآن الكريم من خلالها، كما يتناول هذا الفن الاجيال الأدبية جميعًا اي الخصائص الفنية والبلاغية والأدبية وما تعبر هذه الأجيال عن الخصائص المشتركة بين هذا الجيل وذاك او من حيث الخصائص التي يستطيع كل جيل ان يكتشف من خلالها بعدًا واقعيًا يتصل بالنص الادبي وبلاغته، المهم من ذلك البستاني يتناول الظواهر الاعجازية في القرآن الكريم متجاوزًا تقسيمات القدماء لتمرکز ظاهرة الإعجاز القرآني على ثلاثة اقسام هي البيان والمعاني والبدیع لذلك يقسم ميدان الظاهرة الإعجازية على ثمان أقسام أربعة منها تتمثل في البعد الداخلي للنص وهي العنصر الفكري والموضوعي والدلالي والصوري أما ما يتصل بالبعد الخارجي للنص هي العنصر اللفظي والإيقاعي والشكلي والبنائي، في ضوء هذا الفهم هناك نوعان من الإعجاز الاول هما الإعجاز الفني وهذا النوع من الإعجاز الذي ينفرد به القرآن

(1)القرآن الكريم، سورة الإسراء، ٨٨،

الكريم من حيث الصياغة الفنية التي لم يتح للأخرين ان يتوفروا عليها ،اما النوع الثاني من الإعجاز: هو الذي يتمثل في مطلق المبادئ الأدبية او البلاغية او الفنية التي توفر القرآن الكريم عليها لذلك يألفها المتلقون في كل زمن⁽¹⁾ كما يشير البستاني الى إن ظاهرة الإعجاز القرآني تتمثل في جملة ما تتمثل به من محور العنصر القصصي للقرآن الكريم؛ لأن القصة غير مألوفة في تلكم العصور لكن النص القرآني أوردتها في صياغة خاصة وذلك؛ لأن تلك العصور منها العصر الجاهلي كانت الأشكال الأدبية تنحصر في الشعر والمثل، وفي حدود دراسة البستاني لفن القصة في القرآن الكريم يخضعها إلى الدراسة الفنية الحديثة لينتهي إلى أن هذه الصياغة القصصية قد رسمت على وفق المبادئ (الفنية الحديثة) التي اكتشفت أخيراً وحتى اوروبياً لم تعرف بشكلها المتطور إلا في القرن التاسع عشر والقرن العشرين وهذا واحدٌ من وجوه الإعجاز القرآني ،ولكن ثمة امراً آخر لابد من الإشارة إليه بكون ظاهرة الإعجاز القرآني لا يمكن ان تقتصر على المبادئ البلاغية ؛لأنها من منظور البستاني لا تعني تصوراً كاملاً للفن وصياغته، إذ لابد ان تؤخذ على وفق نسبية معينة وذلك لان القرآن الكريم يخاطب كل جيل بلغته حينئذ يتضمن بالضرورة مبادئ تتوافق والمبادئ التي يكتشفها هذا الجيل او ذاك سواء موروثاً ام حديثاً لذلك فالإعجاز القرآني من الناحية البلاغية يظل مفتوحاً، ولا يتحدد فحسب على وفق المبادئ التي يكتشفها حديثاً ،اما النص الأدبي من حيث صياغته المعمارية او الهندسية او البنائية فالبلاغة الحديثة لم تتحدث عن إعجازه إلا

(1)ينظر: محاضرات في علوم القرآن الكريم ،محمود البستاني ،ص ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤

من خلال ملحوظات، ومع ذلك يظل مفقوداً في الدراسات البلاغية القديمة لذلك لا يجد البستاني أنّ البلاغة الموروثة تناولت البناء الفني الذي يتضمن عشرات المبادئ التي ينبغي أن يقوم النص الأدبي من خلالها، ويستخلص البستاني في ضوء ذلك بأن ظاهرة الإعجاز القرآني تمثل ظاهرة لغوية معجزة كما يرتبط بجوانب معرفية مختلفة، فضلاً عن ذلك إن هذه الظاهرة لا يمكن أن تقتصر على الجانب البلاغيّ فحسب بل تنطوي على التعبير عن التعبير العلمي والجامع بين العلم والفن.⁽¹⁾

نستنتج مما تقدم: بأن البستاني في تحديده للإعجاز القرآني انطلق من رؤية إنسانية، وذلك لكي يتلاءم مع اهتماماته النقدية في جانب الفن والأدب إذ ركزت مرجعيته العربية التراثية على إظهار الإعجاز القرآني في عنصرين، هما العنصر القصصي والعنصر البنائي اللذان يشكلان ظاهرة إعجازية واضحة في النص القرآني .

المبحث الرابع: مفهوم الشعر، والشعر الملتزم

يعد الشعر أسبق الفنون اللفظية ظهوراً فكان الشعر ديوان فضائل العرب، وسجل مفاخرها، ووسيلة تخليد مآثرها، يقول الجاحظ: فكل أمة تعتمد في استبقاء مآثرها، وتحصين مناقبها على ضرب من الضروب وشكل من الأشكال، وكانت العرب في جاهليتها تحتال في تخليدها، بأن تعتمد في ذلك على الشعر الموزون والكلام المقفى، وكان ذلك هو ديوانها⁽²⁾

(1) ينظر: محاضرات في علوم القرآن، ص ١٧٠، وما بعدها

(2) الحيوان، الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ط ٢، ١٩٦٥، م ٢، ١٠ / ٧١

ويقول ابن سلام وكان الشعر في الجاهلية عند العرب ديوان علمهم ومنتهى حكمهم به يأخذون وإليه يصيرون⁽¹⁾

ويمكن أن يحدد مفهوم الشعر عند البستاني بأنه رؤيا تعتمد الحدس في التعبير عن التجربة يتميز عن النثر بعنصره الأيحيائي مع اعتماده على الموسيقى والقيم الصوتية لغة من عناصرها، مستغنية بالدهشة والسحر والطرافة وهي معالم تتآزر في تحديد لغة الشعر عن غيره. (2)

فيتضح الشعر في ضوء ذلك بكونه أحد الفنون الأدبية القائمة على عنصري الإيقاع والصورة⁽³⁾، فإن قضية الإيقاع لا تنحصر في كونها مجرد تنظيم صوتي بل في طريقة التنظيم ذاته من حيث صلتها بطبيعة استجابتنا العصبية حياله لما هو سوي أو شاذ من الاستجابة، لذلك مجرد الإشارة إلى الإيقاع من حيث ارتباط الشعر به، مضافاً إلى ارتباطه بالعنصر العاطفي أيضاً حيث يظل الإيقاع والانفعال في مقدمة هذا الضرب من الفن. (4)

أما الصورة فهي القوى التخيلية من عملية الإدراك وهي تتجسد عادة في عملية التركيب ويمكن القول إن الصورة في تعبير البستاني تفشل إذا كثرت في الاستعمال فضلاً، إذا ركبت من ظاهرتين غير مألوفتين على نحو ما يستخدم الشعراء من رموز وأساطير وأحداث أخرى لم تعشها البشرية ليجدوا علاقات بينهما تتسم بالضبابية والتغريب، فالشعر يمكن أن يقسم

(1) طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قراءة وشرح محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، ١٠ / ٢٤

(2) ينظر: في النظرية النقدية، محمود البستاني، ص ١٥

(3) ينظر: النقد الأدبي، محاضرات القاها الدكتور محمود البستاني

(4) ينظر: الإسلام والفن، ص ٣٢

على قسمين: عند البستاني القسم الأول هو الذي يتخذ من الموضوعية أساساً له (الشعر الموضوعي) في التعبير بغض النظر عن التضخم العقلي فيه، وقد يتخذ من الذاتية أساساً له (الشعر الذاتي) وهو ما يعبر عاطفياً عن حقائق الأشياء إذ ليس المهم في نظر البستاني تضخم العاطفة بل المهم تناسقها مع واقعية النفس الإنسانية واستجابتها للظواهر، أي معنى ان تكون استجابة الشاعر او المتلقي استجابة مطبوعة بالعمق والنضج وليس بالسذاجة والسطحية والبداهة. (1)

وبما إن الناقد محمود البستاني شأنه شان اي ناقد ملتزم فهو يسعى وراء وجود افتراض شيء ما ، ثم بعد ذلك يكتشفه. (2) لذلك سعى البستاني إلى تحديد مفهوم الشعر الملتزم فيذكر البستاني بأنه مع مجيء الإسلام، أقر هذا الشكل الفني، بل شجعه وثنى مواقف الشعراء، ووعد بالثواب ومنح الهدايا، وأشار الى تأثيره السحري في النفوس ... ولكن ثمت ملاحظة أخرى بأن الاسلام في الآن ذاته، وقف (متحفظاً) حيال الشعر، وهذا أمر يستوقف الباحث حقا (3)

وبقدر ما ينبغي ملاحظة ذلك من خلال التصور الاسلامي للصياغة الجمالية ، فيما أن ثمة مبادئ مفتوحة تركها الاسلام، وعليه فإن أية صياغة جمالية موظفة لإنارة (الرؤية المستهدفة، تكتسب مشروعيتها، يستوي في ذلك ان تنتسب الصياغة إلى العمود أو الحر أو

(1) ينظر: النقد الادبي، محاضرات القاها البستاني على طلبته...

(2) ينظر: الشعر والتجربة، أرشيبالد مكليش، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي، دار اليقظة العربية للتأليف والنشر والتوزيع، بيروت، نيويورك، ١٩٦٣م ، ص ١١

(3) ينظر: الإسلام والفن، محمود البستاني، ص ٣٢

النثر، الملاحظ أن الشعر العمودي قد استنفد طاقته فيما يبدو، والشعر الحر مفلح بالغموض الذي أشرنا إلى تصادمه أساساً مع عملية التوصيل للمبادئ ، وأما قصيدة النثر، فإيغال أكثر نحو الغموض، مما يعني ان الأشكال الثلاثة لم تضطلع بمهمتها الجمالية والدلالية، ففي تصور البستاني ان الشاعر الاسلامي يتعين عليه ان يكتسب سمة استقلالية تتناسب مع خطورة وفراة واستقلالية المبادئ الإسلامية ذاتها وهذه السمة تتطلب منه : لغة توصيلية وقبل ذلك (لغة جمالية) بطبيعة الحال، تتوكأ من على خصوصية متفردة ، وهو أمر ليس من اليسير ان يتوفر الشاعر عليه : نظراً لتطلبه جهداً لا علاقة له بوحدة أو تنوع التفعيلة أو القافية ، بل بطبيعة الصياغة التي تجمع بين طرافة وألفة اللغة ، فالطرافة أو الابتكار أو التوليد الجديد للصورة مثلاً أو التركيب الدلالي (تقديم ، جملة معترضة ، تساؤل ، حوار ، حديث يومي، إلخ)، تهب النص تميزه وفرادته، لكن مع (ألفة) الصور (الرمز الاستعارة ...)

ووضوح التركيب الدلالي⁽¹⁾

إذ هناك ثلاث طوائف تطرقت لقضية الشعر منها الطائفة الأولى: من النصوص أو الافعال المثمنة للشعر ناظرة الى (الشعر الملتزم) منه، والطائفة الثانية: المانعة عنه ناظرة الى الشعر المنحرف مثلاً، بيد أنه يمكن القول بان قضيتي الالتزام أو الانحراف لا تنحصران في فن الشعر فحسب، بل تتسحبان على مطلق الفنون الخطبة الخاطرة، المقالة ... الخ) فلماذا يتجه المنع أو الندب الى الشعر فحسب؟

(1) ينظر الإسلام والأدب، ص ٢٨٣، ٢٨٤

والجدير بالملاحظة هنا ، بأن الناقد سارتر اشار الى قضية الالتزام في النشر رافضاً بذلك الالتزام في الشعر اذ جعله شان الفنون الاخرى الرسم والموسيقى الخ ، فيقول : أن النشر وحده يصلح من بين جميع الفنون لأن يكون ملتزماً ، لأنه يستخدم مادته أي اللغة للتعبير عن المعاني كما رأى أن النشر وحده أداة فعّالة لتحقيق غاية لدى الأديب هي نقل ما توصل إليه من نتائج كشفه الإنسان والعالم إلى الآخرين والتأثير فيهم ولحملهم على تأييده ذلك؛ لأن الكلام لحظة من لحظات العمل لا معنى له خارج ذلك النطاق، ومن ثم كان خطأ الأسلوبين الذين اعتقدوا أنّ الكلام نسيم يجري لطيفاً على سطح الأشياء يمساها مساً خفيفاً دون أن ينالها تغيير، ثم اعتقدوا أن المتكلم لا يعدو ومجرد مشاهد للأشياء ، يختصر تأملاته بكلمات، إن الكلام عمل والناثر هو الذي سلك للعمل طريقاً من الطرق غير مباشرة يصح أن نسميه طريق الكشف، فالناثر يكتشف الإنسان والعالم ويغيرهما؛ لأن الكشف نوع من التغيير، إنه لا يستطيع أن يرسم صورة المجتمع دون تحيز؛ لأن الإنسان هو المخلوق الوحيد الذي لا يحتفظ موجود ما حياله بالحياد فيجب أن يحسن الناثر التصوير إلى أهدافه(1)

يُضاف الى ذلك، أن هناك طائفة ثالثة من النصوص (تتحفظ) حتى حيال الشعر الملتزم إسلامياً حيث تمنع من انشاده في ازمنا وامكنا خاصة، كما أن تنزه النبي (ص) عن ذلك

(1) ينظر: ما الأدب؟ جان پول سارتر، ترجمة محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة،

(من خلال الآية الكريمة التي تقرر بانه لا ينبغي له)، يعزز (التحفظ) المذكور مما يعني أن

هناك (سرا) وراء ممارسة الشعر مقترناً بما هو سلبي من السلوك.⁽¹⁾

في ضوء ذلك يشير البستاني الى إن المعنيين بشؤون الفن والتفسير والفقه "يحاولون تقديم

أكثر من وجهة نظر في هذا الصدد: فنجد من يذهب الى كراهة الشعر جميعا بين

الأحاديث، ونجد من ينقل الظاهرة الى إطارها التاريخي فيحدد المنع بما أقترن في الشعر من

الرقص والغناء ونحوهما، ونجد من قرنه بالتصورات التي كانت تغلف المجتمع الاسلامي

يوميئذ في ذهابها الى أن (جنياً) يتكفل بممارسة هذه المهمة على نحو ما هو مألوف في

الاساطير الاغريقية عن (أبولو) مثلا وفي هذا الاتجاه من يربط بين الكاهن والساحر

والشاعر".⁽²⁾

وفي تصور البستاني أن هذه الاسباب مجتمعة ساهمت في ظاهرة (التحفظ) الاسلامي حيال

الشعر، بيد ان الاهم من ذلك هو ان ارتكان الشعر أساسا إلى كونه استجابة (انفعالية)

خارجة عن حد الاعتدال هو الأمر الذي يمكن ان نلتمسه تفسيراً للموقف الاسلامي

(المتحفظ) حيال الشعر، فإن تعامل أهل البيت (ع) في حقل الفن التشريعي أو في حقل

الحياة العامة يقتادنا الى الفناعة بان مباركتهم للشعر أو استشهادهم به أو حتى انشادهم

احيانا يظل ناظرا الى الشعر (ليس من حيث كونه فناً) بل من حيث كونه مجرد اداة في

التعبير عن الحقائق يتطلبها الموقف العابر، والامتى كانت (الاراجيز) في المعارك مثلا

(1) ينظر: الإسلام والفن، محمود البستاني ، ص ٣٢

(2) المصدر نفسه، ص ٣٢

تتوفر على صياغة الشعر صياغة خاصة تتطلبها التقنية الفنية ومعاييرها التي يرسمها نقاد الشعر عصر شد، كما ان تعاملهم مع أكثر من شاعر: كان متمسا بعدم اكساب الصوت أو الصورة اهمية ذات بال. (1)

ويرى الدكتور بدوي طبانة إن " الأديب الملتزم هو صاحب رسالة في التنبيه، والشرح والتوجيه، لا يسمح لشاعريته أن تحيد عنها ، ولا لقلمه أن يتجاوزها، أو هو في الأقل مشارك لأصحاب تلك المبادئ والدعوات الاصلاحية في نشر دعواتهم والتمكين لها في القلوب والعقول ، حتى لا يحس الناس غيرها ، ولا يسمعون إلا أصداها وإذا قيد الأديب نفسه بتلك الأهداف ، وقصر إنتاجه عليها ، فهو (الأديب الملتزم) أما الأديب الذي لا يتقيد بتلك الأهداف ، بل يعبر عن ذاتيته وعن تجاربه وعواطفه وانفعالاته ، متحرراً من سائر القيود التي تحد من حريته في التعبير عن مشاعره فهو عندهم و أديب غير ملتزم " (2)

ويرد البستاني الاتهامات التي وجهت للنبي محمد (ص) بأنه شاعر، بقوله: الشعر تعبير عاطفي عن الحقائق وهو امر يتنافى مع شخصية الرسول (ص) علاوة على إن القرآن الكريم نزه النبي (ص) عن قول الشعر بقوله تعالى ﴿ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ﴾. (3) إن مباركة النبي (ص) لبعض الشعراء أو تثمينه للشعر في بعض الأحاديث يقابلها أحاديث تدم الشعر فلذلك مؤرخ الأدب من خلال جمعه بين هذه

(1) ينظر الإسلام والفن، ص ٣٣

(2) ينظر قضايا النقد الادبي، بدوي طبانة، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، ١٩٨٤م، ص ١٤ ، ١٥

(3) القرآن الكريم، سورة يس، آية ٦٩

الأحاديث بأن الشعر بعامة موسوم بالكراهية الا في سياقات خاصة يتطلبها الموقف ،
بخاصة إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن الشعر يحتل أهمية ضخمة عند العرب آنذاك، وحينئذ
فإن استعماله وسيلة إعلامية : يظل أمراً طبيعياً تفرضه طبيعة التركيبة الاجتماعية ، ولذلك
طلب من الشعراء أن يهجوا المشركين مثلاً ، وأما عدا ذلك فيظل الشعر كما صرح بذلك
وكما هي طبيعته التي تعتمد الانفعال الحاد في التعبير عن الحقائق، أمراً غير مرغوب فيه
بخاصة في مقام النبوة والإمامة ، بل في مطلق المقامات؛ لذلك لا يمكن الذهاب إلى أن ذم
الشعر ينحصر في ما هو سلبي منه ، لأنه لو كان كذلك لكان النبي ﷺ يقول الشعر كما
يقول النثر ، فكما أنه استخدم الخطبة والخاطرة و المقالة والحديث و المحاوره وغيرها أدوات
لتوصيل رسالة الإسلام ، كان بمقدوره أن يستخدم الشعر أيضاً ... لكن بما أنه لم يستخدم
هذا السلاح حينئذ نستخلص بكونه غير مرغوب فيه للأسباب العاطفية التي تقترن به .
فضلاً عن ذلك : أن ما ورد من النهي عن إنشاد الشعر في المسجد أو الأوقات الخاصة،
لا يمكن حمله على ما هو سلبي من الشعر، لأن الشعر السلبي منهي عنه في الحالات
جميعاً سواء أكان في المسجد أم في غيره⁽¹⁾

ولعل (الذاتية) التي تقترن بعملية الابداع الشعري بما توأكبها من الانفعالات التخيلية التي
تتجاوز المنحنى المتوسط من النشاط الذهني، وما يستجره من الارهاق العصبي الذي يتطلبه
الايقاع في صرامته، والصورة في تجريدتها، وما يمكن استتباع أولئك من حدوث (انفصام)

(1) أدب الشريعة، محمود البستاني، ١٠٧، ١٠٨

عن الواقع حيث تعرف أن التعامل العاطفي والتخييلي يظل في التصور الإسلامي مخفوفاً بتحفظات أولئك جميعاً، من الممكن أن تقف وراء (التحفظ) الاسلامي حيال الشعر. (1)

الخلاصة مما تقدم ذكره: إن البستاني لم يخرج في تحديده لمفهوم الشعر عن دائرته الأيديولوجية إذ انطلق من مرجعية عربية إسلامية فهو لا يختلف عما سبقه من النقاد الذين يدعون إلى الالتزام، فهو التزام فكري واجتماعي، كما أنه لم يقف إزاء الشعر موقفاً مشجعاً لاسيما (الشعر المنحرف) كما أنه يرفض أن يكون ذلك مقتصرًا على الشعر فحسب، وإنما يتجاوز ذلك إلى النثر المنحرف الذي لا يمكن ان يجعله بمنأى عن ظاهرة الالتزام في الأدب.

المبحث الخامس: مفهوما النقد، والنظرية النقدية

ورد في معجم المصطلحات الأدبية بأن مفهوم النقد هو "تحليل وتقويم متعدد الجوانب مبني على إمعان الفكر، ويأتي من كلمة يونانية تعني القاضي. فالنقد عملية تزن وتقوم وتحكم ، والنقد السديد التقليدي يذكر الصفات الحسنة كما يذكر السيئة أي الفضائل والاختفاء ، ولا يستهدف المديح ولا الادانة بل يزن نواحي القصور ونواحي الامتياز ثم يصدر حكما يستند الى اعتبار وتمحيص ". (2) في ضوء ذلك يحدد البستاني مفهوم النقد الأدبي بأنه هو "دراسة النص من حيث كونه نصًا جيدًا أو رديئًا، ومن حيث كونه نصًا قابلاً للتحليل والتفسير

(1) ينظر: الإسلام والأدب، ص ٢٨١

(2) معجم المصطلحات الأدبية، ابراهيم فتحي، التعااضي العمالية للطباعة والنشر، الجمهورية التونسية، ط ١،

٣٩٠م، ص ٣٩٠

والتقويم بنحو يجعل (المتلقي) على وعي بقيمة النص، وكشف أبعاده وتذوقه عمومًا (1) فالملحوظ من هذا التعريف بأن عملية الكشف عن النص الأدبي التي يقوم بها الناقد او المتلقي متصلة بهذه النظرية ذاتها وهذا يعني ان عملية «الكشف» تتضمن ثلاثة عناصر هي: الأول التحليل: الذي يقوم على تفكيك القصيدة مثلا الى أجزاء مختلفة تتصل بعناصرها من (فكر) و (انفعال) و (صورة) و (إيقاع) و (تخيل) الخ، أو تفكيك (الصورة) وتحديد أطرافها، أو تفكيك إيقاعها من فرز لعناصر التفعيلة مثلا الى التجانس الصوتي للعبارة، إلى (الجرس) الخاص بها الخ كل أولئك يجسد عنصر التحليل في المركبات القصيدة والثاني التفسير: وهو تبين أو شرح أو القاء الانارة على الاجزاء المحللة، مثل فك الرموز.. الثالث: الحكم: وهو القاء وجهة نظر الناقد الايجابية أو السلبية على النص، مشفوعة بعنصر (التعليل) للحكم المذكور، أي: تقديم الأسباب الفنية الكامنة وراء (حكمننا) على النص وكما ان هناك أتجاهًا يكتفي من عملية النقد بعنصري (التحليل) و(التفسير) فحسب دون ان يعنى بعنصر (الحكم)، مستندا في ذلك الى وجهة النظر الذاهبة الى أن (المتلقي) ينبغي ان يساهم في عملية الكشف للنص لا ان نحصر الكشف في نشاط الناقد وحده. (2) وذلك الجملة من الاعتبارات، منها: أن مساهمة المتلقي في عملية (الكشف) سوف يزيد من إمتاعه لتذوق النص ويثري تجربته في عملية التذوق بدلا من أن نقدم له وصفة جاهزة تحتجزه من ممارسة الإبداع، وهذا يعني إن المتلقي/الناقد يقوم بعملية فنية مكملّة لمهمة

(1) في النظرية النقدية، محمود البستاني، ص ٨

(2) ينظر: الإسلام والفن، ص ٦١

الناقد، ومنها أنّ للمتلقّي وجهة نظره الخاصة في عملية التذوق مما يتنافى مع (الحكم) الذي يطلقه الناقد على النصّ، وهو أمر يجعل كون النقد منحصرًا في عمليتي التحليل والتفسير دون الحكم له مسوغاته في هذا الميدان مادامت معايير الفن نسبية وليست مطلقة.⁽¹⁾ والجدير بالذكر أن النظرية النقدية تكون أكثر التصاقًا بواقع الظاهرة التي يريد كشف معالمها الناقد التي تشكّل جزءًا من النصّ، إذ يستطيع القارئ أن يحبك منها ومن سائر الجزئيات مفهومات تتكرر لديه عموماً يستطيع من خلالها أن يكون على إحاطة تامة بجودة نص ما، ومعلوم أنّ فهمه لظاهرة من النصّ وحدها غير مجدية إطلاقاً لسبب واحد هو أن النصّ كل وليس جزءًا، لأن النظرية هي تطرح المفهوم، لذلك يطالب البستاني الناقد أنّ يغيّر منهجه من الانطلاق النصي إلى شرح مفهوماته نظريًا، أو الاتجاه المعاكس وهذا يترتب عليه لون من الالتزام بالدقة المنهجية واكتساب النصّ صفته الحقيقية التي يستهدفها الكاتب فلم تكسر وحدة النصّ، ولم نقبر هدف المبدع، بتشتيته إلى جزئيات، بل حبكنا نظرية، وافدنا من النصّ بحبكها، فالنقد الذي يعالج المفردة أو الرمز كلا على حدة له تقديره وخطورته إلا أن خطورته تتلاشى قبال وحدة النصّ، وعلى الرغم من كون النصّ عملاً شاملاً وليس موضعياً، إلا أنّه يظل جزئياً؛ لأن إدراك جزء لا يشدنا بالضرورة إلى تقديره

(1) ينظر الإسلام والفن، ص ٦١

* العملية النقدية تمر بثلاث مراحل: التحليل والتفسير والحكم، وهنا يذكر البستاني يمكن للعملية النقدية أن تعتمد على المرحلتين الأولى دون الحكم والسبب في ذلك مساهمة المتلقّي في إعطاء وجهة نظره على النصوص وبعقل الباحث بأن عملية الحكم مهمة إذا كانت تقدّم من قبل ناقد موضوعي، بالإضافة إلى ذلك المتلقّي يساهم في هذه العملية لكن ليس من منظور الحكم النقدي كما رأى البستاني.

في فهم الجزء الآخر، أنه يظل كالتناول النظري على وجه التقريب، أما النقد الذي يتناول النص وحدةً كاملةً يشيء بكشف النص غائماً أي أنه لم يوضح دقائق العمل وتآزر أجزائه، في ضوء هذه الآراء يرى البستاني بأن الناقد مضطر بتناول جزئيات النص واعطاء انطباع شامل عنه أي يجدر بالناقد أن يتناول كل جزئية بما تستحقه من التبادل، على أن يربط بين جزئية وأخرى مبيناً سبب نجاحها عبر صلتها بالأخرى، ومن خلال الربط تتبثق قيمة ما وتتوج جميعاً بقيمة عامة وبدون هذا اللون من التعامل لن يكتسب النص تعامله الجدي⁽¹⁾ لذلك يمكن القول بأن مفهوم النظرية النقدية عند البستاني يقوم على بيان قيمة النص، وتوصيل هذه القيمة إلى الآخرين والربط بين هذه النظرية وبين الموصل اليهم، هو الترابط الاجتماعي، لأننا كائنات اجتماعية بالطبع⁽²⁾ أما نظرة البستاني إلى الاعمال الفنية بخاصة الاعمال الخالدة لكبار الفنانين لا حاجة لإصدار الحكم عليها مادامت مستوفية لشرائط الفن، أي إن عملية النقد تنحصر في القيمة الكشفية التي يقدمها المبدع والناقد معاً، ومدى خطورة هذه القيمة وضآلتها، فالقصيدة الرديئة مثلاً التي يكتبها أديب رديء لا تعني أنها أضخم عطاءً كسفي للناقد الذي يتناولها، لذلك لكشف القيمة الكشفية التي يقدمها الناقد، ومدى خطورتها في العمل النقدي تحدد وفق ثلاثة اعتبارات على رأي البستاني:

(1) ينظر: في النظرية النقدية، محمود البستاني، ص ١٥٣، وما بعدها

(2) ينظر: النظرية النقدية عند العرب، هند حسين طه، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق

١٩٨١م، ص ١٤

الأول: النص فهو تجربة كاتب ما، فحينما ينهض الناقد بتفسيرها وتقييمها فهو ما أن يوضح معالمها المستغلقة، عبر تغلغه إلى مطاويها، منتزعاً كل معطياتها المتناثرة، لإبرازها إلى السطح وحينئذ يكون قد ساهم مع المبدع في عملية تقديم الخصائص الكشفية التي استهدفها المبدع.

الثاني: المتلقي فالكشف النقدي ذو فائدة لتجربة القارئ إذ إن مهمة النقد في أحد طرفيها هي مساعدة القارئ على التذوق وهذا التذوق يعتمد مهارة الناقد في طرح التجربة، إذ إن مهمة النقد كما يقول "مكن" هي أن تحدث استجابة بين النص والمتلقي، فالمتلقي يقف ساكناً ويلحظ عملاً فنياً ما، ولكنه يعجز عن تسجيل انطباع كافٍ عنه.⁽¹⁾

الثالث: المبدع، فالمبدع أيضاً يفيد من عمل الناقد حين ينهض بتقويم النص، إنه يلفت انتباهه إلى معطيات شتيته إيجاباً أو سلباً من هنا تبدو القدرات الخلاقة للناقد قد أسهمت في صياغة ظواهر جديدة امتدت المبدع بمادة من مواد تجاربه الحياتية، فيما تنفي عن النقد أي رائحة فضولية وحتى وإن عدت فضولية فهي تمد المستقل بعطاء، يفقده عن استقلاله لذلك تتأزر مجموعة المعرفة بألوانها المتباعدة لتتوفر على صياغة معرفة ما في ضوء ذلك القيم الفكرية والعاطفية والجمالية التي حبكت النص، تكون مخزنة في وجدان الناقد، إنها ذات الوسائل التي تفسر النص وتقيمه، والناقد الجيد كالمبدع الجيد يمتلك نفاذاً وحدساً وقدرات يستثمرها في أعماله وفيما يستثمرها الأول في صياغة التجربة، يستثمرها الثاني في توهيج

(1) ينظر: في النظرية النقدية، ص ٢٧، ٢٨

تلك التجربة. ⁽¹⁾ ويبدو للباحثة أنّ هذه العناصر تساهم في عملية الكشف للنصوص الأدبية، كما أنّ هذه الرؤية النقدية للبستاني قد اغفلت المبدع ولم تكّرس في خطابه النقديّ اثناء تعامله مع النصوص القرآنية، أما النص والمتلقي فقد جعلهما موضع الإهتمام في التعامل مع النصوص .

ومن المشكلات التي تواجه النظرية النقدية مشكلة النقد التأثري ومشكلة النقد الموضوعي فالاتجاه الأول هم النقاد الذين لهم صلة كبيرة والمذاهب الأدبية النازعة إلى المفهوم الرومانسي للأدب ومنهم المعاصرين أيضاً إلا أن البستاني يذكر بأن نقد هؤلاء التأثريين لا يسعف اتجاه النقد الجمالي والفكري، فعلى صعيد الاتجاه الفكري فالنقاد الذين ينزعون إلى إكساب المعنى النثري في النص أهمية ما ليس بمقدورهم أن يفيدوا من الفقرات التأثرية اي أنهم لم يوضحوا معالم وأبعاد المعنى النثري بقدر ما تلمح لهم بنحو غائم معطيات مبهمة ببراء، لم يوضحوا الخلفية الفكرية التي ترقد وراء مهمة الكلمة ، ما لم يجب عليها الناقد التأثري إطلاقاً، أما النقد الجمالي أيضاً لم يعثر على أية تقويمات أو تحليلات جمالية للمفردات والتركيب والصور والبناء واللغة، فالبستاني لم يعثر على اي مفهوم أدبي ينبثق من خلال التعامل، او الوقوف على الرمز ومعطياته الخ، وهذا النقد (التأثري) ينتبذ مهمة النقد

(1) ينظر: في النظرية النقدية، ص ٢٧، ٢٨، ٢٩

وفق رؤية البستاني بحجة أن الناقد يقدم انطباعات شخصية من خلال تأثره وإحساسه ووجدانه.(1)

أما الاتجاه الثاني وهو النقد الموضوعي الذي ينهض بتحليل وتفسير النص على وفق معايير فنية وعاطفية وفكرية اي الكشف عن أبعاد النص ومساعدة القارئ على تذوق النص، فالناقد الموضوعي كما يراه البستاني ينبغي عليه الاعتماد على تقديم تعليل موضوعي (مستند إلى معايير علمية، معايير فنية مسلم بها، تعليل شخصاني صرف) لأحكامه النقدية فالمعايير العلمية في ضوء المناهج التي استخدمها صف من النقاد انتهى المعاصرون منها إلى أن معظم التعزيزات التي قدمها المنهج العلمي في النقد أما أن تكون حكم عليها بالسقوط أو التشكيك أو عززت نفسها بوهم أن المستقبل كفيل بإنجاحها فالبستاني يرى ان هذه المعايير موضع شك كبير بالنسبة إلى نجاح الناقد في استعمالها لذلك فالتعليل الموضوعي يظل متصلًا بنحو أو بآخر بالمعايير الفنية التي هي معايير ليست ثابتة مطلقة في الزمان والمكان فهي في واقعها استجابة تأثرية بادية ذي بدء فالناقد قد استجاب للنص بعد عرضه على أحاسيسه ونتيجة لهذا التأثير أنتهى إلى حكم اكتسب صفة المعيار.(2) لذلك يوضح البستاني بأن يكون اتجاهًا ثالثًا لا مفر منه بين التأثرية والموضوعية وهو الجمع بينهما أي أن التعامل مع النص بما يتوافق وطبيعته من جانب منه، لا مطلقًا، فالنص تجربة ذاتية تعبر عن واقع موضوعي فالناقد في تجربته النقدية ينقلها بتفردا وتوحدتها

(1) ينظر: في النظرية النقدية، ص ٥٨

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص ٥٨، ٥٩

ودقائقها الا اذا تعاطف مع النص ،وهذا التعاطف لا يتم الا إذا استغرق مع النص وتقمص تجربة الكاتب وهكذا تظل تجربته محكومة بالعنصر الذاتي ولن يستطيع الناقد الإفلات منها اذا تعتمز التجاوب مع النص وهذا التجاوب يظل في مستويين نقطة انطلاق سرعان ما يودعها ليقفز منها إلى تعليل موضوعي سواء مرتكناً إلى مبادئ فنية أو إلى استخلاص فردي يكتسب ذاتها النكهة المعيارية، وثانيهما أن يظل عصباً يفرز أوامره ملونة بطبيعة العصب لا بمادة مفروضة عليه خارجاً ساعة تقمصه التعامل الموضوعي فلذلك يخلص البستاني من هاتين الطريقتين في النقد إلى أن الناقد لا يمكن ان يحدث انفصاما بين الذاتية والموضوعية لكي لا يفقد العملية النقدية طابعها العضوي الموحد والجدير بالإشارة ان البستاني يعود ليحدد مفهوماً وفق تصور آخر للنقد، وهو القراءة الأدبية للنص ،ووفق هذا التصور بأن التعامل مع النص موظف من اجل (القارئ) ، وهو الذي يهب النص تفسيراً يتساق مع مرجعيته ، وليس الكاتب أو المبدع .(1)

يستنتج البستاني من التعريفين السابقين ، بأن أيًا من التعريفين المتقدمين ، او مطلق التعريفات التي تتناول (دراسة النص الأدبي) تظل متساوقة مع التصور الاسلامي لعملية النقد، لذلك مهمة الكاتب الاسلامي مبدعاً أو ناقدًا مع ملاحظة ان الحدائين يردمون الفارقة بين المبدع وبين الناقد، حيث يسحبون صفة (الإبداع) على عملية النقد ايضاً بصفتها إبداعاً على هامش النص، هي توصيل مبادئ السماء إلى الآخرين، حينئذ فان

(1) ينظر في النظرية النقدية، محمود البستاني، ص ٥٨-٧٠.

دراسة النص الأدبي أو (قراءته) أو الكشف لخصائصه الجمالية والرؤيوية تجسد عملية (التوصيل) مع ضرورة الانتباه على أن المهمة النقدية للكاتب الإسلامي هي : مساعدة المتلقي على تذوق النص من خلال المعايير الإسلامية : جمالياً ودلالياً، وهو أمر يتقاطع مع الاتجاهات التي تفصل عملية (التلقي) عن (قصديّة) النص .

وقد كانت هناك بطبيعة الحال محاولات لمحو هذا الفرق بين هذين النوعين من النشاط فهناك مثلاً من قال بأن فهم الأدب لا يتأتى إلا لمن يعالجه، وأن المرء لا يستطيع فهم الشاعر (بوب) إلا إذا مارس كتابة شعر من نوع الثنائية البطولية الذي كان يقرضه (بوب) كما لا يستطيع المرء دراسة المسرحية (الأليزابيثية) دون أن يكتب مسرحية من الشعر المرسل كما كانت المسرحيات تكتب في عصر اليزابيث. ومع ذلك فهما كانت الفائدة التي يجنيها الدارس من الخبرة السابقة في الإبداع الفني، فإن الدراسة التي يقوم بها أمر متميز كلية، إذ أن عليه أن يترجم خبرته بالأدب إلى مفهومات عقلية، وأن يتمثلها في كيان متناسق ينبغي أن يكون مقبولاً للعقل حتى يصبح معرفة، ربما صح أن مادة دراسته لا تدخل في نطاق المعقول أو تحوي عناصر خرجت تماماً عن المعقول ولكنه لن يكون لذلك في موقف يختلف عن المؤرخ لفن التصوير، أو عالم الموسيقى، أو حتى عالم الاجتماع أو التشريح⁽¹⁾ في ضوء ذلك يرى البستاني بأن هذا الاشتراط غير مقبول إطلاقاً، إذ ينبغي أن نسلم بأن (الإبداع) شيء آخر، وإن القدرة على تمثيل النص تتراقد من منابع متفرقة فأولاً من

(1) نظرية الأدب، ص ٢٣

كثرة التجارب⁽¹⁾ أو كما يلمح اليوت ذاته بأن تمثل اي تجربة تضيف إلى حصيلة القارئ عطاءً جديدًا (2)

لذلك يرى البستاني من الطبيعي، ان ترتبط المبادئ الإسلامية في النطاق الأخلاقي للسلوك ، تفرض على الأشخاص بأن يتستروا على عيوب الآخرين، بصفة ان الكشف عن العيوب يساهم في اشاعة الفحشاء (الإنحراف) من جانب، ويساهم في توتير العلاقات بين الاشخاص أي الى التنافر بدلاً من التعاون من جانب آخر، ويساهم من جانب ثالث في اسقاط الشخصية اجتماعياً، حتى لو كان تناول النص موروث حيث ان للميت حرمة أيضاً

بيد ان ثمة ملاحظة مهمة هي: ان حظر الفضح يخص الشخصيات او المجتمعات الاسلامية الملتزمة، أما الشخصيات المنحرفة التي تتبجح بأنحرافها، أو ينعدم لديها الحس بالمسؤولية الاجتماعية، (كالشخصية اللا إجتماعية)، فان فضحها يفرض ضرورته، حيث أنّ ربط النص بصاحبه يُلقي إضاءة تامة (دلاليًا وجماليًا) على النص.⁽³⁾ وينظر البستاني إلى أن الناقد قد ينظر إلى صلة النص بسيرة الكاتب ومعرفة الاتجاه النفسي لكاتب النص

(1) ينظر: في النظرية النقدية، محمود البستاني، ص ٣٤

(2) ينظر: فائدة الشعر وفائدة النقد، أليوت، ترجمة يوسف نور عوض، دار القلم، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٢م، ص

٩٠

(3) الإسلام والأدب، ص ٣٠٢

لمعرفة مدى انعكاس السيرة على النص دلاليًا وجماليًا ولكن هذا ليس مطلقًا عند الناقد

الأدبي إذ أحيانًا عملية الكشف تفرض ضرورتها في سياقات خاصة . (1)

أما عن علاقة النص ببيئته فيتحول النص حينئذ إلى وثيقة اجتماعية أو تاريخية إذ لا

تختلف عن أي بحث تاريخي أو اجتماعي الخ، لأن النص لا يولد مجردًا عن بيئته مثلًا

ربط الناقد بين جفاف البيئة الصحراوية وبين اللغة البدوية للنص. (2)

وبما أن الأدب يرتبط بمفهوم الأخلاق أكثر مما يرتبط بأي مفهوم آخر، وهو ارتباط يتسم

بالحيوية والتعقد والالتباس وبينما ساد الشعور لفترة طويلة بأن النقد في بعض جوانبه يمثل

مشروعًا أخلاقيًا، بقيت أصول الإلتزام الأخلاقي وطبيعته، في مجال النقد، يشوبها الالتباس

إلى حد كبير. ومن ناحية، يعكس هذا الالتباس التباسًا موازيا في العلاقة بين الأدب

والأخلاق وهو من ناحية أخرى يشكل سمة من سمات الممارسة النقدية والعمل البحثي في

أي مجال من المجالات وهذا من ناحية ثالثة نابع من الخطاب المرتبط بعلم الأخلاق،

وبينما يتشعب التفكير الأخلاقي في روافد واتجاهات متعددة تشمل تلك التي يقوم عليها

تفكير كل من (أرسطو وأوغسطين وكانط وهيغل وماركس ونييتشه و فرويد وجون رولز

وميشيل فوكو وجاك لاكان وجاك دريدا) وغيرهم، إلا أنه قلما ينطبق عليها كلها نفس التقييم

فالأخلاق أسلوب لوضع الأشياء يتصل فيه مفهوم أو مصطلح معين بمفهوم أو مصطلح

آخر بطريقة يمارس فيها كل منهما سطوته على الآخر في الخطاب الأخلاقي قد توضع

(1) ينظر: الإسلام والادب، ص ٣٠١

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص ٣٠٨

"الميول" في مواجهة "الواجب" و"المصلحة الشخصية في مواجهة الإيثار" و"القانون" في مواجهة "العادة" و"المصالح طويلة الأجل في مواجهة الرغبات"، والحقائق مقابل القيم، تصبح هذه المواجهات أخلاقية عندما ينظر إلى طرفي التناقض في علاقة كل منهما بالآخر ويتم فيها تعريف المصطلحين في مقاومة كل للآخر. (1)

لذلك فإن لغة النقد عند البستاني على وفق التصور الإسلامي ترتبط بالأخلاق ينبغي ان تتسم بنفس لغة التعامل الإجتماعي مع الآخرين من حيث الالتزام بالآداب العامة من عمليات الارشاد أو الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حيث لا فارق بين لغة منطوقة ولغة مكتوبة، بين لغة تتناول السلوك الفردي والإجتماعي ولغة تتناول السلوك الفني كما ان كلا من عمليتي (التجريح) و (الفضح) اللذين تألفهما في النقد الأرضي ينبغي ان يتنزه الناقد الاسلامي عنها.

صحيح ان ابراز المساوي الفنية في النص تفضي الى عملية (فضح) لصاحب النص، الا ان هذا الاخير ينبغي ان يتقبل ذلك برحابة صدر ما دام النص الادبي ملكا للآخرين وليس لكاتبه فحسب، وهو ما يفترق تماما عن السلوك الشخصي فيما يتعين ارشاد الشخص مباشرة من دون فضحه امام الآخرين وهذا يعني ان هناك فارقا بين نقد السلوك الفردي وبين نقد

(1) ينظر: موسوعة كمبريدج، القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية والنفسية، ترجمة إسماعيل عبد الغني / منى عبد الوهاب / هاني حلمي دعاء إمبابي محمد هشام مراجعة وإشراف رضوى عاشور، تحرير ك.تلووف ك. توريس ج. أوزبورن المشرف العام ، جابر عصفور المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة ط ١، ٢٠٠٥ م ، ص ٥٣٥

نتاجه الفني، وهو أمر يتعيّن التشدد عليه في هذا الجانب، كما يترتب عليه جانب آخر يظل

في غاية الأهمية بالنسبة للناقد الإسلامي. (1)

تستنج الباحثة من خلال عرض الفكر النظري النقدي عند الدكتور محمود البستاني بأنه

يلتزم بمرجعية أخلاقية غلبت على آرائه النقدية المعززة بالمبادئ الإسلامية التي يتم

توصيلها للقارئ .

المبحث السادس: مفهوم الشكل، والمضمون

إن قضية الشكل والمضمون، أو الشكل والمحتوى، شغلت حيزاً كبيراً من جهد النقاد قديماً

وحديثاً، وقد عرف نقدنا العربي القديم ما يشبه هذه القضية (قضية اللفظ والمعنى) * وإذا

كان بعض النقاد يلمحون إلى إمكانية الفصل بين اللفظ والمعنى أو بين الشكل والمضمون

فإن الفصل بينهما غير ممكن من الناحية العملية على أننا لا ننكر أن بعض الاتجاهات

والمذاهب اهتمت بالمضمون اهتماماً كبيراً، ولا يزال بيننا من لا يولون الأهمية المطلوبة

للتشكيل الفني. (2) ولعل السبب في اهتمام النقاد بهذه القضية، إنما يرجع إلى خطورة هذه

القضية من حيث ارتباطها الوثيق بتقدير العمل الأدبي، فأى خلط في فهم طبيعة العلاقة

(1) ينظر : الإسلام والفن، محمود البستاني، ص ٦٤

(2) ينظر: نقد أدبي حديث، مفاهيم ومصطلحات وأعلام، حامد صادق قنبي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان

، ٢٠١١، ص ١٥٣

* تعد قضية اللفظ والمعنى من القضايا الكبيرة التي شغلت النقاد القدماء، فقد قام جدال بينهم في تحديد مصطلح كل

منهما في إعطاء النص الأدبي قيمته الفنية، ولعل المحفز لهذا الجدل هو الإعجاز القرآني، وارتباط الفكر النقدي

والبلاغي بمضامينها بوصفه عربياً وإسلامياً، فكان النزاع محتتماً في أي منهما يكمن الإعجاز، في اللفظ وتأليفه، أو

في المعنى ودلالته، أو بهما معاً، أم بالعلاقة المتولدة بينهما؟ للاستزادة ينظر: الحيوان الجاحظ، والشعر والشعراء

لابن قتيبة، ودلائل الإعجاز للجرجاني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده للقيرواني

بين الشكل والمضمون، سيؤدي إلى الخلط في الحكم على الآثار الفنية ، وعلى الأخص ما جاء منها متصلًا بنظرية الخيال ووحدة العمل الفني التي جاءت عند الناقد كوليردج والتي تنص على توضيح العلاقة بين الشكل والمضمون في الأدب وهي قضية طالما شغلت المشتغلين بالدراسات الأدبية والنقدية على مر العصور، لا في الآداب الأوروبية وحدها، ولكن في أدبنا العربي، وخطورة هذه القضية إنما تنشأ من ارتباطها الوثيق بتقدير قيمة العمل الأدبي وتبين تأثيره. (1) وقبل أن نتطرق إلى مفهومي الشكل والمضمون عند البستاني يجب ان نوضح المقصود بهذين المفهومين أولاً؟ فالشكل، هو الهيكل الخارجي للنص الأدبي المجرد من المضمون على نحو لو أراد الناقد ان يحكم مثلاً على قصيدة شعرية من حيث اجزاءها الخارجية فلا بد له من ان يتطرق إلى الوزن والصورة والموسيقى والصياغة الفنية لها، اما المضمون، فهو الهيكل الداخلي للنص الأدبي فينص على فكرة او أخلاق او فلسفة او دين او اجتماع وغير ذلك، لذلك المضمون هو المادة الخام للأديب يخرجها بشكل صورة خارجية، في ضوء ذلك انقسم النقاد: نظراً لهذا التمييز بين الشكل والمضمون إلى مدرستين ، إحداهما مدرسة الشكل والأخرى مدرسة المضمون، وأخذت كل مدرسة تقيس الفن بمقاييسها الخاصة ، فأصحاب الشكل لا يرون في المضمون أية قيمة فنية، ويحصرّون

(1) ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د.محمد زكي العشماوي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٧٩م، ص ٢٢٧

أحكامهم في دائرة الصياغة الفنية وما يتحقق عنها من جمال، وأصحاب المضمون يرون أن الفن كله مضمون .

وحددوا المضمون كما يقول كروتشه، تارة بما يلد، وتارة بما يتفق مع الأخلاق، وتارة بما يسمو بالإنسان إلى سماوات الفلسفة والدين ، وتارة بما هو صادق من الناحية الواقعية، وتارة بما هو جميل من الناحية الطبيعية المادية.⁽¹⁾ لذلك ينطلق البستاني من قضية تبلور مفهوم اللفظ والمعنى عند النقاد في الموروث الغربي والعربي بكونهما مفهومين ساذجين يتوازنان قيمة أو يفضل إحداها على الآخر والاتجاه إلى مفهومي الشكل والمضمون⁽²⁾

ففي ضوء ذلك يشير البستاني في كتابه (في النظرية النقدية) هذه الإشارة إلى مفهوم الشكل والمضمون فيقول: بعد ان تبلور مفهوم اللفظ والمعنى إلى مفهوم الشكل والمضمون في النقد الحديث فهناك من دعا إلى عدم الفصل بينهما وهذا ما بدأت ملامحه منذ عهد الرومانسيين وذلك من عضوية الاثر عند النقاد (كوليرج، وبو) إذ إن الاتجاهات النقدية الحديثة ردمت إمكانية الفصل بينهما حتى حسبت ان الاثر الادبي كائن عضوي لا سبيل إلى تصور جزيئة منه منفصلة عن الاجزاء الاخرى كما إن هذه الاتجاهات اتسمت بالعمق والشمول والأستيعاب .

(1) ينظر: قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، د. محمد زكي العشماوي، ص ٢٣٧، ٢٣٨

(2) ينظر: مجلة الكلمة مقال النقد بين القيم الفكرية والجمالية، محمود البستاني، العدد الثالث، السنة الثالثة، شباط

١٩٧١م، ص ٥٣

وعلى الرغم من انها اخذت دراسة نقدية مهمة للأثر الا أن البستاني تطرق لقضيته الشكل والمضمون محاولاً حل الخلاف بين النقاد حولها إذ دراسته تنبثق من إدراك حقيقي لطبيعة المشكلة، فهناك مسألة مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بفلسفة إدراك الأشياء بمعنى: هل المدرك الحسي الذي أمامنا يحمل في ذاته حقيقة كامنة فيه، أم أنه يحمل ظلاً زائلاً لحقيقة منفصلة عنه؟ (1)

لذلك ينبغي ان يواجه الناقد الأدبي أمرين مهمين هما: الأول هو استحالة الفصل بين الشكل والمضمون والثاني هو إمكانية الفصل بينهما. (2)

فالناقد عبر تعامله مع النص يتعامل من خلال القيم الجمالية او تعامله مع القيم الفكرية ،او تعامله معهما، فإن عملية الفصل بين الشكل والمضمون تشده طبيعة النص، ذلك لأن سلخ الشكل عن المضمون يفقد النص ذلك النسيج الحي الذي يلاحظه البستاني وحدة لا انفصام بين اجزائها مثلما يمارسان ذوي الاتجاه الفكري او الجمالي هذا الانفصام لذلك فالتعامل الحق لحل هذه المشكلة ،في ضوء ذلك يحاول البستاني حل مشكلة الفصل والجمع بينهما ، فيذكر البستاني بأن الفصل والاستحالة في الآن ذاته يحملان نقيضهما معاً فاستبدال مفرده في السياق او صورة في سياق القصيدة او في سياق البناء هذا الاستبدال لا يجعل من هيكل النص هيكلًا آخر ،بل يتحدث عن اخايد في هذا الهيكل فمثلاً إن شاعرًا رديئاً وضع كلامي بدلاً عن حوار في الصورة تظل متغلغلة بجذورها إلى عمق المأساة الا الكلمة

(1) ينظر: قضايا النقد الحديث، محمد صايل حمدان، دار الأمل للنشر والتوزيع، أربد، الأردن، ط1، 1991م، ص 17

(2) ينظر: مجلة الكلمة مقال النقد بين القيم الفكرية والجمالية، محمود البستاني، ص 4

الثانية تفجرت على شاعر صاغ الصورة بنحو أكثر إشراقاً ومتانة، وهذا الأمر عند البستاني يسوغ للناقد التحدث عن الفصل بين الشكل والمضمون.

أما تعامل الناقد مع النص من خلال وجهة نظر البستاني فهو يتفق مع رأي الناقد " كولورديج" عندما تحدث عن نقد العمل الفني إذ جعله يقوم على أساس مهم هو أن الشكل والمضمون يتحدان اتحاداً تاماً، وأن الشكل ليس أمراً مصنوعاً صناعة آلية ولكنه يكمن في باطن العمل الفني، فكما اكتمل نمو العمل الأدبي تحدد شكله⁽¹⁾ وذلك لأن الأدب معرفة جمالية، فمادام إدراكنا لجمالية المعرفة تقودنا إلى مطالبة الناقد بتحقيق تلك المعرفة الجمالية، ومجرد إيماننا بالمعرفة يعني وضع المحتوى أو المضمون في الاعتبار، ومجرد إيماننا بالجمال يعني وضع الشكل في الاعتبار ولن يتحقق الاعتبار إلا بإكسابهما وحدة لا انفصام لها وبذلك لا بد أن يعني الناقد بالجمع بين الاعتبارين بنحو يبين صلة المعرفة بالجمال، وهذا يتطلب من الناقد النهوض بدراسته الطرائق التي يؤدي العمل الأدبي بها، الطرائق بما أنها تقود إلى معرفة، لا الطرائق ذات إمتاع جمالي إذ إن الجمال له وجود موضوعي خارج ذاتنا، إلّا أن هذا الجمال لا يتحقق إلا بإدراكنا له، فالمعرفة بأدوات جمالية هي التي تميز النص الأدبي عن سواه، لذلك لا يمكن أن يزهد الناقد من قيمته إطلاقاً؛ لذلك فالناقد من منظور البستاني يتعاور على القيم الفكرية والجمالية ويتكى على الجمال للوصول إلى معرفته؛ فتكون الصلة بينهما لا انفصام لها، ولا يمكن التحدث

(1) ينظر: كولورديج، محمد مصطفى بدوي، دار المعارف، القاهرة الطبعة الثانية، ١٩٨٨م، ٩٧،

بانفصالها لكونهما يتآزران في إبراز القيمة الأدبية للنص لان العمل الأدبي لن يتحدد في عنصرين منفصل إحداهما عن الآخر⁽¹⁾.

الخلاصة مما تقدم ذكره حول قضية الشكل والمضمون بأن البستاني لم يحل مشكلة الشكل والمضمون من الناحية النظرية، لكونه ادخل القارئ في إشكالية خطيرة وهي الجمع والاستحالة بين الشكل والمضمون التي تواجه مفسر النص الأدبي، اذ لم يوضح المواضع التي يجب على الناقد ان يفصل بينهما أو يجمع بينهما، والواضح من طرح هذين المفهومين له مرجعيته الغربية الفكرية الحديثة كما حاول البستاني أن يشير إلى مسألة مهمة تحدث عنها النقاد المحدثون وهي الوحدة العضوية للنص الأدبي.

المبحث السابع: مفهوم التراث، والمعاصرة

لا شك أن التراث لا يحصر في ثقافة معينة أو حضارة ما، إنما هو عام وكل متكامل لا يمكن ان ينفصل بعضه عن البعض الآخر، فهو كل ما يتركه الأول للآخر ماديا ومعنويا، وهذه نظرة شاملة للتراث باعتباره الماضي المؤثر في الحاضر والمستقبل⁽²⁾

في ضوء هذا الفهم يرى البستاني في طرحه قضية التراث أهمية في الكشف عن العمل النقدي له في مجال التطبيق فهو في تناوله الموروث ، ينتقد الموروث البلاغي في اللغة العربية لكونه لم يألف ظاهرة الفن القصصي ،فالقصة بمعناها الفني لوجود لها في العصور

(1) ينظر: في النظرية النقدية ،محمود البستاني ،ص ٧٦، ٧٧، ٧٩

(2) مفهوم الشعر عند رواد الشعر العربي الحر، فاتح علاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥

الموروثة، اذ ظهرت نتيجة التيارات الوافدة من الغرب وبروز الترجمة لها، حيث خبر الغرب هذا النوع من القصص بدءاً من الأغريقيين، ومروراً بالعصور الوسطى والحديثة، لذلك تاريخ الاسلام لم يألف ظهور القصة الفنية بقدر ما كانت موجودة في بعض القصص المترجمة او المصاغة على لسان الحيوانات بنحو ساذج لا يمت إلى القصص الفنية بصلة الا في بعض عناصرها، وفي تتبع البستاني لدراسة التراث فيصفه بأنه تراث جزئي ومقطعي⁽¹⁾ فالبستاني في قراءته للتراث يتحفظ إزاء صب اللوم على التراثيين لأسباب منها:

١-حدود الزمن

٢-الثقافة الفنية آنذاك

لكنه يعيب على المعاصرين الذين يصوغون قواعدهم على قواعد أسلافهم وهذا ما يفسد ادواقهم ويعطلها بدلاً من أن ينميها ويصقلها، لكن ثمة أمراً مهماً وهو هل البستاني أخرج التراث من دائرة الرؤى النقدية؟ وكيف وفق البستاني بين استثمار التراث والمعاصرة؟ والاجابة على مثل هذا الأسئلة، بأن البستاني لا ينكر التراث الثقافي جميعه وإنما قسماً منه هو لا يصلح أن يؤخذ به كونه مر عليه زمن طويل ولا يتناسب والثقافة الفنية المعاصرة، لذلك يقول قسم من القواعد الموروثة بقي محتفظاً بفاعليته وحيويته وصوابه وقسم آخر ظل موسوماً بالعيوب.⁽²⁾

(1) ينظر: قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا، محمود البستاني، ص ١٢، ١٣

(2) ينظر: القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، محمود البستاني، ص ١٣

فيقول البستاني بهذا الصدد: نحن المعنيون بشؤون الفن ينبغي أن نعنى باستخلاص القواعد على اساس طبيعة البيئة التي تفرض هذه القاعدة أو تلك، فمثلاً؛ نجد أن العصر الحديث قد اعتمد النثر المرسل بدلاً من النثر المقفى أو ما يسميه البلاغيون بـ السجع و قد تجيء أجيال جديدة فتعتمد النثر المقفى من جديد مثلاً، وهذا يعني أن الإرسال أو التقفية تظل مجرد وسائل جمالية تفرضها مواضع البيئة، وهذا المفهوم عند البستاني وظفه في دراسته القرآن الكريم و النصوص الأدبية المأثورة عن النبي و أهل البيت عليهم السلام تجمع بين النثر المرسل و النثر المقفى، وهذا يعني عنده أن النص القرآني الكريم قد راعى - من جانب - لغة العصر؛ حيث كان النثر المقفى في العصر الجاهلي يقف قبالة الشعر المقفى، حتى لكأن الفارق بين النثر والشعر آنذاك هو: انتظام الوزن في تفعيلاته المعروفة فحسب، ولكن القرآن من جانب آخر راعى مطلق المعايير الفنية متمثلة في النثر المرسل، الذي يظل طابعاً لكل الأجيال الأدبية؛ قديماً وحديثاً.⁽¹⁾ وأما المعاصرة عند البستاني فهي ترتبط بفن الأدب أو الأدب بنحو عام أو بالدراسة الأدبية أو بدراسة النقد الأدبي وخاصة في حديثه عن المدارس المعاصرة بالنسبة إلى التعامل مع النص الأدبي إذ اتجهت هذه المدارس إلى دراسة النص الأدبي من خلال تعاملها مع النص وقراءته واستخلاص دلالاته أي أن النص الأدبي عندما يطرح عبارة أو صورة فنية أو مقطعاً أدبياً أو موضوعاً من الموضوعات فأن هذا الطرح يظل خاضعاً لأكثر من دلالة، فمثلاً كلمة (النور) يستطيع القارئ أن يستنتج

(1) ينظر: القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي، ص ١٧، ١٨

منها دلالة تختلف عما يستنتجها قارئ آخر، فقد يكون النور رمزاً للتحرر من الاستعمار في نظر متذوق أدبي والنور قد يكون رمزاً للمعرفة في نظر متذوق آخر والنور قد يكون رمزاً للمبادئ الخيرة بنظر المتذوق الآخر وهكذا .. ومن ذلك تكمن أهمية مثل هذا الاستنتاج في النص الفني الذي يستأثر باهتمام أكبر أو أكثر قدر من القراء دون أدنى شك وهؤلاء أيضاً تتنوع قدراتهم في تذوقهم للنص، وبذلك يكتسب النص جمالاً وروعة، بالإضافة لذلك هناك مبدأ نفسي يفيد المتذوق حينما يمارس بنفسه تجربة قرائية بامتاع جمالي، يجهد القارئ ذاته لاستخلاص المعاني أو بقدر ما يكتشفه هو بنفسه من دلالات.⁽¹⁾

وهذا الرأي جعل البستاني يتجه إلى دراسة النص القرآني وفق التعامل مع النص، لكونه يتميز بهذه السمة الفنية حتى وإن كان النص القرآني يختلف مع النص الأدبي من جانب إلى أنه يتفق مع النص الأدبي من جانب آخر بكونه نصاً علمياً أو نصاً تشريعياً يستهدف توصيل المبادئ إلى الآخرين بشكل أو بآخر، والأهم من ذلك إن العبارة في النص القرآني تقدم جاهزة بحيث يستوعبها القارئ مباشرة وقد توحى شيئاً ضئيلاً فتتطلب جهداً من القارئ أو تكون متممة بالغموض والضبابية بحيث تتطلب جهداً واسعاً وقد تكون نصوصاً لا يعلم تفسيرها أو تأويلها إلا الخاصة كالنبي محمد (ص) وأهل بيته المعصومين (عليهم السلام)⁽²⁾ لذلك يستخلص البستاني من خلال طرحه قضية التراث والمعاصرة بأن تقويم النص ينبغي أن يدرس وفق عصره والعصور الأخرى التي قدمت معايير متباينة لتقدير ذلك النص وهذه

(1) ينظر: محاضرات في علوم القرآن الكريم، ص ١٢٤

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص ١٢٤، ١٢٥

المسلمة يمكن أن يسدل عليها الستار إذا قدم جيلاً معاصراً عليها كشوفاً نقدية حديثة تحدث معياراً نسلم بصحته لا يثير تشكيكاً ما. (1)

لذلك ترى الباحثة بأن، هذا الرأي النقدي الأخير حاول البستاني الإشارة إليه أثناء تعامله مع النصوص القرآنية وذلك من خلال الأخذ بنظر الاعتبار قضية التراث والمعاصرة كما أن في ضوء ذلك انطلق من مرجعية عربية ساهمت في تفسير النصوص القرآنية على مستويات شتى.

المبحث الثامن: مفهوم الحداثة

بما إن للحداثة معنيين، هما: " معنى زمني يقصد به العصر الذي نعيش فيه وما يتصل به من أحداث ومنجزات وخصائص، ومعنى فني يقصد به مجموعة سمات وخصائص في شكل الفن ومحتواه إذا توفرت في عمل فني عد حديثاً". (2)

لذلك لم يغب تحديد مفهوم الحداثة عن رؤية "البستاني" المنطلقة من التصور الإسلامي، فهو شأنه شأن من سبقه وضع مفهوماً دقيقاً للحداثة، فالحداثة عنده لها ثلاثة شروط، مرة تكون الحداثة في المادة ومرة تكون في اللغة ومرة تكون في المنهج، المنهج لا مانع منه، وأما المادة فهي نمطان: كمادة علم النفس وعلم الاجتماع الخ، وبما أن البستاني احد النقاد الإسلاميين ينبغي أيضاً أن يستفيد من أي تراث كان ومن أي ثقافة كانت يأخذ، منها

(1) ينظر: في النظرية النقدية، محمود البستاني، ص ٩٩

(2) الحداثة حدثنا الشعرية، مفهومها واشكالاتها، محمد اسماعيل دندي، دار معد للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا،

دمشق، ط ٢، ٢٠٠٧م، ص ٨

الإيجابيات ويترك سلبياتها ، فتأثر الناقد الأدبي بالتيارات الحديثة حينئذ يستطيع أن يوصل أفكاره الإسلامية إلى الآخرين على سبيل المثال يقول البستاني: عندما أتناول نصاً قرآنياً أو حديثاً لأحد المعصومين عند ذلك أتوسل بالمعرفة الحديثة كعلم النفس والاجتماع والتربية وأستفيد من هذه النظريات المطروحة هناك واستخدمها كإضاءة لتوضيح الآية القرآنية أو النص الوارد عن المعصومين في هذا الإطار ينبغي أن نفيد من التيارات الحديثة ، وهو ما أسميه بالعلوم المحايدة ولكن هناك علوم منحرفة ، فنفس هذه النظريات في النفس والاجتماع والتربية تنطوي على نظرات وآراء منحرفة ، لذلك ينبغي على الكاتب الإسلامي على رأي البستاني أن يكون حذراً في هذا الجانب فيتخذ من الآراء والنظريات ما لا يصطدم مع وجهة النظر الإسلامية ويترك ما يصطدم معها وهذا يحتاج الى أن يكون للكاتب أو الشاعر أو القاص أرضية فقهية أو ثقافية إسلامية بشكل عام ، حيث يستطيع أن يميز المنحرف من السوي، لذلك فالحادثة عند البستاني ذات جانبين :الجانب الإيجابي : هو أن تكتب على وفق المفردات والعبارات والتراكيب التي تستخدم حديثاً ولكن ينبغي أن تكون على حذر من أن تستخدم الأساليب المغرقة في الترف أو المغرقة في الضبابية والغموض ، فعلينا أن نأخذ ما هو مشرق من العبارة وما هو محكم من التركيب وأن ندع ما هو ملتو وما هو معقد وما هو غامض، أما الجانب السلبي فهو عكس ذلك .⁽¹⁾ ومما تجدر الإشارة إليه أن الحادثة عند البستاني تقسم إلى نوعين الأول هو الحادثة المادية التي تدل على التحسينات التي

(1) ينظر: حوار للبستاني في كتاب الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، ص ١٦٨

تدخل على الإطار الخارجي للوجود الإنساني فهذه الحداثة ظاهرة وواضحة أما الثاني فهي الحداثة الفكرية فهي تتضمن المناهج وأدوات التحليل والمواقف العقلية التي تؤمن بمعقولية أكثر وملائمة الواقع فالحداثة المادية مرهونة بنوعية الحداثة الفكرية المتحققة (1) والخاصة مما تقدم ذكره: ان البستاني استوعب قضية الحداثة اذ انطلق من هذا المفهوم للحداثة على وفق مرجعية حدائية تجعله ناقداً يبحث عن أدوات تمكنه من انتقاء المعرفة الإسلامية الصائبة من خلال التقاطع والتلاؤم مع الاتجاهات النقدية المختلفة.

وتنتهي الباحثة الى أن البستاني من النقاد الذين يمارسون النشاط الإبداعي إذ يهيمه أن يعرض وجهة نظره، لذلك يؤسس لمفاهيمه فيشرحها ويبرز مكوناتها بلغة نقدية، لكي يتفاعل القارئ مع إبداعه، فهو في نقده الجانب النظري يحاول أن يؤسس للجديد من خلال طرح هذه المفاهيم، إضافة إلى ذلك بأن البستاني لا يرفض استعمال هذه المفاهيم القديمة، وإنما شرط أن يضيف عليها دلالات تبدو حديثة من خلال تجربته النقدية المعاصرة، إذ تجد الباحثة تكرار هذه الأفكار النقدية في جميع مؤلفاته، لاسيما الدراسات القرآنية، وهذا ما يدل على كون البستاني حريصاً كل الحرص على نشر هذه الأفكار التي تناولها من تصوّر إسلامي لا يمكن أن يرتبط بأيّ تصور آخر، فضلاً عن الركيزة الأساسية التي ساهمت في صياغة مثل هذه المفاهيم العامة عند الدكتور محمود البستاني، لكونه أحد الذين تطرقوا لهذه المفاهيم المتبلورة بفعل مرجعية نقدية تنتمي إلى ما يلائم النص بمحيطه الإسلامي البحث،

(1) ينظر: الإسلام بين الأمس والغد، محمد أركون، لوي غارديه، ترجمة علي المقلد، دار التنوير، دار الفارابي، ط 1،

فكان محور هذه المرجعية في صياغة هذه المفاهيم البعد الأخلاقي والبعد الديني والبعد التراثي والبعد الفكري والبعد الاجتماعي والبعد النفسي والبعد البنيوي علاوة على ذلك: ساهمت هذه المرجعية النقدية في تكوين المفهوم النقدي عند البستاني، وذلك لكون صياغة المفهوم النقدي لا يمكن أن تنشأ من العدم، كما أن ملامح هذه المرجعية في التطبيق ستتضح في الفصل الثالث.

الفصل الثالث:

في المرجعية النقدية وتمثّلاتها في دراسات البستانيّ

القرآنيّة

إضاءة: في مدلول المرجعية النقدية

المبحث الأول: في المنهج والمصطلح

المبحث الثاني: المرجعية السياقية وتمثّلاتها

المبحث الثالث: المرجعية النصية وتمثّلاتها

إضاءة: في مدلول المرجعية النقدية

إن مفهوم المرجعية من المفاهيم التي شهدت التباساً مفاهيمياً وقلقاً مصطلحياً منذ ظهوره؛ وذلك لعلّه عائد إلى طبيعته المتشعبة في مجالات عدّة، جعلته لا ينحصر في أفقٍ معرفيٍّ ضيق، إذ شغل به العديد من المفكرين والباحثين في تخصصات متباينة، سواء في العلوم الفلسفية أو الاجتماعية أو الإنسانية أو السياسية أو التاريخية وغيرها، ولمقاربة هذا المفهوم يمكن الرجوع إلى دلالاته المعجمية والاصطلاحية.⁽¹⁾

فالمرجعية جاءت في المعجم الوسيط " (المرجع): بمعنى الرجوع إلى الشيء وفي التنزيل العزيز: ﴿إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم تعملون﴾⁽²⁾ ومحل الرجوع والأصل، وأسفل الكتف، وما يرجع إليه من علم وأدب من عالم أو كتاب"⁽³⁾

أما في المدلول الاصطلاحي للمرجعية فقد ارتبطت به كثير من العلوم وما يهمننا ارتباطها بالنقد، لاسيما بعلاقتها بالناقد الأدبي واستعماله لأدواته النقدية.

فالمرجعية النقدية اصطلاحاً: هي الخلفيات الثقافية والمنابع المعرفية التي يصدر عنها النقاد العرب المعاصرون في خطاباتهم النقدية، فلا يمكن لأيّ باحث أو ناقد أن ينطلق من العدم

(1) ينظر: المرجعية الثقافية في الخطاب الروائي في قطر، عفيفة منادي الكعبي، رسالة قدمت إلى كلية الآداب والعلوم، للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، جامعة قطر، ٢٠٢٠م، ص ١٠

(2) سورة المائدة، آية رقم ١٠٥

(3) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط ٤، 2004م، ص 331

أو الفراغ : بل لابد من تراكم معرفي وأصول فكري يستند إليها وهي التي توجه خطابه بعد ذلك في ممارسته النقدية. (1)

اما بالنسبة إلى مرجعية الناقد فيظل التعامل من خلالها محكومًا بسياقات متنوعة، إذ النص العادي* عند البستاني لا قيمة له قبال النص الشرعي، هذا من جانب، ومن جانب آخر يتعامل البستاني مع بعض النصوص القرآنية مباشرة دون الحاجة إلى النص المفسر، ومن جانب آخر أيضًا يتعامل فيه بالرجوع إلى نص المعصوم (عليه السلام)، وأخيرًا التوكؤ على التخصص، لاسيما فيما يتعلق بتخصص البستاني في النقد الأدبي. (2)

لذلك ترى الباحثة إن المرجعية في النقد الأدبي تعني منظومة فكرية يحتكم إليها الناقد في التحليل، اما عند البستاني فهي مرجعية مستمدة من النص القرآني ذاته.

وانطلاقًا من مرجعية البستاني في خطابه النقدي الخاص الذي يدور في منطقة حساسة من مناطق الإبداع الأدبي والمعرفي (النص القرآني)؛ لأنها أكثر مناطق هذا الإبداع التصاقًا بصناعة ما يدعو إليه البستاني هذا على عاتق الحركة النقدية مسؤوليات إضافية أكثرها أهمية بالنسبة لميدان النقد نفسه عملية من خلال تمحيص أدوات الناقد لغرض معرفة مرجعيته النقدية المستوحاة من التراث والمعاصرة، وفحص سماته، ومعرفته بما يدور في هذا

(1) ينظر: مقالة مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث، بشير إبرير، مجلة علامات في النقد، 1 سبتمبر 2003م، العدد: 49، ص 7

(2) ينظر: الفهم المتجدد لآيات الكتاب المجيد في ضوء المنهج البنائي، حوار مع الدكتور محمود البستاني ،

<https://www.ruqayah.net/subject.php?id=682>

*هو النص الأدبي (الشعر، النثر) ماعدا النص القرآني والنص المعصوم

الحقل المعرفي في مختلف الثقافات الإنسانية، فأفق الخطاب النقدي لا يتشكل من وظائفه فحسب، ولكنه يتجاوزها إلى نطاق فعاليته، ومسؤوليته إزاء نفسه، وتهيئته لمناخ معرفي مع قدرة القارئ على التعامل مع كل ثمار النشاطات الأدبية المختلفة، فعلاوة على الاضطلاع بالوظائف المتزامنة والمتراكبة، أي الخطاب النقدي كجهاز معرفي ونظام وظيفي عليه أن يتعامل بشكل دوري مع النقد الأدبي نفسه بوصفه خطاباً متميزاً له وظائفه المختلفة، ومع طبيعة العلاقات الداخلية بين هذه الوظائف، لأننا إذا ما اعتبرنا الأدب نظاماً من الأنساق التعبيرية المتفاعلة، والتي يعد كل نمط منها نظاماً مستقلاً في حد ذاته، برغم ترابط هذه الأنظمة وتفاعلها وتكاملها في بعض الأحيان، فإن التعامل مع الكتابة من خلال مدخل أو مقرب نقدي وظيفي ينشد التعرف على أنماط النصوص، وعلى الأدب ككل، ومن خلال تحديد أو اكتشاف عدد من الوظائف الصغيرة الفاعلة في النص والتعرف على علاقات هذه الوظائف التعبيرية من حيث كون بعضها رئيسياً والآخر ثانوياً أو تابعاً، يفرض على الناقد التوقف كل فترة من الزمن لتمحيص هذا المقرب ومساءلة وظائفه المتعددة. (1)

تأسيساً على ما تقدم نكره فإنّ مدلول المرجعية لا يمكن الاتكاء عليه في الجانب النظري بل لا بدّ من إشارة امتداده إلى مجال أوسع من ذلك، وهو المجال التطبيقي عند البستاني لبيان الدليل القاطع عن تمثّلات هذه المرجعية النقدية .

(1) ينظر: أفق الخطاب النقدي، دراسات نظرية وقرآنية تطبيقية، صبري حافظ، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة

المبحث الأول/ في المنهج والمصطلح

لم يغب عن هاجس البحث عن منهج في ذهن النقاد المعاصرين، لا سيما عند الدكتور "محمود البستاني" بل لعله كان أحد المحاور الرئيسية التي استقطبت اهتمامهم وسببت حيرتهم في آن واحد، ويتلخص الإشكال في التساؤل عن كيفية التعامل مع مناهج نقدية كثيرة متزاحمة يقف الدارس العربي إزاءها موقف الحيرة لشعوره الحاد، بأنه لم يبتدعها ولم يسهم في بعثها وبلورتها؛ لذلك فالمنهج هو الطريقة التي يتبناها الناقد في عرضه للنصوص المختلفة بطريقة نقدية تتبين من خلالها ما أراد الباحث توصيله للمتلقي. (1)

كما أن المنهج النقدي في دراسة النصوص الأدبية له مفهومين: عام، يرتبط بطبيعة الفكر النقدي ذاته في العلوم الإنسانية بأكملها هذه الطبيعة الفكرية النقدية أسسها ديكرت على أساس أنها لا تقبل أي مسلمات قبل عرضها على العقل، ولهذا الفكر النقدي سمة أساسية وهي أنه لا يقبل القضايا على علاتها انطلاقاً من شيوعها وانتشارها، بل إنه يختبرها ويدلّل عليها بالوسائل التي تؤدي إلى التأكد من سلامتها وصحتها، وذلك قبل أن يتخذ هذه القضايا أساساً لبناء النتائج التي يريد الوصول إليها، أما الخاص، فهو الذي يتعلق بالدراسة الأدبية، وبطرق معالجة القضايا الأدبية والنظر في مظاهر الإبداع الأدبي بأشكاله وتحليلها. (2)

(1) ينظر: النقد العربي الحديث، ومدارس النقد الغربية، محمد الناصر العجيمي، محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، تونس، ط ١، ١٩٩٨ م، ص ٤٨٨

(2) مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، ميريت للنشر والطبع، مصر، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٢ م، ص ١١

إذ إن المنهج يتكئ في الدرجة الأولى على مفاهيم عقلية أو منطقية يمكن حراكها وتغييرها فيصعب على الأديب الذي يعتقد مذهباً أن يغيّره بسرعة بينما يسهل على المفكر الذي يعتقد أو يقتنع بمنهج محدد ثم يجد فيه جوانب واضحة من القصور، أن يستكمله بقدر أكبر أو يعدله بمرونة أوضح . (1)

ويقصد بالمنهج بصورة عامة: ذلك التصميم البيّن والمتقن والمحكم الذي يتبعه الباحث أو الدارس أو الناقد أو القارئ الضمني في دراسة الظواهر الأدبية والفنية والجمالية قصد فهمها، وتفسيرها، وتأويلها وبالتالي، يعتمد المنهج على التصور النظري والتحليل النصي والتطبيقي، ويعني هذا أنّ الدارس يحدّد مجموعة من النظريات الفكرية والذهنية من خلال الاستعانة بمنطلقاتها الفلسفية والإبستمولوجية، ومختزلاً إيّاها في فرضيات ومعطيات أم مسلمات ثمّ ينتقل إلى التأكّد والتثبت من تلك التصوّرات النظرية عن طريق التحليل والتوصيف والتطبيق الإجرائي ليستخلص مجموعة من النتائج والخلاصات التركيبية. (2)

فالمنهج خطة يلتزمها الناقد لتحديد مساره، وضبط أفكاره لكي يمضي بحثه إلى هدف واضح محدد، وهو ثمرة من ثمرات انضباط الفكر ومنطقته، وعمقه ودقته، ولم يعد اليوم مقبولاً في عصر العلم، وما أحرزه من تقدّم هائل قائم على التركيز والضبط. (3)

(1) ينظر: مناهج النقد المعاصر، ص ١٧

(2) ينظر: مناهج النقد الأدبي من البنية إلى الأسلوب، جميل حمداوي، بلال داوود، المركز المتوسطي للدراسات والابحاث، المملكة المغربية، طنجة، ط١، ٢٠٢٢م، ص ٦

(3) ينظر: مناهج النقد الأدبي الحديث رؤية إسلامية، وليد قصاب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٩م، ص ١٧

ويرى البستاني: أنه لا توجد دراسة كاملة لا يأتيها الضعف والنقص وإذن فمن التعصب التمسك بتقنيات مبادئ واحدة على أساس أنها هي وحدها التي ينبغي الاعتماد عليها، في ضوء ذلك يمكن القول: إن البستاني يعتمد عدة مناهج في دراساته القرآنية يصعب تحديدها على نوع واحد فهو يعتمد المنهج المناسب في الموضوع الذي يراه مناسباً في أثناء طرحه آراءه النقدية حول النص الأدبي. (1)

لابد من الإشارة إلى أول المناهج النقدية وأقدمها وأكثرها شيوعاً في العصر الحديث هو المنهج التاريخي إذ هو منهج يصنّف حالياً في المناهج التقليدية التي توصف: بأنها تقارب النص الأدبي من الخارج، أي أنها تهتم بأصل النص أكثر من اهتمامها بالنص ذاته. ويعرف المنهج التاريخي في النقد الأدبي بأنه المنهج الذي يتّخذ من حوادث التاريخ السياسي والاجتماعي وسيلة لفهم الأدب ودرسه وتحليل ظواهره المختلفة، كما أنّ معرفة التاريخ السياسي والاجتماعي لأيّ أدب من الآداب هي لازمة لا غنى عنها لدراسة هذا الأدب وتعرفه وفهمه وتفسيره، وكثيراً ما يستحيل فهم نص أدبي قبل دراسة تاريخية موسعة للوقائع والظروف والملابسات السياسية والاقتصادية والاجتماعية التي كانت وراءه، مع الإشارة إلى أنّ النص الأدبي وثيقة تاريخية مهمة، فهو من مصادر فهم التاريخ ودراسته، إذ هو فيّاض بالمعلومات عن العصر الذي عاش فيه المؤلف وعن معاصريه من الكتاب والحكام والأمراء والشخصيات المختلفة، فالعلاقة بين الأدب والتاريخ هي علاقة وثقى، وهي علاقة متبادلة،

(1) ينظر: محاضرات في علوم القرآن، ص ١٦٩

كل منهما عون للآخر، وسلاح من أسلحته وإذا جهلنا التاريخ فسوف نشوه معنى النصوص، ولا نفهمها جيداً، فالناقد التاريخي يستعين بتاريخ العصر ونظمه السائدة على استجلاء النص الأدبي، وإدراك ما خبأه الزمن وراء حروفه، والعلم بما تضمنه أو أشار إليه من وقائع ومواقع وأحداث وأعلام، كما أنّ أصحاب هذا المنهج لا ينظرون إلى النص الأدبي على أنه عالم مستقل قائم بذاته، أو أنه مجرد بناء لغويّ مكتف بعناصره اللغوية وحدها، بل ينظرون إليه على أنه حقيقة تاريخية واجتماعية كذلك. (1)

ويمكن القول: بأن المنهج التاريخي مثلاً، عند البستاني يقع ضمن المناهج النقدية التي تعنى بدراسة قصص القرآن الكريم بصفاتها وقائع أو مواقف تاريخية تستهدف أفكاراً خاصة بما تحمله من أهداف أراد القرآن الكريم توصيلها إلى المتلقي كون القصة أشد تأثيراً بالإضافة إلى ذلك تناول القصة إلى شخصيات واحداث ومواقف وبيئات.... واتساقاً مع سائر الأفكار التي تطرحها السور الكريمة مع موضوعات فقهية أو عقائدية أو أخلاقية أو اجتماعية أو اقتصادية الخ، (2) اي يتناول القصص القرآنية حسب تسلسلها الزمني لذلك يتطرق الى قصة آدم (عليه السلام) في سورة البقرة، وانتهاءً بقصة أبي لهب وامراته.

كما ويفيد المنهج الاجتماعي المجتمع، إذ كان ظهور موضوعات جديدة وأشكال تعبير جديدة، وأسلوب جديد في أعقاب التبدلات التي تطرأ على البنى الاجتماعية، وهذا المحتوى الاجتماعي الجديد لا يعبر عنه مباشرة أبداً، بل يعبر عنه بطريقة غير مباشرة، إذ المنهج

(1) ينظر: مناهج النقد الأدبي الحديث، رؤية إسلامية، وليد قصاب، دار الفكر، دمشق، ط ١، ٢٠٠٧م، ص ٢٣، ٢٤

(2) ينظر: قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا، محمود البستاني، ص ١٢

الاجتماعي ، يمكن عن طريق تطبيقه تطبيقاً واعياً فهم نشأة الظواهر الأدبية المختلفة وتطورها وزوالها، ويفيد أيضاً المنهج الإجتماعي النقد اذا كان يتناول الأعمال الأدبية ذات الطابع الاجتماعي، فيحدد الأصول التي ينشأ منها العمل الفني ، ويفسر ما ينطوي عليه من معان ودلالات، لكن تطبيق المنهج على جميع الأعمال الفنية يسفر عن نتائج غير سليمة، فثمة اعمال فنية لا تسري عليها مقولات التحليل الاجتماعي والاقتصادي، كما ان هذا النوع من النقد، شأنه شأن النقد النفسي، لا يصلح لتفسير التركيب الداخلي للعمل الفني، فالناقد هنا يتكلم بعبارات تاريخية واجتماعية ، على الموضوع الذي يعالجه العمل الفني والأفكار التي يعبر عنها ، غير أنه عندما ينتقل الى العناصر الفنية للعمل ، لا يستطيع أن يتحدث عنها باللغة نفسها . (1)

والجدير بالملاحظة أن البستاني اعتمد هذا المنهج في دراساته لذلك يعرفه بقوله : أنه منهج يحاول دراسة النص الفني في ضوء الظروف الاجتماعية التي ولد النص فيها، بصفة أن النص ظاهرة اجتماعية لها اسمها و مكوناتها وصلاتها بمختلف الصعد التي تفرزها، وأن القصيدة أو القصة أو الخطبة مجموعة من أفكار وأشخاص ومواقف وأحداث في (بيئة) معينة تتميز من مكان لآخر وزمان لآخر، ولكل منها طابع يختلف بالضرورة عن سواه،

(1) ينظر: في النقد الأدبي الحديث، منطلقات وتطبيقات، فائق مصطفى، عبد الرضا علي، مديرية دار الكتب للطباعة

والنشر، جامعة الموصل، العراق، ط ١، ١٩٨٩م، ص ١٧٩، ١٨٠

حينئذ فأن سلخ النص عن دائرته الاجتماعية يجعل عملية التقويم الفني بتراء، لا تحقّق

الفائدة المستهدفة في النص⁽¹⁾

لذلك استعمل البستاني المنهج الاجتماعي في ضوء حديثه عن البيئة الاجتماعية التي نزل

فيها النص القرآني، في نزول القرآن الكريم في بيئة الجاهلية في مجتمع يُعنى بالجانب

الأدبيّ كلّ العناية سواء أكان هذا الاعتناء في مجال الشعر وفنونه، أم في مجال النثر

وفنونه، لذلك البيئة الاجتماعية للنصوص القرآنية عند البستاني تمتد إلى المجتمعات

الأخرى، ولا يمكن ان تنحصر في بيئة واحدة .⁽²⁾

ولعل المنهج النفسي يحاول أن يقرأ الأدب قراءة تمتد خلف سطحه الظاهريّ ، ولقد قام

(فرويد)، بوضع الأسس العامة للقراءة النفسية للأدب ، وحاول على ضوء هذه الأسس أن

يضع تفسيراً لظاهرة الإبداع الفنيّ ، عن طريق فكرة التسامي النفسي لدى المبدع، فهذا

الأخير يندفع تحت وطأة الرغبة اللاشعورية ، نحو إنتاج ما يشبع هذه الرغبة، فنشاطه

النفسي على رأي فرويد ، موزع بين ثلاث قوى : الأنا (الشعور)، والأنا الأعلى (الضمير)،

والهو (اللاشعور) والصراع فيما بينهم يتجلى في سلوكه الشخصي في أي موقف من

المواقف وهو أي الصراع تم بواسطة ما يطلق عليه فرويد اسم الآليات منها القمع، والكبت،

والتسامي ، إلا أنّ اهتمامات فرويد الأدبية كانت محدودة، أما تلاميذه فقد قاموا بتطبيق

مناهجه بشكلٍ منظمّ و درسوا المعاني والدوافع اللاشعورية للكاتب، غير أن جهود بعض

(1) ينظر: الإسلام والفن، ص ٧١

(2) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، ص ١٨٥، ١٨٦

النقاد قد اتجهت فيما بعد نحو دراسة الأثر دراسةً نفسيةً على ضوء مفاهيم وأسس جديدة مستوحاة من نظرية فرويد ونظرية النقد الأدبي في وقت معاً، وهذه المفاهيم قد أتاحت للباحث أن يدرس عالم الأثر وعالم الكاتب في الوقت نفسه عن طريق إفضاءاته اللاشعورية المضمرة في صورته الفنية⁽¹⁾

في ضوء ذلك يرى الدكتور محمود البستاني أنّ المنهج النفسي هو الطريقة التي يستخدمها الباحث في دراسته لأحد الموضوعات في ضوء الظواهر النفسية له، أي إخضاع البحث للتفسير النفسي، متمثلاً في الركون إلى مختلف المبادئ التي يطرحها علم النفس في هذا الميدان؛ لذلك يذكر البستاني بقوله: وإذا أدركنا أنّ علم النفس يعنى بدراسة السلوك الإنساني من حيث (استجاباته) حيال (المثيرات) المختلفة التي يواجهها الشخص أدركنا -حينئذ- أهمية هذا الضرب من المعرفة من حيث انعكاساته على النصّ المدروس.⁽²⁾

أمّا أن "دراسة النص في ضوء دلالاته النفسية يظلّ من أشدّ مستويات البحث النقدي بالقياس إلى غيره من المعرفة الإنسانية، خاصة إذا أدركنا أنّ المنهج القائم على ربط الصلة بين النصّ وصاحبه لا يمكن الاطمئنان إليه، وأما المنهج القائم على ربط الصلة بين

(1) مدخل إلى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق المصطلحات الأدبية، سمير حجازي، دار التوفيق للطباعة

والنشر والتوزيع، سورية، ط ١، ٢٠٠٤م، ص ٦٦، ٦٧، ٦٨

(2) الإسلام والفن، ص ٧٥

النص والجمهور فمن الممكن ان يندرج ضمن دراسة النص في دلالاته النفسية مما يعني

في نهاية المطاف، ان المنهج المذكور يظلُّ أشدَّ فاعلية من سواه".⁽¹⁾

وينبغي توضيح قول البستاني: بأن ربط النص وصاحبه لا يمكن الاطمئنان إليه، وذلك لأن

دراسة بعض النصوص لا يمكن دراستها في ضوء الصلة بمبدعها وهي (النصوص

القرآنية).

ويتضح المنهج النفسي في كتاب البستاني قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا، حينما

يعرض إلى قضية القصص القرآنية، وتحديد سلوك المجتمعات ومعرفة مدى الأثر والتأثير

على نفسياتهم، وكيفية تحقيق هذا المنهج في كشف النفس البشرية، ومدى تفاعلها مع

الأحداث.⁽²⁾

أمّا المنهج البنائي فيعرفه البستاني: "دراسة النص القرآني من خلال (السورة) بضمنها

(وحدة) لغوية لها بناؤها الخاص المتمثل في نص تتربط آياته وموضوعاته وعناصره وأدواته

بعضها مع الآخر".⁽³⁾

هذا المنهج أثار ضجة كبيرة في الأوساط الأكاديمية؛ لأنه المنهج الأكثر بروزًا في دراساته

القرآنية لاسيما في كتابه (التفسير البنائي للقرآن الكريم) إذ يذكر الباحث إبراهيم حسن في

رسالته للماجستير أنّ للنقد الأدبي تأثيرًا على المنهج البنائي في التفسير، خاصة وإن أساس

(1) الإسلام والفن، ص ٧٩

(2) ينظر: قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا، محمود البستاني، ص ٦٠

(3) المنهج البنائي في التفسير، محمود البستاني، دار الهادي للطباعة، بيروت، ط ١، ٢٠٠١ م، ص ١٣

تسمية البنائي يأتي من النقد الأدبي الذي يعنى بدراسة بنية النص الأدبي، كما إنه يعد أبرز معالم المنهج البنائي عند الدكتور "محمود البستاني"، حيث لم يكتف بتطبيقه على كامل سور القرآن الكريم في تفسيره، بل قدّم رؤيته النظرية لهذا المنهج، مبدعاً مجموعة من الاصطلاحات والتصنيفات لأبنية السور، ومودّعاً هذه التنظيرات في طيات العديد من كتبه، منها: في التعبير القرآني، أدب الشريعة الإسلامية، عمارة السورة القرآنية والمعروف أيضاً بالتفسير البنائي للقرآن الكريم، والمنهج البنائي في التفسير، ومن أكثر ما يركز عليه الدكتور البستاني في حديثه عن المنهج البنائي هو ملاحظة الوحدة الفنية للسورة القرآنية، هذه الوحدة الفنية التي تتجاوز حدود وحدة الغرض التي سبق أن تحدثنا عنها، ويقصد بالوحدة الفنية أن ثمة خطوطاً متفرقة تجتمع في نهاية المطاف عند نقطة واحدة أو محور واحد تتفرع أو تتلاقى عنده الخطوط العامة للسورة القرآنية الكريمة⁽¹⁾

اما في دراسة الدكتور "علي كاظم أسد" لمنهجية البستاني، فيجمع البستاني -برأيه- بين رؤى مذهبين متناقضين نسبياً هما "الماركسية، والنقد الجديد" فالماركسية تجعل الأدب من عناصر البنية الفوقية للمجتمع، وينتج ويعيد إنتاج نظام فكري، ويحول مسارها ويعيد تقويمها، وهي تقسم العمل الأدبي إلى شكل ومضمون، أو إلى قيم فكرية وقيم جمالية بحسب عنوان بحثه المنشور في مجلة الكلمة على حين يركز النقاد الجدد على السمات الخاصة بالأدب بعيداً عن الأمور الاجتماعية والسياسية والأخلاقية الخ، بل يجب فصل النقد عن

(1) ينظر: المنهج البنائي في التفسير، تفسير البستاني نموذجاً، ابراهيم حسن، رسالة ماجستير في الدراسات

الإسلامية، الجامعة الإسلامية في لبنان، ص 31، 37

دراسة المهاد الاجتماعي والسياسي والإيديولوجي، والاهتمام بالنص الأدبي نفسه، ولا ترى فصلاً بين الشكل والمضمون، بل تدعو الشعر الى نظرية عضوية، فاستطاع في دعوته إلى أسلمة الأدب والفن أن يجمع بين النظريتين والإفادة منهما، وهذا بحسب ثقافته، لا على أنه من قبيل انتمائه، أو على إنهما من مراجعه، بل مع سبيل توسيع الرؤية فقط. (1)

يبدو للباحثة بأن الدكتور علي كاظم يظن بأن المنهج الاجتماعي والمنهج البنيوي ليسا من ضمن الأسس التي ترتبط بمرجعية البستاني النقدية، وهذا لا يمكن أن يكون؛ لأنّ المرجعية النقدية هي إجراء تطبيقي، وليس إجراء نظرياً فقط، وهذا ما يجعل البستاني يوضح رؤيته النقدية، وتظن الباحثة بأن الدكتور علي كاظم لم يتطرق إلى قراءة مؤلفاته والمناهج المتبعة فيها جميعاً؛ لأن البستاني وظّف هذين المنهجين بشكل واضح في دراساته القرآنية، إذ هذا لا يعني إن البستاني لا يتّخذها مرجعية له في أثناء دراساته القرآنية، وهذا ما سوف نتطرق إليه في قضية المرجعية النقدية فيما بعد في الآتي:

الخلاصة مما تقدم ذكره: إن الدكتور محمود البستاني كان على حذرٍ من إستعمال المناهج النقدية واختياره المنهج الملائم للنصوص الدينية، لذلك تطرح الباحثة سؤالاً هل البستاني اعتمد هذه المناهج بصورة مطلقة أم اعتمدها بشكل نسبي، هذا ما يتضح في المبحث الخاص بالمرجعية النقدية.

(1) ينظر: مجلة المجمع العلمي العراقي ، الدكتور محمود البستاني قراءة في منجزه النقدي النظري والتطبيقي ، علي

كاظم اسد ، بغداد، ج ٢، مج ٦٨، ٢٠٢١ م، ص ٤٨

المصطلح النقدي:

يعد المصطلح أداة من أدوات التفكير العلمي ووسيلة من وسائل النشاط العلمي والأدبي، وهو قبل ذلك لغة مشتركة بها يتم التفاهم والتواصل بين أهل الشأن، أو على الأقل بين طبقة أو فئة خاصة في مجال محدد من مجالات المعرفة والحياة، فإذا لم يتوفر للعلم مصطلحه العلمي الذي يُعد مفتاحه، فقد هذا العلم مسوغه، وتعطلت وظيفته، وبما أن لابد من تحديد الألفاظ والمفاهيم؛ لأن مثل هذا التحديد هو المنطلق الأول للتفكير العلمي. (1)

فقد تجلت دقة لغة "البستاني" في محاولته استعمال المصطلح النقدي الذي يسبغ على اللغة النقدية تحديداً دقيقاً وموضوعية، وبما أنه يؤسس لدراسة النص القرآني، فإنه يستخدم مصطلحات تبدو مألوفة للقارئ العارف، لذلك نجده يشرحها له ويوضحها من خلال التطبيقات القرآنية عليها، ومن أكثر هذه المصطلحات دوراناً في مؤلفاته النقدية، هي ما يأتي:

أ - الجودة الفنية:

إن مصطلح الجودة ارتبط بالنقد الأدبي العربي الكلاسيكي من حيث هو أحد المعايير النقدية التي يطلقها النقاد على الأعمال الأدبية؛ لغرض الحكم عليها من حيث الجودة أو الرداءة، فقد ورد أقدم ظهور لهذا المصطلح عند ابن سلام الجمحي أطلقه وصفاً للشعر أكثر مما وصف بها الشاعر، وجعلها معياراً أساسياً من معايير قياس الشعر وجماله، كما اتخذها

(1) ينظر: المصطلح النقدي في نقد الشعر لقدامية بن جعفر، أدريس الناظوري، طبع وتوزيع دار النشر المغربية، ط1،

أساساً لتقسيم الشعراء إلى طبقات في كتابه طبقات فحول الشعراء إذ أصبحت عنده من أبرز المقاييس النقدية، فحتى معيار الكثرة ومعيار تعدد الأغراض، يرفض اعتبارهما كذلك إلا بارتباطهما بمقياس الجودة فيقول: عند زهير، والمخبل شعر كثير جيد، فالشاعر المكثّر المجيد عنده خير من الشاعر المقلّ المجيد، والشاعر المكثّر المجيد المتعدّد الأغراض أفضل عنده من المكثّر المجيد المقلّ الأغراض، إذ يقول في الأسود بن يعفر: كان الأسود شاعراً فحلاً... وله واحدة رائعة طويلة لاحقة بأجود الشعر، ولو كان شفيعاً بمثلها قدمناه على مرتبته (1)

والجدير بالملاحظة أن هذا المعيار قد كان مرتبطاً بالشعر بنحو ملحوظ عبر تنظيرات النقاد القدامى، إلا أن انتقال استعمال هذا المصطلح في العصر الحديث لاسيما عند الدكتور محمود البستاني أصبح معياراً لجودة النصّ القرآني لاسيما في الصورة الفنية؛ لذلك يقول البستاني: إن القارئ مدعو إلى تأمل هذه الصورة الفنية بدقة، فمعيار الجودة والإثارة في عنصر (الصورة الشعرية) هو: قيامها على انتقاء شيء مشترك بين طرفي الصورة، يكون أشد من غيره إثارة واستجماعاً للدلالة التي تستهدفها الصورة، مع ملاحظة أن يكون التركيب للصورة متمسماً بما هو طريف وجديد ومبتكر من جانب، وأن يكون مألوفاً في الأذهان من جانب آخر. (2)

(1) ينظر: طبقات فحول الشعراء، ص ١٤٧، ١٥٠

(2) ينظر: دراسات فنية في قصص القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٧٤٠

اما إذا لم يكن مألوفًا في الأذهان، فسواء أكان غامضًا، ملفعًا بالضبابية أو اذا لم يكن ذا جدّة وطرافة وابتكار كأن يكون مبتذل الاستعمال حينئذ فإن الصورة الشعرية تفقد أهميتها.

فيرى البستاني الصورة في قوله تعالى: «فجعلهم كعصف مأكول»⁽¹⁾ جامعة ، لكل عناصر الجودة المطلوبة في صياغة الصورة الفنية وزيادة، فهي أولاً تتسم بكونها مألوفة في الأذهان يخبرها الجميع، ويُشاهدها الكل في تجاربه المرئية، فالتبن وطريقة تناول الدواب لهذا الطعام، ثم لفظه روثًا، ثم دوس الأقدام عليه، ثم تناثره على الدروب كل ذلك، يشاهده الرائي، ولا يحتاج إلى إعمال الذهن في إدراكه، وأما كون هذه الصورة الفنية طريفة، وجديدة، فأمر واضح ما دام الأمر متصلاً بانتزاع شيء يتماثل مع شيء آخر ويشاركه في تلك السمة ، بنحو لم ينتبه عليه في كتابة الصورة الفنية.⁽²⁾

تستنتج الباحثة في ضوء ذلك أنّ معيار الجودة قد اقتصر على النصوص الشعرية سابقًا عند النقاد ثم انتقل إلى النص القرآني كما موضّح في المثال أعلاه، إذ هذا المعيار النقديّ قد استند عليه البستاني في الحكم النقديّ لهذه الآية الكريمة في أثناء حديثه عن الصورة الفنية .

ب - الوحدة العضوية

الوحدة العضوية ليست بقضية جديدة، وإنما الجديد فيها هو أنّها أصبحت اليوم تُعدّ من بين الأسس المهمة التي يقوم عليها النقد الأدبيّ الحديث بعدما كان العمل الأدبيّ قديمًا عبارة

(1) سورة الفيل، آية ٥

(2) ينظر: دراسات فنية في قصص القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٧٤٠

عن خواطر وأفكار لا تصل بينها آية رابطة فنية لكن هذا لا يعني أنّ الوحدة العضوية لم تعرف إلا في عصرنا الحاضر، فمن المعروف لدى المهتمين بالأدب والفنون أن أول من تحدث عن هذه الوحدة الفيلسوف اليوناني "أرسطو" في كتابه "فن الشعر"، وأراد بها وحدة المسرحيات والملاحم وخصّها "وحدة المأساة" مشيراً إلى وجوب اشتمال المأساة على فعل تام له بداية ووسط ونهاية، لأنّه إذا كان واحداً تاماً ككائن حي أنتج اللذة الخاصة بها . (1)

استنتج البستاني في تحديد مصطلح الوحدة العضوية بقوله: هي الوحدة التي تربط جزئيات النص بعضها على الآخر، سواء أكان الارتباط المذكور بين موضوعات النص أم بينها وبين العناصر أو الأدوات الجمالية الأخرى من صورة تشبيه، استعارة الخ أو ايقاع، تجانس، فواصل مقفأة، توازن الجمل، أو عنصر قصصي، الخ(2)

و يتضح من خلال هذا المصطلح ميل البستاني إلى دراسة النص القرآني على وفق البناء العام للسور جميعاً، إذ طبّق هذا المفهوم على النصوص القرآنية، فمثلاً يشير البستاني الى أن بداية القصة نلاحظها بالنسبة إلى نهايتها، وبالنسبة إلى أوسطها، وحيث ترتبط كلّ هذه الأقسام الثلاثة فيما بينها لتجعل لنا مبادئ بلاغية للقصة القرآنية الكريمة كما يلاحظ أن البداية القصصية تحتل موقعاً عضوياً، كذلك في الواقع نجد أن الخاتمة القصصية تحتل موقعاً عضوياً له جماليته وإسهامه في الفكرة التي يستهدفها النص، فلو عدنا إلى قصة البقرة

(1) ينظر: الوحدة العضوية عند العقاد، حنان مخفي، مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الليسانس، قسم اللغة العربية وأدبها، شعبة أدب عربي، جامعة ابي بكر، تلمسان، الجزائر، ٢٠١٣ - ٢٠١٤، ص ٣

(2) ينظر: مجلة قضايا إسلامية معاصرة، منهج التعامل مع القرآن، محمود البستاني، العدد السادس، ١٩٩٩م، ص ٣٧.

نفسها للحظنا كيف أن البداية التي أمرت بذبح البقرة لها علاقة بسلوك الإسرائيليين المتوقع أو بسلوك الاسرائيليين المنحرف حيال محبتهم للعنصر الحيواني (البقرة)، إذ تحدّث البستاني عن نهاية هذه القصة عن ذبح البقرة فعلاً والنهاية التي ترتبت على ذلك، أي الخاتمة القصصية المتمثلة بقوله تعالى: ﴿يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾⁽¹⁾ هذا التعقيب للقصة أو الختام للقصة له أهمية بلاغية كبيرة جداً، تتمثل هذه في سورة البقرة التي تتضمن عدّة قصص تتحدّث عن جانب من جوانب ظاهرة الإحياء وظاهرة الإمامة ، فكما في موت الشخصية وإحيائها في هذه القصة، التي تعرّضت لظاهرة الإمامة والإحياء، سوف تعكس صداها على تلكم القصص التي سنواجهها في السورة القرآنية الكريمة، أي سورة البقرة ذاتها كقصة إبراهيم غير تقطيعه للطيور الأربعة، وقصة الذين قال لهم الله موتوا ثم أحياهم وقصة المار على القرية عبر تساؤله: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾⁽²⁾ (3)

حيث أماته الله مئة عام ثم أحياه، وقصة محادثة إبراهيم مع نمرود وزعمه الذهاب إلى أنّه يستطيع أن يحيي ويميت، بعد أن ناقشه إبراهيم وذكر له أن الله يأتي بالشمس من المشرق الخ، نقول: إن هذه القصص جميعاً تحوم على محور واحد هو محور الإمامة والإحياء وإضافتها مظهرًا من مظاهر قدرته المطلقة (سبحانه وتعالى) حيث أن هذا الهدف أو

(1) سورة البقرة ، آية ٧٣.

(2) سورة البقرة، آية ٢٥٩

(3) ينظر محاضرات في علوم القرآن الكريم ،محمود البستاني، ص ٢٦٤

المضمون الفكري الذي يستهدف القرآن الكريم توصيله إلينا يوظف القصة لإنارة هذه الفكرة، لذلك يرى "البستاني" بالنسبة إلى القصة في ختامها وهي تتحدث عن الإحياء والإماتة عكست أثرها أو أصداها على القصص الأخرى التي تلتها في الصور إذ عندما تختم القصة أيضاً بخاتمة معينة يكون لهذه الخاتمة مسوغها الفني أو العضوي المؤشر إلى أن كل موقع من مواقع القرآن الكريم سواء أكان هذا الموقع عبر سورة أم عبر قصة أم آية من نصوص القرآن الكريم تظل محتلةً موقعاً هندسياً يفصح عن الإعجاز من دون أدنى شك وإذا كانت كل من بداية القصة ونهايتها ترتبط بهدفها الخاص، فإن وسط القصة دون أدنى شك، يظل بدوره مرتبطاً بالسماط الفنية أو العضوية. (1)

نستخلص ممّا تقدم ذكره: إنّ الوحدة العضوية هي ترابط أجزاء النص القرآني فيما بينها مع دفع الالتباس عند القارئ في أثناء قراءة النصوص، بل تكشف هذه الوحدة علاقة الأجزاء فيما بينها لتوحيد فكرة معينة يحاول النص إيصالها للمتلقي .

ث - الوحدة الموضوعية

وتعني عند البستاني بأنها النص المتوجّه لموضوع معين مع الإشارة إلى أنّ الوحدة الموضوعية لا تعني انحصارها في سياق مقفل، بل قد تتصدّرها أو تختتم بها موضوعات أخرى، خاصة في السور التي تتمحّض للعنصر القصصيّ مثل سورة يوسف فيما تتصدرها وتتعبها جملة من الأفكار المستهدفة في النص، كما أنّها قد تبدأ بعرض مجمل للموضوع،

(1) ينظر محاضرات في علوم القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٢٦٤، ٢٦٥

ثم تأخذ بتفصيلاته، ومثاله من السور القصار جداً: سورة الفيل حيث عرضت أولاً إجمال الموضوع ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ ثم فصلت الحدث بحسب تسلسله الزمني ﴿فارسل عليهم طيراً ابابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم ...﴾ ومن الطبيعي، أن تصدير الحدث أو الموقف بما هو مجمل له مسوغاته النفسية في عملية الاستجابة، حيث يدع المتلقي متشوقاً إلى معرفة تفصيلاته⁽¹⁾

كما يشير البستاني إلى نوعين من الوحدة الموضوعية هما:

النوع الأول: وحدة الموضوع ووحدة الفكرة أو الهدف: في هذه الحالة السورة تحمل موضوعاً واحداً أو هدفاً واحداً، وهذا من نحو سورة (الكافرين)، حيث أنّ موضوعها واحد هو (علاقة المؤمن بالكافر) وهدفها واحد هو: (لكلّ عبادته: لكم دينكم ولي دين)، والذي يوحد البناء فيها هو: فكرتها الذاتية إلى أنّ المهم هو أن يمارس الإنسان مسؤوليته .

إما النوع الثاني: وحدة الموضوع وتعدّد الهدف: فتكون السورة تتضمن موضوعاً واحداً، و لكنها ذات أهداف متعدّدة، وهذا من نحو سورة (يوسف) حيث إنّ موضوعها هو حياة يوسف ، ولكن أهدافها متعدّدة مثل فكرة الصبر، العفة، الحسد، الغيرة، والذي يوحد البناء فيها هو حياة يوسف⁽²⁾

(1) قضايا إسلامية معاصرة، التفسير البنائي، محمود البستاني، العدد ٤، ١٩٩٨م، ص ٤١

(2) ينظر ادب الشريعة، محمود البستاني ، ص ١٩، ٢٠

نستنتج مما تقدم: إن وحدة الموضوع شكّلت أهمية واضحة في بعض دراسات البستاني؛ لكونه يحاول ربط النصوص القرآنية فيما بينها والبحث عن موضوع واحد يجمع الآيات القرآنية في السورة فيما بينها .

ج- تبادل الحواس

هو صورة أدبية، وهي وصف مدركات كل حاسة من الحواس بصفات مدركات الحاسة الأخرى، فتعطى المسموعات ألوانًا وتصير المسموعات أنغامًا، وتصبح المرتبات عاطرة⁽¹⁾ بتعبير آخر يعني التراسل تبادل الحواس أو حلول إحداها محل الأخرى على مساحة نشاط الحواس الخمس وعرف البعض التراسل أو "الحس المتزامن" أو "تبادل الحواس"، أنه تعبير يدل على المدرك الحسي أو يصف المدرك الحسي الخاص بحاسة معينة بلغة حاسة أخرى، مثل إدراك الصوت أو وصفه بكونه مخملياً أو دافئاً أو ثقيلًا أو حلواً، وكان يوصف دوي التغير بأنه قرمزي(اللون الأحمر) هذه الصورة وليدة التزاوج بين حاستين كالسمع والذوق، نحو: صوت حلو، أو نغمة عذبة فالصوت والنغمة من المسموعات بينما الحلو والعذبة من المذوقات⁽²⁾

أما معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب فيشير الى أن أول من استعمله بمفهومه الاصطلاحي هو (جول ميه) في رسالة عن السمع الملون، حيث إن التراسل له جذور في

(1) ينظر النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997م، ص395

(2) ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة وكامل المهندس، ص148

النصوص التراثية في الأدب الغربي، مثل الإلياذة وأفاض المؤلفان في ذكر الأمثلة من النصوص الغربية التي ورد فيها تراسل الحواس ويستطردان فيها حتى يصل إلى العصر الحديث، فيذكران حوالي 25 مثالا لأربعة وعشرين شاعرا غربيا، ومثالا من نصوص الكتاب المقدس ومع كل ذلك الإشارات والنماذج، وبالرغم من اتساع المدة الزمنية التي تناولها فإنهما لم يشيرا إلى مصدر أو شاعر عربيين واحد، وكأن الأدب العربي حلو من هذه الظاهرة، وكان تاريخ الآداب العربية على مر عصوره لم يفتن لهذا الأسلوب لا تنظيرا ولا تطبيقا، وهو ما يخالف الواقع وإن كانت المدرسة الرمزية قدمت تراسل الحواس بوصفه مصطلحا جديدا للأدب، وأسرفت في استعماله، حتى صار علما عليها فهذا لا يعني بالضرورة أنها أوجدته من عدم، فبمراجعة النصوص التراثية الإبداعية - وخاصة الشعرية منها - نجد الكثير من النصوص التي استخدمت تراسل الحواس أداة بلاغية تضيف جمالا للنص الشعري . (1)

تلقى هذا المصطلح الدكتور محمود البستاني في أثناء دراسته النصوص القرآنية لاسيما في التركيب الصوري القائل ﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾⁽²⁾ إن هذه الصورة تنتسب إلى الاستعارة، كما هو واضح، حيث خلع النص سمة نفسية، لذلك أن النص في صدد النظر إلى إحكام البناء للسموات و لمطلق الظواهر، و عبارتا (التفاوت) و (الفطور) تشيران

(1) الأفضليات، الصيرفي، تحقيق وليد قصاب، وعبد العزيز المانع، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، 1982، ص 226

(2) سورة الملك، آية رقم ٤

إلى ذلك، وبما أنّ حاسة البصر هي التي تتكفل بعملية الاستجابة حيال ذلك، فإنّ ممارسة هذه الاستجابة من خلال البصر خضعت لعملية المطالبة المتكررة بذلك، حيث قال النص أولاً: (فارجع البصر)، ثم قال ثانية (ثم ارجع البصر) وهذه المطالبة المتكررة تجانست فنياً مع تكرّر النظر إلى الظاهرة الإبداعية، أي أن (المطالبة المتكررة) توازنت مع النظر المتكرر، و في أمثلة هذه الصياغة دالة فنية ينبغي ألا تغيب عن أذهاننا كمتلقين يهمننا أن نتذوق جمالية النص، لكن، لندع هذه الشريحة التمهيديّة للنظر إلى الصورة ذاتها ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير فماذا نجد؟ الملفت للنظر أنّ النص يخلع السمة الاستعارية في الآية الكريمة بمستوييها الداخلي والخارجي، فالأولى يعني خلع صفة على ظاهرة مماثلة لها حسيّاً وتجريديّاً، مثل تبادل الحواس عند الإنسان فيما بينهما كالتبادل بين حاستي البصر، والآخر يعني خلع صفة على ظاهرة مباينة لها، مثل خلع صفة بشرية على جماد مثلاً. هنا في النص الذي نحن في صدده نجد أن نمطي الاستعارة قد استخدمنا بنحو له إثارته الفنية. فالبصر و ارتداده (ينقلب) سمتان جسميتان والبصر وخسوؤه، أحدهما جسمي والآخر : نفسي بيد أن الأهم من ذلك هو الاستجابة الكلية لعملية الإبصار ونتائجها.⁽¹⁾ والقارئ مدعو بطبيعة الحال إلى أن يمارس بنفسه هذه العملية ليستجيب لها على وفق درجة مخزونه الخبروي، أي خبراته، وعندها يجد أن صفتي الخسوء والحسور: الذل والكل، تشكلان عملية استجابية للقارئ تتناسب وخطورة مرسلات النص ، ويشير البستاني ايضاً

(1) ينظر دراسات فنية في صور القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٦٥٣، ٦٥٤

إن القارئ حينما يمتد ببصره إلى السماء ويلاحظ تماسكها، خلال تكرار النظر إليها، عندها تحسس أهمية الصورة يرتد بصره باستجابتين: إحداها الخسوء، المهانة، والذل، وهي سمة نفسية، ولكنه لماذا الذل؟ إن المستجيب لن يلاحظ أي تفاوت وانشقاق على الرغم من سعة الساحة التي يمد بصره إليها، وعندئذ مادام يكرر النظر إلى السماء وهو على وعي بمهمته التجريبية التي دعاه النص إليها، فلا يعثر على أي تفاوت وانشقاق، سيتحسس نتيجة ذلك مهانة مزدوجة، خيبة حيال سماء لا حدود لمساحتها وإحكامها. (1)

ح- المحاكاة

ترجع أصول مصطلح المحاكاة إلى أفلاطون وأرسطو، إذ تتلخص فكرة أرسطو على مبدأ كل الفنون يقوم على محاكاة الطبيعة لا بوصفها شكلاً أو مثلاً وإنما لما فيها من مظاهر عامة دائمة تصلح لكل زمان ومكان، وذلك ما يميز الفنان أو الشاعر في رأيه عن المؤرخ الذي لا يهتم إلا بدقائق الأمور وحوادثها التفصيلية، وقد لعب مفهوم المحاكاة الأرسطي دوراً مهماً جداً في مدارس النقد الأوربية منذ عصر النهضة حتى أواخر القرن الثامن عشر. (2)

لجأ البستاني لهذا المصطلح في أقصوصة سليمان (ع) في سورة سبأ في قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِن عَذَابِ السَّعِيرِ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ

(1) ينظر دراسات فنية في صور القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٦٥٣، ٦٥٤

(2) ينظر معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبة، كامل المهندس، مكتبة لبنان، لبنان، بيروت

٢٠، ١٩٨٤م، ص ٣٣٩

مِنْ مَّحْرِبٍ وَتَمَثِيلٍ وَجَفَانٍ كَأَجْوَابٍ وَقُدُورٍ رَّاسِيَتٍ أَعْمَلُوا ءَالَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٍ مِّنْ عِبَادِيَ الشُّكُورِ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَّوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١﴾ من خلال حديثه عن إشباع الحس الجمالي في القصة ، فقد تم من خلال محاكاة المشاهد الطبيعية ، وليس : المشاهد نفسها ، فيما يذكر أن الامام الصادق (ع) أوضح انّ هذه التماثيل التي عملها شخوص (الجن) إنّما هي تماثيل (الشجر) وليست تماثيل الآدميين، لذلك يمكن أن يحدّد البستاني التوازن الهندسي المتمثل في :المشاهد الطبيعية أولاً تقابلها المشاهد المصطنعة ثانياً، ان كليهما المشاهد - (الطبيعية) و (المصطنعة) ، تشبع نمطاً خاصاً من الإشباع الجماليّ فمن الواضح في حقل (التذوق للجميل) أنّ علماء الجمال ونقاد الفن ، يفرزون بين نمطين من التذوق لما هو جميل من الظواهر أو المرئي(2)

الأول منهما : يتمثل في تذوق الطبيعة الحيّة التي ينطوي عليها (الجميل) من شجر، نهر الخ و الثاني منها :يتمثّل في عملية (المحاكاة) أو تقليد الطبيعة ، ومنه (النحت) وسائر الفنون تجسيمية كانت أم لفظية مثل : الشعر والقصة ونحوهما ، فيما تحاكي وتقلد ما هو طبيعي من المشاهد ، أما النمط الأول ، فان مهماته الجماليّة ، تتمثل في الإشباع الحسي المباشر، لما تنطوي عليه المشاهد من (ملامح) و (أبعاد) جميلة .أما النمط الثاني (وهي : الفنون)، فإنها تشبع نمطاً آخر من الحاسة الجماليّة ، متمثلاً في : نقلها الى تجربة

(1)سورة سبأ، آيه ١٢، ١٣، ١٤

(2)ينظر دراسات فنية في قصص القرآن الكريم ،محمود البستاني ،ص٥١٢

تذوقية جديدة يخلع الفنان عليها إضاءات وإضافات جديدة ، ليست منسوخة عن (الطبيعة) نسخاً مباشراً، بل غير مباشر بحيث يبرز (دلالات) و (افكاراً) ثانوية عليها تتسق مع ثقافة الفنان وخبراته في الحياة ، مثلما تتسق مع ثقافة المتلقي أيضاً وخبراته في هذا الصدد ، وبكلمة جديدة : إنَّ الفنان يقدم (كشفاً) للواقع، وليس نسخاً للواقع، وحتى مع افتراض (النسخ) الصرف أو التقليد المباشر ، فإنَّ (التقليد) نفسه ينطوي على إمتاع جمالي : بصفته (نقلاً) لواقع قد شوهد سابقاً : ثمَّ (نقل) إلى (شكل) يشابه الواقع السابق وفي ميدان العمليات النفسية أنَّ (نقل) الواقع وإكسابه حركةً جديدةً ، يستثير (المتلقي)، وينقله إلى استجابة حيوية ، وتجربة جديدة تزيده (غنى) وثراء. (1)

خ- الانزياح

لا شك بأن الناقد الأدبي حينما يتعامل في أول شأنه مع نصّ من النصوص فإنَّ هدفه في المقام الأول قراءة النص من أجل إحيائه، وذلك من أجل وضعه في إطار بلاغي، وحينئذ سوف يكون قادراً على تبين نوع الخطاب، ثم نوع الجنس، ثم نوع الأسلوب، وأخيراً نوع الأسلوب، الذي يقوم عليه النص، والانتقال بين هذه الأمور في إطار خطة عملية وعلمية وهي ما نسميها بالانزياح. (2) ذكر البستاني هذا المصطلح بقوله: بدأ مصطلح جديد يلج الساحة، وهو مصطلح (الانزياح) و(العدول) ليشير إلى الصورة بدلالاتها الأشمل أي صورة

(1) ينظر: دراسات فنية في قصص القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٥١٢

(2) ينظر: نظرية النقد الأدبي الحديث، يوسف نور عوض، الأمين للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٤م،

المجاز بنحو عام أو ما يصطلح عليه (بالعدول)، عن القواعد المعجمية أو النحوية إلى منحى آخر، قد أعاد لهذه الصورة السابقة واللاحقة والمواكبة للجيل الأخير، هذه الصورة نعني بها الاستعارة حيث أعاد لها فاعليتها من جديد بحيث جعلها هي المحور للانزياح، أخيراً ثمة وجهة نظر في الواقع تتجاوز ذلك إلى مطلق الاستعمال اللغوي المعدول، ونعني به خرق القوانين اللغوية لتشمل حتى ما يصطلح عليه في الموروث في علم المعاني كالتقديم والحذف بل ليتجاوز مطلق الاستعمال اللغوي الذي يشير إلى ما هو إحياء في الواقع كما يلاحظ ذلك في عناصر الإيقاع حيث أن الصوت المنتظم والصوت المتجانس له إحياءاته التي تستحضر ما هو غائب من الدلالات، وفي عرض البستاني للصورة القرآنية الكريمة يشير إلى أننا نستطيع من خلال الظاهرة القرآنية الكريمة أن نصوغ المبادئ البلاغية لهذا الجانب، وبذلك نحسم طبيعة تصورنا لعنصر الصورة من حيث التفاوت الذي نلاحظه بين المهتمين بهذا الشأن، فمثلاً نجد أن المعاصرين عندما يتجهون إلى الصورة أنهم يتجهون إلى الرمز أكثر مما يتجهون إلى التشبيه أو الاستعارة، وقد يميلون إلى الاستعارة أكثر من التشبيه، ويعلمون ذلك بقضايا نفسية كالذهاب مثلاً إلى أن التشبيه يتمثل في وجود طرفين ماديين وهذان الطرفان في الواقع هما تعبير بدائي عن الظاهرة الفكرية، بمعنى أنّ البدائي هو الذي يتوكأ على ما هو مشخص وظاهر، فالظاهرتان المشيرتان إلى هذا الشيء أو ذاك تجسدان ما هو حسي، ملموس... الخ⁽¹⁾

(1) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ٣٩٤، ٣٩٥

د - الفضاء

يذكر البستاني بأنه مصطلح حديث يستخدمه علماء الأدب والبلاغة وهذا المصطلح بتصورنا يظل هو أوسع المصطلحات وأفضلها التي تريد أن تتحدث عن الآية القرآنية الكريمة أو تتحدث عن النص القرآني الكريم أي يواكب نزول هذا النص من أسباب من جانب أو من سياق خاص من جانب ثانٍ أو من مناسبة ما من جانب ثالث أو من خلال مطلق ما يمكن أن ينزل من الوحي للتبليغ أو لنشر مبادئ الله - سبحانه وتعالى - على محمد تقول: كل هذه الأنماط من المواقبات التي تقترن مع نزول الآية يظل مندرجاً ضمن عنوان فضاء النص؛ لأنّ الفضاء يشمل كل شيء فهو الجو أو المناخ أو البيئة إذا صحّ تعبير البيئة التي يتحرك النص من خلالها، لذلك يشير البستاني الى كون البحوث القرآنية التي تتحدث عن أسباب النزول تظل مرتبطة بشكل أو بالجانِب التاريخي أو البيئي، حيث يتحدد النص إما عن حادثة معينة أو عن شخص معين ويكون النص القرآني الكريم نازلاً بسبب هذه الحادثة أو بسبب ذلك السلوك، ولكن، هل القرآن الكريم بمجموعه يخضع لهذه البيئة التاريخية؟ طبيعياً كلا. فثمة بيئة تاريخية من دون أدنى شك ولكن يقابلها أو تقابلها بيئات غير تاريخية وهي البيئة الثقافية المطلقة أي البيئة التي يستهدف القرآن الكريم أن يوصل مبادئ الله سبحانه وتعالى من خلالها إلى الآخرين بوساطة النبي محمد(ص) وهذه الطوابع الثقافية تندرج بشكل واضح.⁽¹⁾

(1) محاضرات في علوم القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ١٠٠، وما بعدها

هذه أهم المصطلحات التي شغلت الدرس النقدي قديماً وحديثاً، وهناك مصطلحات أخرى منها الرمز الذي يعرفه البستاني بأنه: "التعبير عن شيء من خلال شيء آخر يكون بمثابة إشارة له"⁽¹⁾ ويطبّق ذلك من خلال دراسته لسورة البقرة في قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.⁽²⁾

هذه الصورة تنتسب إلى (الرمز)، فالوجه هنا رمز لأشياء كثيرة يمكن للقارئ أن يستخلصها من هذه العبارة الرمزية ذات الإيحاءات المتنوعة، إنها عبارة تنتسّم بالبساطة والألفة، ولكنها مشحونة بالدلالات العميقة كل العمق ومن خصائص هذا الرمز (أي: الوجه) وجه الإنسان: هو الجزء الوحيد من مظهره الخارجي الذي يُعرف به ويميز به عن غيره، وجه الإنسان: هو الذي (يبصر) الأشياء التي تحيط به، وجه الإنسان هو الذي يستقبل الآخرين (الكلام)، وجه الإنسان: هو الذي يواجه الآخرين بابتسامة (الشفاه) أو تقطيبيها، وجه الإنسان: هو الذي تقرأ فيه سلامة القلب أو مرضه: من خلال قسماته وخطوطه، وجه الانسان باختصار: هو المعبر عن شخصيته.⁽³⁾

تأسيساً على ما تقدّم: أنّ للباحثة من خلال العرض لأهم المصطلحات التي وظّفتها البستاني أنّه يؤطّر رؤيته بمساحة من الانفتاح بين التراث والمعاصرة، وقد عبّرت بعض هذه المصطلحات عن رؤيته التراثية كما عبّرت مصطلحات أخرى عن رؤية حديثة من خلال

(1) دراسات فنية في صور القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ١١

(2) سورة البقرة، آية ١١٢

(3) ينظر: دراسات في صور القرآن الكريم، ص ٢٣

انفتاحه المصطلحي على رؤى نظرية ومنهجية متعددة وغير مرتبهة بأحادية النظرة! وقد حرص البستاني على اختيار مصطلحاته بعناية فائقة مفضلاً المصطلحات ذات المفردات الأكثر تداولاً والأنسب لذوق القارئ العربي والأكثر ثباتاً ضمن معايير الاصطلاح المعرفي، ولا سيما تلك المصطلحات الراسخة في المدونة البلاغية والنقدية عند العرب في موروثهم القديم وإعادة إحيائها في تعامله مع النص القرآني .

المبحث الثاني / المرجعية السياقية وتمثلاتها

أ- المرجعية التاريخية

لقد أسهم في تشكيل الاتجاه التاريخي* في النقد الأدبي اسما هما "تين" و"لانسون"، أما "تين" فهو ناقد فرنسي كبير عاش في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، حيث ربط الأدب بالعوامل الثلاثة الأساسية المكونة له، وهي: البيئة، الجنس، الوسط، إذ نظرية (تين) تعد ترجمة معتدلة للنظريات الحديثة في ربط الأدب بالحياة، والتي تتحكم فيها العوامل الزمانية والمكانية المؤثرة فيه والتي تغطي أدبه.(1)

وبما أن النقد التاريخي هو " الذي يفسر النص ويستجلي خوافيه وغموضه بدراسة الظروف السياسية والاجتماعية والثقافية للزمان الذي كتب فيه النص أو انتمى إليه".(2)*

(1) ينظر: في النقد الأدبي، صلاح فضل، من منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، ٢٠٠٧م، ص٢٢

(2) المعجم الأدبي، نواف نصار، دار ورد للنشر و التوزيع، الاردن، ط١، ٢٠٠٧م، ص219

*من رواد الاتجاه التاريخي الناقد الفرنسي سانت بوف إلى جانب زميله تين حيث ركزا على دراسة الأدب من خلال حياة المؤلف وبيئته وعوامل التاريخ والزمان والمكان أما في العالم العربي بعد طه حسين من أبرز الذين طوروا المنهج التاريخي بتطبيقه في دراسات الأدب العربي القديم بالإضافة إلى المنهج التاريخي الذي يهدف إلى فهم وتفسير الظاهرة

تلقى البستاني هذه النظرية في دراساته للنصوص القرآنية؛ لذلك يرجع البستاني ظاهرة نزول الوحي من حيث البعد التاريخي الى تفاوت وجهات نظر الباحثين موروثاً وحديثاً، حيث يجد التفاوت نفسه إلى البعد التاريخي لنزول الوحي والواقع أن هذا التفاوت في وجهات النظر نابع من التفاوت في النصوص الواردة- في هذا النطاق - فالنصوص الشرعية بعضها يشير إلى أن أول نص قرآني كريم نزل في السابع والعشرين من رجب متمثلاً في الآيات الخمس المعروفة من سورة العلق أي السورة التي تستهل بقوله تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾⁽¹⁾، وذلك في غار حراء وهناك نصوص تشير إلى نزول سورة المدثر كانت هي الأولى من حيث البعد التاريخي، ثمة نصوص ثالثة تشير إلى السورة النازلة استهلال هي سورة الفاتحة، إلى آخر ما هنالك من نصوص غير أنّ السياق في الواقع يفرض بأن سورة العلق أو بالأحرى الآيات الأولى من سورة العلق هي النازلة أولاً، وهذا ما استخلصه البستاني من جملة أسباب منها النصوص تتضافر أو متضافرة بأن الوحي بدأ مع الأربعين عاماً في غار حراء، وأنّ جبرائيل (ع) علّم النبي الوضوء والصلاة مع بدء الوحي، ثم الفاتحة لا مناص من قراءتها، حينئذ قد تكون هذه السورة هي الأولى في هذا السياق، ومن الممكن أن يكون الوحي قد جاء أولاً بالآيات الخمس من سورة العلق ثم جاء بالفاتحة، وهناك من الباحثين من يذهب أو من يؤول هذا النص من حيث ما بينه وبين النص الأسبق ويقول أن

عبر الزمن، اما النقد التاريخي هو وسيلة لضمان دقة البيانات المستخدمة في هذا الفهم. للأستزادة ينظر مثلاً كتاب

مدارس النقد الأدبي الحديث، عبد المنعم خفاجي

(1) سورة العلق، آية رقم (1)

سورة الفاتحة هي أول سورة نزلت كاملة، ولذلك إن الحديث الوارد بالنسبة إلى أن أول سورة هي الفاتحة إنما ينظر هذا الحديث إلى كونها سورة كاملةً أما من حيث مطلق النزول متمثلاً في الآيات الخمس من سورة العلق فإن ذلك يتساوى مع النص الذاهب إلى أن أول ما نزل على النبي هو الآيات الخمس.⁽¹⁾ صحيح أن النص الوارد يقول: بأن أول ما نزل على النبي بمكة هو فاتحة الكتاب، إلا أن المقصود من ذلك ليس هو السورة الكاملة مقابل الآيات المتفرقة إنما يتحدّد الحديث من خلال إشارته إلى النزول القرآني من حيث الاستهلال وليس من حيث الإشارة إلى كون هذا النازل هو آيات متفرقة أو سورة كاملة، وهذا بالنسبة إلى التأليف بين الرواية القائلة أن أول ما نزل من القرآن الكريم هو الآيات الخمس والرواية القائلة بأن أول ما نزل من القرآن الكريم هو الفاتحة حيث إن هذه السورة نزلت بعد تبشير النبي محمد (ص) بالبعثة.⁽²⁾ إذ يرى البستاني بنزول الآيات الخمس من جانب ثم عقب ذلك بسورة الفاتحة ، لذلك يستدل البستاني على أن القرآن الكريم نزلت منه الآيات البائدة ببعثة الرسالة ثم انطوت ثلاث سنوات وبعدها نزل القرآن الكريم جملةً واحدةً نزل على قلب محمد أو إلى البيت المعمور جملةً إنما نزل بما هو قرآن بنحو عام أو معان بنحو عام أي بصفته مخزوناً معرفياً ألم به النبي ، ولكنه نزل لزوماً يقول البستاني: لا مانع من الذهاب إلى أنه كان على معرفة إجمالية بذلك ولكن بحسب ما يتطلبه النظام الإلهي من التبليغ فإنه ينتظر جديد الوحي بالشكل التفصيلي وهذا يماثل كثيراً من المواقف التي سلكها المعصومون

(1) ينظر: محاضرات في علوم القرآن، محمود البستاني، ص ٢٣، ٢٤

(2) ينظر: المصدر نفسه، ص ٢٦ _ ٣٩

(ع) في تعاملهم مع أحداث العصر بحيث تكشف لهم حجب الغيب ولكنهم يتصرفون بالشكل الطبيعي، لأن وظيفتهم هي كذلك، فمثلاً عندما ينبأ النبي بنصر أو بشدة ونحوهما فهذا لا يحتج به من أن يسلك السبيل الطبيعي في تعامله مع الحدث العسكري أو السياسي الخ مع معرفته سلفاً بالنتائج المترتبة على ذلك نزول القرآن الكريم جملة كما هو في صريح النصوص الحديثية وظاهر النص القرآني ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾⁽¹⁾ لا يتعارض مع نزوله متفرقاً كما هو صريح النص القرآني الكريم أيضاً، وبالنسبة إلى ما تزخر به النصوص الحديثية المتوافرة من الإشارة إلى أن الله تعالى جعل ليلة القدر بمثابة سجل الحوادث ومواقف السنة وأن الملائكة تنزل على الناس بما قدر لهم خلال السنة مما يعني أن نزول الواقعة أو الموقف في سجل سنوي لهذه الشخصية أو لتلك ليلة القدر من الممكن حصول ذلك تأكيداً لأهمية ليلة القدر.⁽²⁾

وفي سورة المائدة يبين البستاني الحادثة او الواقعة في يوم الغدير إذ نزلت هذه الآية الكريمة بقوله تعالى :

﴿.....الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنِ اضْطُرَّ

فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرِ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾⁽³⁾

(1) سورة القدر، آية رقم ١

(2) ينظر: محاضرات في علوم القرآن الكريم، محمود البستاني، ٢٦ - ٣٩

(3) سورة المائدة، آية رقم ٣

إذ الوقوف على سياق هذه الآية التاريخي بالغ الأهمية لكونه مرتبطاً بعقيدة الإنسان أو عقيدة الشخصية المسلمة وهي الإشارة إلى الخلافة بعد الرسول (ص) وتلقي الأحكام الشرعية من المعصومين (عليهم السلام).⁽¹⁾

لذلك فإنّ الدراسات الأدبية ومطلق البحوث العلميّة تخضع لجملة من المناهج وفي مقدمة هذه المناهج هو المنهج التاريخي فهو مرتبط بمنهج السيرة من خلال علاقة كل منهما في الحديث عن مناخ النص أيًا كان نوعه نصًا أدبيًا أم نصًا علميًا، فمثلاً عندما يتحدث باحث أدبي عن نشأة الشعر أو القصة ، الخ، حينئذ يتحدثون عن نشأة هذه الفنون الأدبية في نطاق البيئة التي ولدت الفنون المشار إليها في تلك البيئة فيتحدثون عن العوامل والأسباب السياسية والاقتصادية والاجتماعية وكل ما يرتبط بسبب أو بآخر بهذا النص المدروس أي يضعون النص المدروس في إطار البيئة التاريخية التي ولد فيها النص ، وهكذا حينما يريدون أن يربطوا بين كاتب النص وبين محتويات النص المدروس حيث تنسحب شخصية كاتب النص المدروس على النص المدروس، على اساس هذين المنهجين يرى البستاني بأن هذين النمطين نسبيين اي ثمة سياقات خاصة تفرض على الباحث أن يتدارس النص في ضوء البيئة التاريخية التي ولد فيها ،أو في ضوء السيرة الشخصية التي يخضع لها النص ،بالإضافة إلى أن هناك سياقات أخرى لا يمكن ان ترتكن إلى البعد التاريخي والبعد الشخصي ،اي حينما ينتقل البستاني إلى النص القرآني تظهر النسبية التي أشار إليها كون

(1) ينظر: محاضرات في علوم القرآن الكريم، محمود البستاني، ص ١٠٣

النص القرآني نص نازل عن الله - سبحانه وتعالى - والله منزه عن الحدوث ،ولذلك لا يمكن للبعد الشخصي ان يأخذ محله في النص القرآني ،اما بخصوص البعد التاريخي فيظل محصوراً في سياقات خاصة، فمثلاً حينما يتناول البستاني أسباب نزول القرآن الكريم أو حادثة معينة أو عن شخص معين في هذه الحالة يخضع للمنهج التاريخي⁽¹⁾.

فضلاً عن ذلك: فإن الناقد لم يخضع ذائقته النقدية لهيمنة المنهج، بل وظف آليات النقد التاريخي، لرؤياه والطبيعة النص بهدف الوصول إلى خلاصات أدبية، ونقدية ومعرفية عامة يستطيع بفضلها المتلقي الوقوف على مرجعياتها من خلال العتبات القريبة، والبعيدة التي أعطت صورة شاملة عن النص الإبداعي، والمتغيرات التي طرأت عليه والسعي لمعرفة وبيان أسبابها.⁽²⁾

الخلاصة مما تقدم: أن المرجعية التاريخية لا يمكن أن تكون حاضرة في جميع النصوص القرآنية، كونها مرجعيةً نسبيةً تخضع لمعايير خاصة بالحدث، اي ليست النصوص جميعها يلائمها التحليل التاريخي، كما إن البستاني من خلال هذه المرجعية يتناول أحداثاً اختلفت آراء الباحثين عليها، لأنها أحداثٌ مهمة في المجتمع الإسلامي.

ب- المرجعية النفسية

مما لا شك بأن تطبيق المعرفة النفسانية على الفن، على وجه العموم، ثلاثة جوانب:

- (1) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم ، ص ١١٠، ١١١
- (2) ينظر: مرجعيات الجهود النقدية العراقية المعاصرة من (١٩٧٠-٢٠١٠م)، اطروحة دكتوراه أعدت من قبل الطالب ميثم حياوي الى جامعة الكوفة، كلية الآداب، تخصص اللغة العربية وآدابها، ٢٠١٤م، ص ١٧

الأول، كما صوره (أي . أ . ريتشاردز) هو أنّ هذا الحقل الجديد يقدم لغةً أدق في مناقشة عملية الخلق ، ففي (مبادئ النقد الأدبي) ١٩٢٤ ، حلل ريتشاردز عناصر التجربة الجمالية بإتباع التعريف الذي وضعه هو وزميلاه (اوگدن و وود) أنّه نوع من الاستجابة عند الجمهور خاص وانسجامي ، يستثيره العمل الفني ، وعلى الرغم من ان الكثيرين قد خصموا هذا الجانب أو ذاك من دراسات ريتشاردز ، فإن احداً من النقاد لم يستطع أن يواصل عمله دون الاعتماد على بعض من آرائه، والوجه الثاني ، كما يقول ادموند ويلسون جاء في السيرة الأدبية، في دراسة حياة المؤلفين كوسيلة لفهم نتاجهم الفني، وأن النقد الذي يستخدم هذا المدخل يفترض ان جانباً مهماً من العلاقة بين الفنان والفن يماثل العلاقة بين المريض والحلم، عندئذ يصبح الناقد محللاً، ويتناول الفن كعرض يستطيع بتفسيره كشف مكبوتات الأديب اللا واعية ودوافعه وقد تؤدي هذه الاكتشافات بدورها الى فهم العمل الفني نفسه، بل وحتى الى تفسيره. ⁽¹⁾ والجدير بالملاحظة بأن البستاني اعتمد في دراساته القرآنية الجانب الأول الذي يعني بعلاقة الفن بنفسية الجمهور وكيفية استجابتها عندهم ، وذلك بكون النص القرآني لا يمكن ان يدرس على وفق نفسية الكاتب لأنه نزل لعامة البشر، اذ يذكر البستاني أنّ السورة القرآنية الكريمة تترك أثراً شعورياً أو لا شعورياً عند المتلقي، إذا قرئت تماماً على العكس مما لو قرئت منها أية أو جزء منها كما إن ما تطرحه السورة أو ما تتركه السورة الكريمة من أثر شعوري أو لا شعوري عند المتلقي وهو ينتهي من قراءة هذه

(1) ينظر: خمسة مداخل إلى النقد إلى النقد الأدبي ، تصنيف ويلبريس ، سكوت، ترجمة وتقديم وتعليق، عناد غزوان

إسماعيل ، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ،العراق ، ١٩٨١م ،ص ٧٧ ، ٧٨

السورة أو تلك ، إن هذا الأثر الذي يتركه النص حينما يقرأ كاملاً إنما يكون أو يجسد فكرة واحدة أو يجسد أكثر من فكرة، وقد يجسد فكرة رئيسية، وقد يجسد بالإضافة إلى الفكرة الرئيسية فكرة أو أفكاراً ثانوية، فمثلاً عندما قرأنا سورة مريم أو سورة الكهف سابقاً لاحظنا أن مفهوم نبذ زينة الحياة الدنيا كان هو المحور الفكري الذي تحوم السورة عليه بأكملها، ولاحظنا بالنسبة إلى سورة مريم أن (الرحمة) حيث استهلكت السورة الكريمة بعد قوله تعالى: ﴿كَهَيْعِصَ﴾⁽¹⁾ استهلكت بذكر الرحمة عبر قوله تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ وَزَكْرِيَّ﴾⁽²⁾

إن الرحمة من خلال هذا الاستهلال كان يتسرب في عصب السورة الكريمة عبر جملة من الأنبياء الذين وصفوا أيضاً. أو بالأحرى عبر جملة من الأنبياء الذين منحهم الله هذه الرحمة أيضاً. وذكرها بنصها أي لفظة (الرحمة) عندما عرض هؤلاء الأنبياء، وأكثر من ذلك رأينا كيف أن أحد أسماء الله سبحانه وتعالى حيث ركزت سورة مريم على اسم (الرحمن) عرضاً من الأسماء الأخرى (كالله) سبحانه وتعالى، أو (الرب) أو (الإله)، أو ... الخ. استخدم كلمة (الرحمن) مقابل الله سبحانه وتعالى في أكثر من موضع متكرر بشكل ملفت، أولئك جميعاً تكشف لنا أن المتلقي عندما ينتهي من قراءة السورة الكريمة سوف تترك هذه السورة أثراً شعورياً أو لا شعورياً لديه ألا وهو مفهوم الرحمة هنا ومفهوم الزينة هناك.⁽³⁾

(1) سورة مريم ، آية رقم ١

(2) سورة مريم ، آية رقم ٢

(3) ينظر: دراسات في علوم القرآن الكريم ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧

قال تعالى : ﴿ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوُّتٍ فَارْجِعِ
الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِنًا وَهُوَ حَسِيرٌ
وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحٍ وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيْطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿١﴾

يوضح البستاني هذه الآيات من سورة الملك بحسب السياق النفسي فهي تتناول خلق
السموات، بكونها خاضعة لعمارة فنية من حيث عمليات الإدراك العقلي لظاهرة السموات
فقد أوضح النص أولاً أن هناك سبع سماوات، ثم أوضح ثانياً أن هذه السموات طبقات
واحدة فوق الأخرى، ثم أوضح ثالثاً بأن هذه السموات لا تفاوت بينها، ثم أوضح رابعاً، بأنه
لا شقوق ولا خلل فيها : ثم أوضح أخيراً بأن السماء الدنيا منها قد زينت بالمصابيح ...
والسؤال هو ما هي الأسرار الفنية وراء هذا النمط من الصياغة التي تتحدث عن خلق
السماء من خلال هذا التسلسل الفكري، أي: 1 - كونها سبعاً 2 - كونها طبقات 3 - لا
تفاوت بينها 4 - لا شقوق فيها، ثم كون السماء الدنيا ذات مصابيح؟(2)

في ضوء ذلك يحاول البستاني الإشارة إلى مرجعيته النقدية لاسيما في المدرسة النقدية التي
جاءت بعد مدرسة فرويد وهي مدرسة علم النفس الشكلي التي ترى عمليات الإدراك الذهني
للأشياء تتم من خلال (المجمل) إلى (المفصل)، أي إدراك الشي للناقد، من خلال (الكل)
أولاً، ثم ادراكه من خلال (الجزء) في ضوء ذلك: ويرى البستاني بأن إدراكنا للأشياء يتم في
حالات خاصة من خلال (الكل) والانتقال إلى (الجزء)، لذا يقول البستاني أن النص القرآني

(1) سورة الملك، آية رقم ٣، ٤، ٥

(2) التفسير البنائي، ج5، ص ٦٦، ٦٧

قد خاطبنا وفق عملياتنا الإدراكية للشيء، فقد ذكر النص القرآني الكريم أولاً خَلَقَ السماوات السبع ثم ذكر كونها طبقات وخلق سبع سماوات طباقاً أي : ذكر (الكل) ثم ذكر (جزء) من الكل وهو (طبقات السماء)، ثم ذكر (جزء) أصغر من السابق وهو كون هذه السماوات لا تفاوت بينها، ثم ذكر جزء أصغر وهو كون السماء لا شقوق فيها، ثم ذكر الجزء الأخير وهو : السماء الدنيا بصفاتها، جزء من مجموع السماوات، ثم ذكر (جزء) من هذه السماء الدنيا وهو تزيينها بمصابيح ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح، وهذا ما ينطوي على أسرار فنية مذهشة ومثيرة من حيث خضوعها لتخطيط هندسي تراعى من خلالها، عمليات الإدراك الذهني للشيء النمط من البناء الهندسي الذي تتلاحم جزئياته بعضاً مع الآخر؛ هو : جزء من البناء الهندسي العام للسورة الكريمة، حيث أن هذه السورة بدأت بالحديث عن (مالكية الله تعالى وقدرته تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير) ... وحينئذ عندما تحدثت السورة عن خلق السماوات السبع بالنحو الذي لحظناه تكون قد ربطت بين فكرة السورة (مالكية الله تعالى وقدرته) وبين أحد مصاديق هذه المالكية، والهيمنة الا وهي خلق السماوات لذلك يكشف البستاني في ضوء مرجعيته النفسية أمرين هامين هما الاستجابة الذهنية وقوانينها(1)

(1) ينظر: التفسير البنائي في القرآن الكريم، ج5، ص66، 67

وتتمثل هذه المرجعية أيضًا في خطاب البستاني ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ

التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ﴾⁽¹⁾

وبغض النظر عن هذه التركة أو الإرث (الألواح، التابوت، العصا، الدرع.. الخ) الذي خلفه آل موسى وآل هارون، إذ لها دلالة نفسية في تأثيرها على الشخصية اليهودية وتحريك عواطفها، فهذه القصة لا تكتفي بتقديم بعض الظواهر ذات الصلة بتجارب اليهود، أي أن التابوت نفسه كان ملكًا لهم يستفتحون به في المعارك، فهو وسيلة إنقاذ موسى (عليه السلام).. الخ، كما يذكر البستاني أنّ مثل هذه البقايا لها قدسيّتها وأهميتها في مشاعر اليهود من حيث دلالتها النفسية، أي عودة الشيء للظهور بعد غيابه يترك لدى الآخرين أثرًا انفعاليًا بالغ المدى في الاستبشار به في تفجير الفرح والسرور بمشاهدته، لكن مع ذلك جميع آثار النبوة أمام اليهود لم يبق لهم أي عذر كما أن هذه الآثار لم تغسل قلوبهم من خلال العناد والتشكيك الخ تجاه النبوة .⁽²⁾

تأسيسًا على ما تقدّم ذكره في المرجعية النفسية بأن مرجعية البستاني في هذه السورة مرتبطة ارتباطًا وثيقًا بنظرية علم النفس الجشطالتي مع الاختلاط مع مرجعية أخرى تحاول الباحثة توضيحها في الأوراق القادمة، كما حاول تفسير وتحليل ما هو إيجابي من الناحية النفسية، لذلك حاول البستاني من خلال دراسته للنص القرآني من حيث مرجعيته النفسية الذاتية التي ساعدته على الإنجاز النقدي أيضًا.

(1) سورة البقرة، آية ٢٤٨

(2) ينظر: قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا، محمود البستاني، ص ٥٩، ٦٠، ٦١

ت-المرجعية الاجتماعية

إن النقد الاجتماعي يبدأ من الاعتقاد بأن علاقات الفن بالمجتمع مهمة وحيوية، وهذه العلاقات يمكن أن تعمل على تنظيم استجابة المرء الجمالية للعمل الفني وتعميقها، كما إن الفن لا يولد في فراغ، فهو في بساطة، ليس عملاً شخصياً، ولكنه عمل مؤلف قائم في زمان ومكان معينين، ويستجيب مجتمع هو فيه فرد مهم، لأنه جزء واضح وبارز، وعلى هذا فالناقد الاجتماعي يهتم بتفهم البيئة الاجتماعية، وتفهم مدى استجابة الفنان لها، والمسلك الذي يسلكه إزاءها. (1)

كما أن الباحثين معنيون منذ زمن طويل بالروابط بين الفن، والأديب، والوسط الاجتماعي، وكثيراً ما انطوت دراساتهم على أحكام ضمنية مبنية على تلك الارتباطات، غير أن هذه الارتباطات ليست بسيطة، يقول هاري ليفن: لا ... أن العلاقة بين الأدب والمجتمع متبادلة، فالأدب ليس مجرد معلول لعلّة اجتماعية، بل انه العلة لمعلومات اجتماعية. (2)

يمكننا أن نقرّر على ضوء الحقائق السالفة أن هناك نوعين من النقد يتأتيان من علاقة الأدب بالمجتمع، النقد الاجتماعي ويرتكز على تحليل وتفسير النصوص؛ لمعرفة مدى ما بها أو لها من علاقة بالمجتمع من حيث قدرة الأديب على التفاعل مع الظواهر المعيشية، ثم مكنه في تصوير الظروف الحياتية المتباينة للمواقع فيُعد أدبه مصدراً وفي الوقت نفسه

(1) ينظر: مقالات في النقد الأدبي، إبراهيم حمادة، مكتبة الدراسات الأدبية، دار المعارف، القاهرة، ط 1، 1982م، ص 64

(2) ينظر: خمسة مداخل إلى النقد الأدبي، تصنيف ويلبريس، سكوت، ترجمة وتقديم وتعليق، عناد غزوان إسماعيل، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1981م، ص 138

موردًا للأصول النقدية التي يستند عليها الناقد، ويرسم الأديب المعاصر على أساسه توجهاته، وكلّ منهما يعمل في حقله الأديب نتاجًا ودفعا، والناقد حكما بالقيمة والجدوى لهذا العمل الأدبي أو ذاك ومدى مقدرته في ترجمة خبرات معاصريه ورصد أثره على نفوس متلقيه، والثاني وهو ما يتمثل بالفعل النقدي الذي يستند عليه الدكتور البستاني إذ، ينظر إلى العمل الأدبي من خلال مسلمات مسبقة وأصول ومعايير مقننة في علم الاجتماع، فيستعين بها الناقد في حرث النتاج الأدبي وتخلله، وذلك بعرضه على تلك الأصول لمعرفة مستوى موافقته لها، وإلى أي حد وفق النص القرآني في إبداعه على أساس المنظور الاجتماعي طبق ما استخلصه الاجتماعيون التجريبيون من مجالات بحوثهم . (1)

ومن خلال ذلك يمكن أن نجد البستاني يقدم للنص القرآني عبر السياق الاجتماعي، وذلك في قوله تعالى في سورة يونس: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ ۗ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۗ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (2)

في هذا المنحى الفني غير المباشر أي من خلال عرض شريحة من سلوك الكافرين، يرى البستاني بأن النص القرآني من دون أن يقول هذا مباشرة بأن اقتراحهم المذكور لا بد أن يكون مرتبطا بسلوكهم الوثني، بمعنى أنّ هؤلاء الحمقى ما داموا يعبدون من دون الله ما لا

(1) ينظر: مناهج النقد الحديثة، الرؤيا والواقع، زهران محمد جبر، دار الأرقم للطباعة والنشر والتوزيع، جامعة الأزهر

ط، ١، ١٩٨٩م، ص ٣٨، ٣٩

(2) سورة يونس، آية ١٨

ينفعهم ولا يضرهم، وما داموا يقولون : هؤلاء - أي الأصنام - شفعاؤنا، حينئذ لا بد أن يكون مطالبهم بتبديل القرآن إنما هي في كونه يدعو إلى نبذ السلوك الوثني خلال هذا السياق، يتقدم النص القرآني الكريم بطرح ظاهرة اجتماعية تظل في غاية الخطورة، ألا وهي قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۗ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ﴾ (1) إذ يقول البستاني: قد يتساءل القارئ: ما هو السر الفني الكامن وراء طرح هذه الظاهرة التي تتحدث عن نشأة المجتمع البشري وكونه أمة واحدة قد اختلفت فيما بعد، مع أن النص كان يتحدث عن عبادة الأصنام؟ .

فيسوغ ذلك البستاني إلى علم الاجتماع إذ تعني عالم الاجتماع هذه القضية كل العناية ؛ لأنها تكشف عن حقيقة اجتماعية لا يزال البحث عنها محفوظاً بالغموض، وحينئذ فإن طرحها في هذا السياق، يعني من الزاوية الفنية أن للموضوع خطورته بحيث يستهدف النص توصيله إلى القارئ بحيث قطع النص سلسلة حديثه ليتقدم لنا بحقيقة اجتماعية تتصل بنشأة المجتمع البشري، ليعود بعدها إلى مواصلة الحديث عن هؤلاء المنحرفين : عبيد الأصنام أي تركز الدلالة الاجتماعية على كون الناس أمة واحدة قد اختلفت فيما بعد إذ ينبغي أن نضع في الاعتبار بأن عبادة الأوثان تظل واحدة من مفردات هذا الاختلاف بين الناس بعد

أن كانوا أمة واحدة، وهو أمر يكشف لنا الرابط الفني بين الموضوعات التي يطرحها النص

بحيث يتبين من خلالها مدى إحكام النص من حيث صلة أجزائه وأحدًا مع الآخر . (1)

وتتضح هذه المرجعية من خلال دراسته في قوله تعالى في سورة الحجرات : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا لَا تَقْدِمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (1) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ

أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ (2) إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ

امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ (3) إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ

أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ (4) وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ

(5) ﴿ (2)

إذ تتمثل مرجعية البستاني اجتماعيًا من خلال حديثه عن هذه السورة فهي تبدأ بطرح سلوك

الإنسان في ميدان العلاقات الاجتماعية، وما تواكبها من أشكال التفاعل المفضية إلى

تحقيق المجتمع المتوازن، لذلك الملاحظة الاجتماعية توحى بدلالات اجتماعية تتعلق بتحديد

أفضل التعامل بين آدميين حيث مهد النص القرآني بعرض قضية اجتماعية خاصة

بتعامل الناس مع النبي (ص) بصفته الشخص المجيد لمبادئ السماء مقابل الأطراف

الاجتماعية الأخرى من خلال معيار التعامل وهو الاحترام والتقدير المتبادل بين الأطراف

(1) ينظر: التفسير البنائي في القرآن الكريم، ج ٢، ص ٢٢٤، ٢٢٥

(2) سورة الحجرات

الاجتماعية، كما إن محاولة صياغة التعاون بين المجتمعات بدلاً من الصراع وهو أمر يصعب تحقيقه في المجتمعات المعزولة عن مبادئ السماء نظراً لعدم توفر هذه المجتمعات على وعي عبادي

أما ما يتصل بالجانب الفكري للإنسان في قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ﴾ (1)

إذ تشكل أرضية للدخول الى ميدان التعامل الاجتماعي التي تتحدث عن الحرب والسلام، والصراع والتعاون، ونزعات الحقد والحب الخ من علاقة الإنسان بأخيه. (2) تستنتج الباحثة: من خلال تركيز البستاني على السياق الاجتماعي، كونه أراد أن يوضح ظواهر اجتماعية تعد انعكاساً للواقع الإنساني الحاضر، لذلك تعد هذه المرجعية حاضرة في خطابه النقدية إلا أنها لم تكن مطلقة دراسته للسور القرآنية الكريمة، إذ يدعو البستاني من خلالها إلى علاقة التعامل بين المجتمعات وبيان المجتمعات المنحرفة والمجتمعات المسلمة مع كيفية مدى علاقة توصيلها للقارئ .

ث - مرجعية القراءة والتلقي

شاع بفضل ذلك المفهوم نوع جديد من النقد الأدبي لا يعتمد الاهتمام بالمؤلف أو النص وإنما يوجه اهتمامه كله نحو استجابة القارئ، لذلك أن الاهتمام بالقراء واستجابة الجمهور

(1) سورة الحجرات

(2) ينظر: التفسير البنائي في القرآن الكريم، ج4، ص321-325

يبدو لمن يدقق النظر، أنه نقد وثيق الصلة بالنظرية الكلاسيكية في الأدب، فأفلاطون وأرسطو ولونجايوس وهوراس شغلوا كثيرًا باستجابة الجمهور للأدب.⁽¹⁾ كما أن هذه النظرية إيمانًا بتحول الفكر الأدبي، مغيرا مساره المألوف نحو التطور والتجدد، ومتجها إلى الشيء الإستراتيجي في أي دراسة حديثة ألا وهو المتلقي، وهذا الذي أراده "ياوس" و "أيزر" عند صياغتهما لهذه النظرية، التي جعلت منه رؤية جديدة في فهم الأدب وتفسيره، فهي إذن تأصيل لدور القارئ في العملية الإبداعية، وجعله أهم محور يقوم عليه الجانب التواصلية للأدب، فربما أصبح من باب المسلمات التأكيد على الأهمية التي بانته تكتسبها نظرية التلقي في مجال الدراسات الأدبية النقدية المعاصرة.⁽²⁾ وتتضح مرجعية البستاني هذه من خلال تطرقه لسورة الفتح في قوله تعالى: ﴿.....مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾⁽³⁾

يذكر البستاني بأن الصورة المركبة التي تشبه محمداً وأصحابه و المؤمنين بالزرع أولاً، و بكونه قد أخرج شطئه ثانياً، و بكونه قد قوى نتاجه ثالثاً، و بكونه قد تنامى رابعاً، و بكونه قد بلغ ذروة نموه خامساً، و بكونه يعجب زراعه سادساً، إن هذه السلسلة من الصور التفرعية

(1) ينظر: النقد الأدبي من المحاكاة إلى التفكيك، إبراهيم محمود خليل، دار المسيرة للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ط1، 2003م، ص 117

(2) نظرية التلقي النقدية وإجراءاتها التطبيقية في النقد العربي المعاصر مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص النقد الأدبي المعاصر من قبل الطالب أسامة عميرات بجامعة الخضرة في الجزائر كلية الآداب واللغات ص 15-16

(3) سورة الفتح، آية 29

أو المتداخلة أو المكثفة أو الإستمرارية ليست مجرد رؤى حسية تنتسب إلى مرأى طبيعي هو الزرع و مراحل نموه و استوائه في نهاية المطاف، بقدر ما هي دلالات أو مرسلات لها رشحاتها التي يستنطقها المتلقي بشكل لا نهاية لأمدها الفني، وهو أمر يتطلب الوقوف المطول حيالها، إنه من الممكن للنص أن يشبه الإسلاميين المشار إليهم بنمو الزرع وأستوائه و ثمره مثلاً من خلال المقارنة بينه و بين نشأة الاسلام وانتشاره، أو بينه و بين رجاله الذين وصفوا بكونهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، و بكونهم ركعاً سجداً سيماهم في وجوههم.... إلخ، لكن عندما نجد أن النص يطرح دالات، مثل الزرع والشطء والأزر والاستغلاظ والاستواء على السوق وإعجاب الزراع وإغاظه الكفار، أمثلة هذه الدالات لابد أن تتطوي على أسرار مذهشة، إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن النص القرآني الكريم يتميز عن النصوص العادية بكونه نصاً إلهياً لا يتحدث إلا بما هو كمال لا مجال للمناقشة فيه، فالبستاني لا يعزل هذا الموقع الختامي بسورة الفتح عن مضمون السورة نفسها، حيث يتحدث أو تستهل حديثها عن الفتح والنصر، وتحدث عن مبالغة رسول الله ﷺ في اختتام السورة، ثم بالحديث عن الرسول ﷺ نفسه وعلاقته بالإسلاميين ينبغي ألا نعزل ذلك عن هذا المقطع الصوري المدهش، كما ينبغي ألا نعزل افتتاحية المقطع أو شطره الأول الذي يتحدث عنه ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَمَاهُمْ فِي وَجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ...﴾⁽¹⁾ فيرى

البستاني بأن السر الكامن من وراء الطرح لكل من التوراة والإنجيل ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الإنجيل حيث يتردد المعنيون بشؤون التفسير بين ذهابهم إلى أن المقصود في هذه الآية هل هو أن سمة (محمد رسول الله و الذين معهم... إلخ) هي المذكورة في التوراة، وأن سمة (كزرع أخرج....) هي المذكورة في الإنجيل؟ أم أن المقصود هو أن الطابعين المذكوران في التوراة والإنجيل كليهما، فتكون الآية بمعنى أن محمداً و أصحابه بالسماوات المذكورة تشبه زرعاً الخ، إن كلاً من الاستجابتين للقارئ من الممكن أن تفرض ضرورتها الفنية إذا أخذنا بنظر الاعتبار، إن لاستجابة القارئ إسهامه الكبير في استخلاص دلالات النص، كما يؤمن البستاني بأن النص هو استجابي (استجابة القارئ) في نفس الوقت الذي يعد دالاً له مغزاه الذي استهدفه النص فيما لا يعلم تأويله إلا الله تعالى و من منحهم قدرة استجابية كالمعصومين (عليهم السلام)، لذلك فإن أهمية النص تتمثل في ترشحه بكلا الاستجابتين : الاستجابة التي ينطق بها النص نفسه دون أن تتدخل استجابة القارئ فيه، والاستجابة التي يكتشفها القارئ، و هذا هو ما يطبع غالبية النصوص القرآنية، عدا ما نصت عليه المأثورات التفسيرية للمعصومين (عليهم السلام) و في ضوء هذا، تعد جميع الاحتمالات التي يمكن أن يستجيب لها القراء لا غبار عليها مادامت محكومة بالإمكان دون الامتناع. (1) ومثل قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ. صُمُّ بُكْمٌ عُمِّي فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ أَوْ كَصَيْبٍ مِّنَ

(1) ينظر: دراسات فنية في صور القرآن الكريم محمود البستاني ، ص ٦٠٥

السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ ۗ
وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١﴾ (1) هذه النصوص تتحدث عن (المنافقين) الذين يحيون صراعات
داخل اعماقهم ؛ بسبب ازدواجيتهم التي تستبطن شيئاً وتظهر شيئاً من أجل الحفاظ على
مكاسبهم الاجتماعية والاقتصادية، وقد رسمهم النص بهذه الصورة ، وسكت النص الشرعي
المفسر عن هذا الجانب ، تاركاً للمتلقي ان يطارد الدوال الآتية : استيقاد النار ، اضاءتها
ما حولها ، تلاشيها ، ثم: الصيب : الرعد ، البرق ، الظلمات ، الأصابع في الآذان ،
الصواعق خطف البرق للإبصار ، المشي من خلال الاضاءة ، القيام في حالة الظلمة
مضافاً إلى الرموز الثلاثة : صم بكم عمي... ان هذه الدوال من المتعذر ان يقف عندها
متلق موروث أو معاصر أو لاحق ليفتنص منها (مدلولاً ثابتاً ومحدداً عدا الأرضية الثابتة
التي يستهدفها النص وهي : خسران المنافق وصراعاته، عدا ذلك فان العمليات النفسية
التي يتصارع خلالها ، يتعذر على المتلقي ان يقف عند مدلول ثابت لها ، بل يظل
يطاردها) إلى ما لا نهاية له بعدد قراءاته وعدد قراء النص ذاته ، فالسياق يسمح للناقد بان
يمارس حريته في استخلاص الدلالة بما يتوافق مع مهارته التدوقية الجادة (لا العابثة) ومن
المؤكد ان كل قارئ سوف يتعامل مع (الدوال) المذكورة بحسب مهارته أيضاً ، بحيث يترتب
على ذلك ان تتعدد القراءات ، وان تمتد إلى ما لا نهاية له حيث لا نهاية لعدد القراء.(2)

(1) سورة البقرة ، آية ١٦ ، ١٧ ، ١٨

(2) الإسلام والأدب ، ص ٣١٧

فمن الممكن لاحد القراء مثلاً ان يستخلص من النصوص المتقدمة بان المنافقين يستوقدون ناراً لتضيء لهم طريق المكاسب الاقتصادية والاجتماعية ، وهو: اظهار إيمانهم بخلاف باطنهم، ولكن ما ان يداعبهم الأمل في تحقيق ذلك ، حتى تذهب الاضياء وتتلاشى ، وذلك من خلال الوحي الذي يفضحهم ، أو أنهم يواجهون مطراً يتيح لهم الأمل بحصول المكاسب، ولكن المطر مصحوب برعد وظلمة وبرق ، وكل من هذه الظواهر مصحوبة بعملية صراع : خيبة وامل (ظلمة وبرق) توجس مصحوب بالخوف (الرعد)، ثم ما ان يبرق لهم الأمل كلما أضاء لهم مشوا فيه) وهكذا... هذه القراءة العجلى للنص المتقدم ، تظل تأويلاً لإحدى الدلالات التي يستخلصها هذا المتلقي أو ذاك ، بينما يمكن لقراء آخرين ان يستخلصوا دلالات متعددة بتعدد مرجعيتهم الثقافية، بيد ان ثمة سياقات لا يسمح لها النص بتجاوز دلالاته غير القابلة لتعدد التأويل ، كما لو ورد نص (مفسر) عن المعصوم (ع) لهذه الدلالة أو تلك ، وحينئذ لا مجال للاجتهد مقابل النص، أو كما لو كان النص (ظاهراً) في دلالاته المعجمية مثلاً⁽¹⁾. فلو عدنا مثلاً إلى النص القرآني السابق في تمهيده للحديث عن المنافقين، نواجه هذا النص عن المنافقين وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا : أنا معكم فمن البين هنا ان القارئ لا يمكنه ان يتجاوز دلالة المنافق، حيث يظهر ايمانه امام المؤمنين ويظهر كفره امام شياطينه أي في أعماقه ، فالمنافق بصفته يظهر شيئاً ويستبطن شيئاً آخر : لا مجال لتدخل التأويلات في تحديد هويته ، نظراً

(1) الإسلام والأدب، ص ٣١٧

لوضوح دلالة أو مفهوم المنافق، لكن من الممكن عندما يصل إلى جزئيات هذه الدلالة فيقف عند صورة وإذا خلوا إلى شياطينهم مثلاً ، عندها يمكن ان تتعدد في نطاق محدود تأويلات المتلقي ، فيشير أحدهم مثلاً إلى أن الشياطين هو رمز إلى الحوار الداخلي الذي يجريه المنافق مع ذاته ، ويشير آخر إلى ان الوسوسة الشيطانية هي المقصودة ، ويشير ثالث إلى ان المقصود من ذلك : الجماعة المناقفة أي عندما يلتقون مع جماعتهم يقولون لهم : نحن معكم ، وهكذا، كما إن سياق النص هو الذي يتطلب احياناً ، لانهاية الدلالة ، وحياناً تعدديتها ، وحياناً تعدديتها المحدودة ، وحياناً لا يسمح بذلك لأي تأويل ، وهكذا...تقرر هذا انطلاقاً من حرص المشرع الإسلامي على ابراز الحقيقة دون اللعب بها من اجل المتعة الزائفة، وبذلك يفترق تصورنا الاسلامي في التعامل مع النص من حيث ثبات أو تعدد أو لا نهائية دواله ، عن التصور الارضي في عدم تقيده بذلك . (1)

تستخلص الباحثة مما تقدم ذكره: إن مرجعية القراءة والتلقي في الخطاب النقدي لها ضرورتها، إذ لا يمكن أن يوجه النص القرآني أو أي نص أدبي آخر إلا للمتلقي أو القارئ لأن هذه المرجعية عند البستاني تعتمد احياناً على نصوص المعصومين (ع)، مما يجعله يعتمد على هذه النصوص احياناً وهذا ما يجعل البستاني إلى عدم التصرف في النص القرآني من خلال التلقي أما الوجه الآخر من هذه المرجعية وهي التي تعتمد على القارئ إذ يفسر العمل الأدبي من خلال ذائقته الفنية .

(1) ينظر: الإسلام والأدب، ص ٣١٧ وما بعدها

المبحث الثالث: المرجعية النصية وتمثلاتها

أ: المرجعية البنيوية

كثرت الدراسات النقدية القديمة والحديثة، لمعرفة البناء الداخلي للنص الأدبي ذاته دون الرجوع الى السياقات حول النص وعلاقتها به؛ لذلك في مقدمة من تطرق للنص هو الجاحظ من خلال نظرية النظم فقد كان يقصد بالنظم بنية النص وتماسك اجزائه، وطريقة ضمها بحيث تنصهر في وحدة ملتحمة التكاملاً عضوياً. (1)

كما عرّف هذا المفهوم نقاد الغرب بأنه : كل نص يحتوي ضمناً على نشاط داخلي يجعل من كل عنصر فيه عنصراً بانياً لغيره ومبنيّاً في الوقت ذاته ، ولهذا فإن النظام الذي يقوم عليه بناء النص يسمح لكثير من العناصر بالتحول داخل النص من الموجب إلى السالب والعكس، والأفكار التي يحتويها النص الأدبي تصبح بموجب هذه التحول سبباً لبزوغ أفكار جديدة ، وبعبارة أخرى فإن (البنية) في رأيهم ليست ساكنة سكوتاً مطلقاً وإنما هي خاضعة للتحولات الداخلية مثلما تخضع هذه التحويلات الداخلية لعناصر أي بنية لا تسير في مسارها عشوائياً وإنما تتمتع بقدرة على الانضباط الذاتي، فالبنويون يقولون : إن أي بنية تستطيع أن تضبط نفسها ضبطاً ذاتياً يؤدي الحفاظ عليها، ويضمن لها نوعاً من

(1) ينظر: التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، حمادي صمود، منشورات كلية الآداب

، تونس، ط ١، ص ٤٨٣

الانغلاق.⁽¹⁾ وقد ذهب البستاني في نقده للنصوص الأدبية نحو التركيز على تحليل النصوص تحليلاً شمولياً بمعنى أنه لا يحسن الاكتفاء بتناول جزء أو أكثر من العمل الأدبي، كتناول المعنى مثلاً أو الصورة أو الأسلوب أو المجاز أو الألفاظ الخ، فالصحيح أن النص الأدبي يتكون من مجموع هذه العناصر لكن هذه العناصر بوجودها فيه فقدت طبيعتها السابقة، وأصبحت شيئاً جديداً يستمد قيمته الأدبية من النص بمجمله، وهاجس الناقد البنيوي هو البحث فيما يوحد هذه العناصر وما بينها من تناقض واختلاف، ويصهرها في الإطار الذي يمثله النصّ ولهذا فإن العناصر غير المتآزرة والمتناقضات التي يتكون منها النص تحتاج إلى محور ينتظمها، وهذا المحور هو هدف الناقد البنيوي، فبكشفه عنه يكون قد قطع شوطاً كبيراً نحو تحقيق الهدف النقدي، ومثل هذا الكشف يتعدّر تحقيقه باستعمال وسائل مستعارة من حقل بنيوي آخر، فالتحليل البنيوي تحليل ينبثق من النص نفسه والسبيل إلى ذلك أن يتأمل الناقد عناصر النص وطرق أدائها لوظائفها وعلاقات بعضها ببعض دون أن يتجاوز حدود النص إلى أي موقع آخر، وهذا يذكرنا إلى أن البستاني لا يؤمن بالتفريق بين الشكل والمضمون، أي ما ذهب إليه النقاد الجدد .⁽²⁾

والجدير بالذكر: إنّ البستاني لم يكن وحده من درس بنية النص، (النص القرآني) ، بل هناك جهود كبيرة توجهت إلى ذلك منها تجربة النقاد في العصر الحديث، ومن هؤلاء

(1) ينظر: البنيوية، جان بياجيه، ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري، دار عويدات، بيروت وباريس، ط ٢، ١٩٨٠م،

(2) ينظر: النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكير، ص ٩٧

الأستاذ (محمد عزة دروزه) صاحب التفسير الحديث الذي رتبته على أساس تاريخ النزول، فعَدَّ الفهم الأمثل للقرآن يستند إلى ملاحظة السياق والتناسب والترابط بين الفصول والمجموعات القرآنية ؛ لأن أخذ القرآن آية آية أو عبارة عبارة أو كلمة كلمة، يؤدي إلى التشويش على صحة التفهم والتدبر والاحاطة، أو على حقيقة ومدى الهدف القرآني .⁽¹⁾ وفي عام ١٩٦٠ نشر الأستاذ (محمد المبارك) دراسة أدبية لنصوص القرآن تحت عنوان (من منهل الأدب الخالد) تضمنت طريقته في التفسير الأدبي لبعض السور القرآنية من خلال النظرة الشاملة التي تنظم الآيات كلها، من دون الاكتفاء بدراسة الآيات منفصلة ؛ لأن النظر إلى الآيات بمجموعها يقودنا إلى استخلاص الخصائص والسمات الفكرية والفنية المشتركة في مختلف الآيات التي لا تتبدى إلا بالتناول الكلي للسورة، فالتناول الكلي يضيء لنا الفكرة العامة للسورة، ويوضح ما تضمنته من أفكار، ويكشف ما بين هذه الأفكار من صلة ويربطها بما تضمنه القرآن من مفاهيم وأفكار .⁽²⁾ وقبل التطرق إلى تمثلات مرجعيته التطبيقية في النص القرآني هناك مسألة بالغة الأهمية في النقد البنيوي وهي موت المؤلف إذ يتبادر للقارئ كيف يمكن دراسة النص القرآني وهناك قضية من قضايا البنيوية هي موت المؤلف أي إن البستاني هل عُنِيَ بمؤلف النص ام ماذا؟

يجيب البستاني على هذا التساؤل الهام بقوله: بأن النص المقدس كالقرآن الكريم أو السنة الشريفة، سيكون (ملغى) بطبيعة الحال؛ لأن الله تعالى (منزه) عن الحدوث، وإن النبي صلى

(1) ينظر: القرآن المجيد، محمد عزة، المكتبة العصرية، بيروت، د.ت، ص ١٩٩-٢٠٤

(2) مجلة المعرفة، من منهل الادب الخالد، محمد المبارك، دار الفكر، بيروت، ١٩٦٤م، العدد ٣٠، ص ٦-٨

الله عليه وآله وسلم وأهل بيته عليهم السلام تحجزنا (عصمتهم) إذ هذه الإجابة تتدرج في

جميع تطبيقاته النقدية إذ لا يمكن إن يربط بين النص ومبدعه .⁽¹⁾

استهل البستاني تفسيره البنائي في دراسة النصوص القرآنية بسورة الفاتحة وبغض النظر عن

البسمة اي لم تعد جزءاً من السورة ، ولتتمس هذه المرجعية في كتاب الدكتور محمود

البستاني (التفسير البنائي في القرآن الكريم) على نحو ما جاء في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ

﴿الحمد او الثناء او الشكر وهذه عملية التقويم غير المؤلف لذلك يتجه إلى قوله

تعالى: ﴿الله رب العالمين﴾، وسمة ﴿رب العالمين﴾ وهذه لا تحتاج الى تعقيب لأنها تلخص

لنا الدلالة الزاهية إلى إن التقويم هو المسيطر على الكون كله ، وهو رب لكل المخلوقات

، اما سمة ﴿الرحمن الرحيم﴾ فتفرض ضرورتها، لبداية القوة او الهيمنة فاكتسبت الإيجابية

بقدر ما تقترن بالخير، لذلك ارتبطت عبارتا الرحمن والرحيم بمفهوم الخير بمستوياته غير

المحدودة، فالاولى تعني الرحمة لكل المخلوقات والثانية خاصة بالمؤمنين اما قوله تعالى

﴿مالك يوم الدين﴾ هنا تكمن السمة العضوية بين الهيمنة والرحمة وبين مالكية يوم الدين

من خلال تداعي الذهن إلى ما يعنيه (اليوم الآخر) من كونه امتداداً لليوم الدنيوي، لذلك

صفة العالمين وأقرانها بالرحمة استهدف عدم فصلها عن التجربة العبادية وما يترتب عليها

من نتائج، اما يوم الدين يتداعي الذهن من خلالها إلى مضمون التجربة او الاختبار العبادي

القائم على دلالة دينية فتكون هذه العبارة مجانسة لما تقدمها ، وبهذا ليس تعبيراً مجرداً لا

(1) ينظر: مجلة قضايا إسلامية معاصرة، التفسير البنائي، حوار مع البستاني، بيروت ، العدد الرابع، ١٩٩٨م، ص ٥٥

يتحدث عن الحقائق بلغة محاكية لما هو واقع بل بلغة تعتمد النشاط الذهني للإنسان ومحاولة جعله يسهم في اكتشاف الحقائق اي ما يسمى بعملية التذوق الفني ،اما قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ الرابط العضوي بين القسم الأول من السورة والقسم الثاني من السورة مؤكداً لمفهوم العبادة وممهداً لتفصيل لاحق وهو القسم الثالث من السورة وهو ﴿إياك نستعين﴾ ليربط بين تجربة العبادة وبين عدم انفصام ذلك عن الاستعانة بالله تعالى في تمرير التجربة المذكورة واجتيازها بنجاح سواء الامور المادية أو المعنوية ،وليمهد ثانياً بدلالة مفصلة لاحد مصاديق الاستعانة وهي ﴿اهدنا الصراط المستقيم﴾، لذلك فالتقديم في الآية الكريمة ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ ليس مجرد لفت النظر وإنما ليشير بعمارة السورة القرآنية وهذا ما يرتبط بما سبقه من القسم الأول من السورة وهو الثناء والحمد والشكر المهيمن على الكون ،فجاء تقديم إياك متناسباً مع تقديم الحمد لله اما عند الرجوع الى اهدنا الصراط المستقيم وما بعدها من الآيات فالنص القرآني يرشحها بعدة دلالات حسب تجربة المتذوق ،فالنص انتخب الهداية والطريق بالنحو المستقيم رمزاً للهدى العبادي ،والاستعانة تتجسد بحركة الإنسان ،فالإنسان يتحرك من خلال الطريق وهذا الطريق قد يكون مظلماً ،أو شائكاً الخ.(1)

؛ لذلك يحتاج إلى ما يهديه إلى الطريق غير المنحرف، فالاستقامة تقوده إلى المكان المقصود من دون متاعب إذن هذه الصورة ترتبط عضوياً بما تقدمها من الآيات المشيرة إلى

(1) ينظر: التفسير البنائي في القرآن الكريم، ج ١، ص ١٣-٢٢

العبادة إياك نعبد والاستعانة وإياك نستعين، فتكون (الاستعانة بالله تعالى في ممارسة العمل (العبادي) هي الهداية إلى الصراط المستقيم، وترتبط في جانب آخر - بما تلحقها من الدلالات الكثيرة إلى غير المغضوب عليهم ولا الضالين. (1)

ويبدأ البستاني أيضاً بدراسة سورة الانفطار قال الله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ عَلِمْتَ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالذِّينِ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ الذِّينِ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الذِّينِ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ. (2)

هذه السورة الكريمة، تنتظمها عمارة قائمة على جملة من الموضوعات المختلفة، حيث يربط فيما بينها خيطٌ فكري تلتقي عنده هذه الموضوعات ، " لقد تضمنت السورة (بداية) تتحدث عن قيام الساعة، وتضمنت (نهاية) تتحدث عن أهوال الساعة، وما يترتب عليها من مصير إلى النعيم أو الجحيم، مع التأكيد على إن حسم الأمور يومئذ لله تعالى وحده، من دون أن يستطيع أحد مساعدة الآخر في تقرير مصيره ؛ لذلك أن مقدمة أو بداية السورة، ألفت النظر إلى أنه عند قيام الساعة سوف تعلم النفس بما قدمت أو أخرت من الطاعات، وأن نهاية السورة، ألفت النظر إلى أن لا تملك نفسٌ لنفسٍ شيئاً والأمر يومئذ لله ... فالرابطة

(1) ينظر: التفسير البنائي في القرآن الكريم، ص ١٣-٢٢

(2) سورة الانفطار

العضوية بين (البداية) التي حصرت الأمر في تقديم النفس للطاعات، وبين (النهاية) التي حصرت الأمر في عدم استطاعة النفس مساعدة نفس أخرى، هذه الرابطة العضوية بين (البداية) و (النهاية)، تطلُّ من الوضوح بمكان كبير، إذن، أمكننا ملاحظة الصلة بين مقدمة السورة وخاتمتها، حيث انحصر موضوعهما في قيام الساعة وما يترتب عليها من المصائر ، أما (وسط) السورة الكريمة، فقد طرحت موضوعات مرتبطة بمقدمة السورة وخاتمتها، والموضوعات هي:

- ١ - غرور الإنسان بربه الكريم الذي خلق الإنسان على وفق تركيبية جسمية مستوية .
- ٢ - تكذيب الإنسان باليوم الآخر، أو بمبادئ رسالة الإسلام
- ٣ - غفلة الإنسان عن ملاحظة وجود الكتبة الذين يسجلون عليه أعماله".⁽¹⁾ هذه الموضوعات الثلاثة، صيغت على وفق تخطيط يرتبط عضوياً به السورة وخاتمتها ... لقد لفتت النظر إلى أنّ أفعال الإنسان خاضعة للكتبة الذين يرصدون تلكم الأفعال، حيث تترتب عليها مصائر الناس في اليوم الآخر، ولفت النظر إلى تكذيب الناس باليوم الآخر، أو بمبادئ الإسلام مثلما لفت النظر إلى غرور هؤلاء الناس بكرم الله تعالى، متعاملين عن الانعكاسات المترتبة على هذا الغرور وعلى هذا التكذيب : عند قيام الساعة وحسمها للمصائر التي ينتهون إليها، يلاحظ البستاني كيف أن الموضوعات جميعاً ، قد التحمت عضوياً في خيط فكريّ موحد هو : قضايا اليوم الآخر ، لكن، ينبغي ألا نغفل عن ملاحظة

(1)التفسير البنائي، ج ٥، ص ٢٩٦

موضوع خاص هو : أن السورة الكريمة ربطت بين غرور الإنسان بربه، وبين إبداع الله تعالى لخلق الإنسان يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ، فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ، أن هذا الموضوع الخاص بتركيبية الإنسان الجسمية، قد يبدو وكأنه بمنأى عن موضوعات قيام الساعة وقضاياها، لذلك يرى البستاني النص الأدبي حينما يستهدف لفت النظر إلى قضية خطيرة، حينئذ يدرجها - وفق أسلوب غير مباشر - في سياق الموضوعات الرئيسية، وهذا ما تمثل في طرح السورة لقضية خلق الإنسان، حيث ربطت بين غرور الإنسان بربه الكريم الذي خَلَقَهُ على وفق تركيبية سوية، ربطت بين غرور الإنسان وبين تركيبته التي ينبغي أن يثمن قيمتها (ومنها : قدرته على الإدراك مثلاً)، حيث ينبغي أن يستثمر ذلك في شكره الله تعالى لا في غروره وتمرده وكفرانه الله تعالى، جاء طرح النص لهذا الموضوع الخاص مرتبطاً عضوياً بالموضوع الرئيس الذي تحوم عليه السورة الكريمة (موضوع: قيام الساعة وقضاياها) مما يكشف مثل هذا الطرح عن مدى الإحكام الهندسي للسورة الكريمة. (1)

تستنتج الباحثة مما تقدم ذكره: في هذا المبحث بأن المرجعية البنيوية هي الأكثر تركيزاً لدى البستاني في مؤلفاته القرآنية، لكن البستاني بعث في النص الأدبي الروح فلم يركز على بنية النص وحدها، أي اتجه إلى قدرة هذه البنية إلى بنية أوسع منها في الإجراء النقدي وهي التي تتمثل بالبنيات الاجتماعية والنفسية والتاريخية الخ.

(1) ينظر: التفسير البنائي في القرآن الكريم، ج ٥، ص ٢٩٦

وخلاصة ما نختم به مرجعية البستاني النقدية يمكن القول: إنّ مجموعة من القضايا المتصلة بالمرجعية النقدية هي عينة المرجعية وهي قضية المنهج والمصطلح وعلاقتها بالمرجعية النقدية للبستاني، كون المناهج النقدية متعددة الجوانب والقضايا والاستعمالات، إلا إن البستاني استطاع إن يدرس النص القرآني دراسة مبنية على نسبة المرجعية اي إن البستاني لم يتطرق إلى النص القرآني على وفق ما تتقف به من رؤى نقدية تمكنه من الخوض في مسائل القرآن الكريم المهمة في العصر الحديث فحسب، وإنما حاول أن يضفي على دراسة جانب الرؤى الإسلامية، فالبستاني لم يكن شأنه شأن النقاد (المنحرفين) الذين طبعوا أفكارهم بأفكار لا يمكن ان تخدم الرسالة الإلهية كونها غير مجانية للصواب، فالبستاني تعامل مع النص القرآني من خلال السياق ومن خلال النص نفسه من دون أن يمسّ بقدسية القرآن الكريم والسنة الشريفة، كما تفيد الباحثة من خلال دراستها لهذا الفصل بأن الناقد الأدبي لا يمكن إن ينقد العمل الادبي من فراغ إذ لابد ان تكون له مرجعيته النقدية التي تمكنه من الخوض في النصوص الأدبية، وخاصة النص القرآني كونه نص كثرت الدراسات حوله قديماً وحديثاً، وتود الباحثة الإشارة إلى شي بالغ الأهمية وهو توظيف المصطلح النقدي وتطبيقه في بعض النصوص القرآنية بغية توضيح جمالية النص القرآني وإعجازه

الخاتمة

أ-نتائج الدراسة

من خلال دراسة مرجعية البستاني النقدية وأثرها في دراساته القرآنية يتبين للباحثة جملة من النتائج، وهي كالآتي:

- عاش البستاني حياة مضطربة؛ بسبب وضعه الاجتماعي والثقافي، وقد أمدته هذه التجربة بالغنى الفكري والقوة والصلابة النفسية، كما اثبتت سيرته الشخصية وفاءه وحبه للأكاديمية الأولى التي شكلت منطلقاً لسيرته العلمية الطويلة وأثبتت حب الناس لشخصيته العلمية والأكاديمية المخلصة للمعرفة للحقة.
- أفاد البستاني من خلال اطلاعه على الثقافات المختلفة منها العربية والغربية والفارسية، إذ امتزجت هذه الثقافات في تكوينه الثقافي من خلال إسهامها في تأسيس رؤية علمية تخلق فهماً جديداً للحياة الإنسانية، مما نتج عن تلك الثقافة إنجازات معرفية بلورت وعيه النقدي ووجهته توجيهها سليماً.
- امتزاج الرؤى النقدية خصب رؤية البستاني وأمدتها باتساع الأفق وانفتاح المرجعية النقدية، وهما أمران لا مندوحة عنهما لتأسيس كل رؤية نقدية متفاعلة وطامحة إلى تجديد القناعات النظرية والمواقف والمعالجات النقدية في المشهد الثقافي الذي ينتمي له الناقد الأدبي.
- كان للبستاني وجهة نظره، واختياره، وقراءته الخاصة التي انماز بها كمال منهجه وآلياته في فهم الظواهر والمدونات والأفكار بتصور معرفي، ويقراً ذلك بعمق وإمعان،

كذلك يناقش العوائق الثقافية والمعرفية التي تعيق التواصل مع الجمهور ويرى لابد من مواجهتها بتغيير الأفكار بالحجة والمنطق والاقناع وصولاً إلى اليقين، لكي يحصل التواصل المعرفي.

- المعرفة الحقيقية لا تقوم بالتوازي مع المعرفة الخاطئة بل تقوم على انقاضها على وفق تعبير (باشلار) وهذه واحدة من مرجعيات البستاني الأساسية في نظرية قراءة التراث بمفهوم العصر وآلياته المنهجية والمعرفية المتطورة، كما أنه ركز على قراءة التراث المتصل بالتاريخ الإسلامي قراءة موضوعية واعية، ولاسيما أنه قرأ التراث العربي الإسلامي بالآليات والأدوات المنهجية التي أنجزتها فلسفة العلوم الحديثة.
- كشف البحث عن محاولة جادة في تأسيس نظرية نقدية إسلامية أصيلة غير خاضعة للمقولات النقدية الغربية المخالفة للتعاليم الإسلامية .
- تعدُّ تجربة البستاني غنية من خلال المنهج النقدي الذي هو الأصل في دراساته عبر حرصه في الاعتماد عليه، أو من حيث مرجعياته المؤصلة، والتي ارتكزت على محورين مهمين هما: الحداثي والتراثي، فلم يتعامل مع المناهج الغربية بآلية، بل كان يطعمها بذوق عربي إسلامي، وقد كان له الفضل الكبير في استيعاب المناهج الحداثية برؤية علمية واضحة تستند على المبادئ الإسلامية وتتكى على الجديد.
- شكّل استعمال المصطلح النقدي أهمية واضحة في دراسات البستاني القرآنية؛ لكونه يُوَظِرُّ رؤيته بمساحة من الانفتاح بين التراث والمعاصرة، إذ عبرت عن رؤيته التراثية

والحدائثة، كما أنّ هذا التوظيف المصطلحي خدم رؤيته الأصيلة وأمدّها بذخيرة

معرفية توازي ما تعلمه من منهجيات حديثة في أوروبا.

• إن الدكتور محمود البستاني كان على حذرٍ من استعمال المناهج النقدية واختياره

المنهج الملائم للنصوص الدينية، لذلك لم يقبل المناهج بكامل تفصيلاتها ولم يتبنَ

منهجًا بحد ذاته.

• حرص البستاني على اختيار مصطلحاته بعناية فائقة مفضلًا المصطلحات الأكثر

تداولًا والأنسب للقارئ العربي والأكثر ثباتًا ضمن معايير الاصطلاح المعرفي ليعيد

توظيفه في دراساته القرآنية.

• لم يكن مسار البستاني محاكاة للفكر الغربي، بل اجتهد من أجل الإفادة من آراء

ونظريات النقد الغربي التي حاول تكييفها بما يتوافق مع الواقع العربي ومعطياته

الاسلامية والقرآنية.

• ظهرت مرجعية البستاني في محتوى دراساته القرآنية؛ لكونها مرجعية مختلطة مما

يمكن القول بأن البستاني لا يمكن أن يضع دراسة قرآنية بطريقة نقدية واحدة لذلك

فهي مزيج متعدد.

• المصطلح والمنهج والمفهوم، لهم الدور البارز في تحديد الخلفية الثقافية التي استند

إليها البستاني في وضع هذه الأساسيات النقدية؛ لكونها تنطلق من أفكار معينة، قد

بثها الناقد في دراساته القرآنية .

- مرجعية البستاني هي مرجعية نسبية وليست مطلقة؛ لكون البستاني ابتعد عن النظريات التي لا تمت إلى الإسلام بصلة بتحفظ شديد؛ لأن النص القرآني لا يتجاوب بعضه مع النظريات النقدية.
- كشف البحث عن معرفة البستاني بالعلوم الإنسانية، لكون النقد الأدبي له صلة وثيقة بهذه العلوم، تمثلت عند البستاني اثناء تحليله لسياق النص القرآني، وهذا ما جعل المرجعية السياقية ظاهرة للقارئ.
- حرص البستاني على اعتماد النص القرآني كمصدر اساس للفهم والتفسير من خلال تركيزه على السياق الداخلي وتحليل البنية اللغوية والبلاغية وربط الآيات في إطار وحدة موضوعية متماسكة، معتمداً منهجاً تحليلياً ونصياً يجعل من النص مرجعيته الأولى والأخيرة، ساعياً إلى استخراج المعنى من داخل النص لأمن خارجه، وهذا ما جعل المرجعية النصية ذات البعد البنيوي واضحة في دراساته القرآنية .

ب-توصيات الدراسة

- بناءً على ما جاءت به هذه الدراسة من النتائج يمكن تقديم بعض التوصيات الآتية:
- إنشاء دراسات مقارنة بين منهج البستانيّ ونقاد معاصرين مثل نصر حامد ابو زيد او الطاهر بن عاشور
 - إدخال مادة "المرجعية النقدية في التفسير المعاصر" ضمن مقررات كليات العلوم الإسلامية

- استثمار الباحثين مفهوم "النص المعصوم" في دراسة الأدب الإسلامي

ت - حدود الدراسة

اقتصرت هذه الدراسة على المرجعية السياقية والنصية للبستاني ولم تتناول مرجعيات أخرى لها وجود في مؤلفاته، وذلك لضيق الوقت ولمتطلبات هذه الدراسة

ث - الآفاق المستقبلية

- دراسة مقارنة بين المرجعية النصية للبستاني وعند نقاد غربيين مثل (رولان بارت، جيران....)
- البحث في تطبيقات المرجعية النقدية للبستاني على الشعر المعاصر أو الرواية

المصادر والمراجع

أولاً/

القرآن الكريم

1-الأدب الإسلامي المفهوم والقضية ، علي صبح ، عبد العزيز شرف ،محمد عبد المنعم خفاجي ، دار الجبل ،بيروت ط١، ١٩٩٢م.

2-أدب الشريعة الإسلامية ،محمود البستاني ،مؤسسة السبطين (عليهم السلام)العالمية، ايران ،قم ،ط١، 2003م

3-أدب فاطمة الزهراء (ع)، محمود البستاني ، دار الحسنين ،إيران ،قم ، ٢٠٠٣م

4-الإسلام بين الأمس والغد ،محمد أركون ،لوي غارديه ،ترجمة علي المقلد ،دار التنوير ،دار الفارابي ،ط١،بيروت،٢٠٠٦م

5-الاسلام والادب، محمود البستاني ،محمود البستاني، المكتبة الأدبية المختصة ،ايران ،قم ،ط١، 2001

6-الإسلام وعلم الاجتماع ،محمود البستاني ،مجمع البحوث الإسلامية ،لبنان،بيروت،ط١، 1994م

7- الإسلام وعلم النفس ، محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ،مشهد ،ايران ، ط١، ١٩٨٨م

8-الإسلام والفن ،محمود البستاني،محمود البستاني،مجمع البحوث الإسلامية ،لبنان،بيروت،ط١، ١٩٩٢م

9- أصول النقد الأدبي ، احمد الشايب ،مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ط ١٠ ، ١٩٩٤م

10-الإعجاز القرآني وآلية التفكير النقدي عند العرب وبحوث أخرى ،علي مهدي زيتون ،

دار الفارابي ،لبنان ،بيروت ،ط١ ، ٢٠١١م

11-أعلام العراق في القرن العشرين :حميد المطبعي ، وزارة الثقافة والإعلام -دار الشؤون

الثقافية ،بغداد،ط١،ج٢، ١٩٩٦م

12- الافضليات الصيرفي ، تحقيق وليد قصاب وعبد العزيز المانع ، مطبوعات مجمع

اللغة العربية ، دمشق ، ١٩٨٢م

13- أفق الخطاب النقدي ،دراسات نظرية وقرءات تطبيقية ، صبري حافظ، دار شرقيات

للنشر والتوزيع ،القاهرة ،ط١ ، ١٩٩٦م ،

14-الإلتزام في التصور الإسلامي ، محمد رأفت سعيد،دار الهداية للطباعة والنشر والتوزيع

،مصر ، ط١ ، ١٩٨٧م

15-البعد النقدي ،قرءات في الادب والفكر ، رمضان سليم ، الدار الجماهيرية للنشر

والتوزيع والإعلان ،طرابلس ، ١٩٨٧م ،

16- البنيوية ،جان بياجيه،ترجمة عارف منيمنة وبشير أوبري،دار عويدات،بيروت

وباريس،ط٢ ، ١٩٨٠م ،

17-تاريخ الأدب العربي - العصر الإسلامي -، شوقي ضيف ، دار المعارف ،مصر ،

ج٢ ، ط٧ ، د٤ت

18-تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي ،محمود البستاني ،مجمع البحوث

الإسلامية ،بيروت،لبنان ،١٩٩٠م

19-التفسير البنائي للقرآن الكريم ،محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ، إيران ،

مشهد ، ج١، ط١، ٢٠٠٠م

20- التفكير البلاغي عند العرب ،أسسه وتطوره إلى القرن السادس ،حمادي صمود

،منشورات كلية الآداب ،تونس،ط١

21-التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ،بدوي طبانة ، دار المريخ ، الرياض،ط١، ١٩٨٦م

22-الحداثة حدثتنا الشعرية مفهومها وإشكالاتها محمد اسماعيل دندي دار معد للطباعة

والنشر والتوزيع، سوريا، دمشق ط ٢، ٢٠٠٧م

23- الحيوان ،الجاحظ ، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون ،ط٢، ج١، ١٩٦٥م

24- خمسة مداخل إلى النقد الأدبي ، تصنيف ويلبريس ، سكوت ، ترجمة وتقديم وتعليق

،عناد غزوان إسماعيل ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ،

١٩٨١

25-دراسات فنية في صور القرآن الكريم ،محمود البستاني ،مجمع البحوث الإسلامية ،

إيران ،مشهد ،ط١، ٢٠٠٠م

26- دراسات فنية في قصص القرآن الكريم ،محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية

،ايران ،مشهد ،مؤسسة طبع ونشر في الاستانة الرضوية ،ط١، ١٩٨٧م

27- دراسات في علم النفس الإسلامي ، محمود البستاني ، دار البلاغة ، بيروت ، مج ١ ،
ط١ ، ١٩٨٨م

28- دراسات في علوم القرآن ، محمود البستاني ، مدينة العلم ، مطبعة البقيع ، إيران ، قم ،
ط١ ، ٢٠٠٧م

29- دراسات في النقد الأدبي العربي المعاصر ، محمد زكي العشماوي ، دار الشروق
، مصر ، القاهرة ، ط١ ، ١٩٩٤م

30- الدكتور محمود البستاني مفكراً إسلامياً، اضاءات نقدية في ضوء اسلمة العلوم الإنسانية
:الشيخ محمد الساعدي ، مطبعة امير ، ط١ ، ٢٠٠٠م

31- الشعر العراقي مرحلة وتطور ، د.جلال الخياط ، دار الرائد العربي ، لبنان ، بيروت ،
ط٢ ، ١٩٨٧م

32- الشعر عند رواد الشعر العربي الحر ، فاتح علاق ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ،
دمشق ، سوريا ، ٢٠٠٥

33- الشعر والتجربة ، أرشيبالد مكليش ، ترجمة سلمى الخضراء الجيوسي ، دار اليقظة العربية
للتأليف والنشر والتوزيع ، بيروت ، نيويورك ، ١٩٦٣م

34- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، قراءة وشرح ابو فهر محمود محمد
شاکر ، دار المدني ، جدة ، ١ / ٢٤

35- علم الاجتماع في ضوء المنهج الإسلامي ، محمود البستاني ، محدث ، ايران ، قم ، ط ١ ، ٢٠٠٢م

36- فائدة الشعر وفائدة النقد ، أليوت ، ترجمة يوسف نور عوض ، دار القلم ، بيروت ، لبنان ، ط ١ ، ١٩٨٢م

37- فلسطين في الشعر النجفي المعاصر ، محمد حسين الصغير ، سلسلة القضايا العربية في الشعر النجفي المعاصر ، ساعدت على نشره كلية أصول الدين ببغداد ، ط ١ ، ١٩٩٨م

38- في معرفة النص ، يمني العيد ، دار الآفاق الجديدة ، لبنان ، بيروت ، ط ٣ ، ١٩٨٥م

39- في النظرية النقدية ، محمود البستاني ، وزارة الإعلام ، مديرية الإعلام العامة ، بغداد ، ط ١ ، ص ١٩٧١م

40- في النقد الأدبي الحديث ، منطلقات وتطبيقات ، فائق مصطفى ، عبد الرضا علي ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر بجامعة الموصل ، العراق ، ط ١ ، ١٩٨٩م

41_ في النقد الأدبي ، شوقي ضيف ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دارالمعارف ، القاهرة ، د.ت

42- في النقد الأدبي ، صلاح فضل ، من منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠٠٧م

43- القرآن المجيد ، محمد عزة ، المكتبة العصرية ، بيروت ، د.ت

44- قصص القرآن الكريم دلاليًا وجماليًا ، محمود البستاني ، مؤسسة السبطين (ع) العالمية ، ايران ، قم ، ط ١ ، ج ١ ، 2004م

45-قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث ،د.محمد زكي العشماوي،دار النهضة العربية للطباعة والنشر،بيروت ،١٩٧٩م،

46-قضايا النقد الأدبي ،بدوي طبانة ،دار المريخ للنشر ،السعودية ، الرياض ، ١٩٨٤م

47- قضايا النقد الحديث ،محمد صايل ،حمدان،دار الأمل للنشر والتوزيع ،أربد ،الأردن ،١، ١٩٩١م

48-القواعد البلاغية في ضوء المنهج الإسلامي ،محمود البستاني ، مجمع البحوث الإسلامية ، ايران مشهد، طاء ١٩٩٣م ، ص ١٣ و ١٤

49-كولوردج، محمد مصطفى بدوي ، دار المعارف ،القاهرة الطبعة الثانية،١٩٨٨م

50-ماالأدب ، چان پول سارتر، ترجمة محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة

51- مئة عام من الفكر النقدي ،سعيد الغانمي، دار المدى ، دمشق ،١، ٢٠٠١م

52- محاضرات في علوم القرآن الكريم ،محمود البستاني ،مؤسسة البلاغ ،لبنان،بيروت،١، 2013م

53- مدخل الى مناهج النقد الأدبي المعاصر مع ملحق المصطلحات الأدبية ، سمير حجازي ، دار التوفيق للطباعة والنشر والتوزيع ، سورية ،١، ٢٠٠٤م

54-مداخل النقد الأدبي الحديث، محمد حسن عبد الله ، الدار المصرية السعودية ، مصر ،القاهرة ،١، ٢٠٠٥م

55- مستدرك شعراء الغري ،كاظم عبود الفتلاوي ، دار الاضواء والنشر والتوزيع ، بيروت ،
لبنان ، ط ١ ، ج ٣ ، ٢٠٠٢م

56- المصطلح النقدي في نقد الشعر لقدامة بن جعفر ، أديس الناقوري ، طبع وتوزيع دار
النشر المغربية ، ط ١ ، ١٩٨٢م

57- المعجم الادبي ،نواف نصار، دار ورد للنشر و التوزيع ، الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٧م

58- معجم المصطلحات الأدبية، ابراهيم فتحي، التعااضي العمالية للطباعة
والنشر، الجمهورية التونسية، ط ١ ، ١٩٨٦م

59- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ،مجدي وهبة ،كامل المهندس ،مكتبة
لبنان ،لبنان ،بيروت ، ٢ ، ١٩٨٤م

60- مقدمة في النقد الأدبي ،علي جواد الطاهر، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت
،لبنان ، ط ١ ، ١٩٧٩م

61- المفاهيم واشكال التواصل ، تنسيق محمد مفتاح احمد بو حسن ، منشورات كلية الآداب
والعلوم الإنسانية ، الرباط ،المملكة المغربية ، ط ١ ، ٢٠٠١م

62- مقالات في النقد الأدبي ، ابراهيم حمادة ، مكتبة الدراسات الأدبية ، دار المعارف ،
القاهرة ، ط ١ ، ١٩٨٢م

63- مناهج النقد الأدبي الحديث ،رؤية إسلامية ، وليد قصاب ،دار الفكر ،دمشق ، ط ٢ ،
٢٠٠٩م

64- مناهج النقد الأدبي من البنية إلى الأسلوب ، جميل حمداوي ، بلال داوود ،المركز

المتوسطي للدراسات والابحاث ، المملكة المغربية ،طنجة ،ط١ ، ٢٠٢٢م

65-مناهج النقد المعاصر ، صلاح فضل ،ميريت للنشر والطبع ،مصر ،القاهرة ، ط١ ،

٢٠٠٢م

66-المناهج النقدية الحديثة ،اسئلة ومقاربات ،صالح هويدي ، دار نينوى ، سورية ،دمشق

، ط١ ، ٢٠١٥م

67- مناهج النقد الحديثة ، الرؤيا والواقع ، زهران محمد جبر ، دار الأرقم للطباعة والنشر

والتوزيع ، جامعة الأزهر ، ط١ ، ١٩٨٩م

68- المنتخب من أعلام الفكر والأدب ، كاظم عبود الفتلاوي ، مؤسسة المواهب للطباعة

والنشر ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ١٩٩٩م

69-المنهج البنائي في التفسير ،محمود البستاني ، دار الهادي للطباعة ، بيروت ، ط١ ،

٢٠٠١م

70-موسوعة كمبريدج في النقد الأدبي،القرن العشرون، المداخل التاريخية والفلسفية

والنفسية،ترجمة إسماعيل عبد الغني / منى عبد الوهاب /هاني حلمي /دعاء إمبابي/ محمد

هشام، مراجعة وإشراف رضوى عاشور، تحرير ك. تلووف. ك. نوريس. ج.

أوزبورن،المشرف العام : جابر عصفور، المجلس الأعلى للثقافة ، القاهرة ، ط١ ، ٢٠٠٥م

- 71- موسوعة النجف الأشرف ، شعراء النجف في القرن الخامس عشر ، جمع جعفر الدجيلي ، بقلم عبد الله الخاقاني ، دار الأضواء ، بيروت ، لبنان ، ج ٥٢ ، ط ١ ، ٢٠٠١م
- 72- نحو ثقافة مغايرة ، جابر عصفور ، الدار المصرية اللبنانية ، ط ١ ، ٢٠٠٨م
- 73- نظرية النقد الأدبي الحديث ، يوسف نور عوض ، الأمين للطبع والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٤م
- 74- نظرية الأدب ، رينيه وليك وآوستن وآرن ، تعريب الدكتور عادل سلامة ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، المملكة العربية السعودية ، ١٩٩٢م
- 75- النظرية النقدية عند العرب ، هند حسين طه ، دار الرشيد للنشر ، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨١م
- 76- النقد الأدبي الحديث ، منطلقات وتطبيقات ، فائق مصطفى ، عبد الرضا علي ، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، العراق ، ط ١ ، ١٩٨٩م
- 77- النقد الأدبي الحديث ، محمد غنيمي هلال ، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ط ١ ، ١٩٩٧م
- 78- نقد أدبي حديث ، مفاهيم ومصطلحات وأعلام ، حامد صادق قنبيبي ، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠١١م
- 79- النقد الأدبي الحديث من المحاكاة إلى التفكيك ، إبراهيم محمود خليل ، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ط ١ ، ٢٠٠٣م

80- النقد العربي الحديث ،ومدارس النقد الغربية ، محمد الناصر العجيمي ، محمد علي الحامي للنشر والتوزيع ، تونس ، ط ١ ، ١٩٩٨م

81- الوسيط ،مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة ، ط ٤ ، 2004م

ثانياً / الرسائل والاطاريح الجامعية

1- التراث في النقد الأدبي العربي الحديث ، رسالة مقدمة لنيل دكتوراه الدولة من قبل الطالب محمد الطيب القويدري إلى كلية الآداب واللغات ، جامعة الجزائر ، ٢٠٠١م،
٢٠٠٠

2- مرجعيات الجهود النقدية العراقية المعاصرة من (١٩٧٠_٢٠١٠م)، اطروحة دكتوراه أعدت من قبل الطالب ميثم حياوي الى جامعة الكوفة ،كلية الآداب ،تخصص اللغة العربية وآدابها بإشراف الدكتور حافظ كوزي ، ٢٠١٤م

3- المرجعية الثقافية في الخطاب الروائي في قطر، عفيفة منادي الكعبي ،رسالة قدمت كلية الآداب والعلوم ،للحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها ، جامعة قطر، بإشراف الدكتور عبد الحق بلعابد، ٢٠٢٠م

4- المنهج البنائي في التفسير ،تفسير البستاني نموذجًا، ابراهيم حسن حسن ،رسالة ماجستير في الدراسات الإسلامية ، الجامعة الإسلامية في لبنان ٢٠١٦م

5- نظرية التلقي وأجراءاتها التطبيقية في النقد العربي المعاصر ،مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تخصص النقد الأدبي المعاصر ،من قبل الطالب أسامة عميرات جامعة الخضرة في الجزائر ،كلية الآداب واللغات بإشراف الدكتور محمد زرمان ٢٠١٠ / ٢٠١١ م .

6- الوحدة العضوية عند العقاد ،حنان مخفي ،مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الليسانس ،قسم اللغة العربية وآدابها ،شعبة أدب عربي ،جامعة ابي بكر ،تلمسان ،الجزائر، بإشراف الاستاذ إسماء بلهبري ٢٠١٣ - ٢٠١٤ م.

ثالثاً / المجالات والدوريات

- 1-مجلة الآداب، رد على نقد ،لبنان ، بيروت ، العدد الثاني ،لسنة ١١ ، ١٩٦٣م
- 2-مجلة الأفلام ، النقد والسيره ، ١٩٧٠م العددان ١١ ، و ١٢
- 3-مجلة علامات في النقد ،مرجعيات التفكير النقدي العربي الحديث ،بشير إبيرير ، 1 سبتمبر 2003م، العدد: 49
- 4-مجلة قضايا إسلامية، منهج التعامل مع القرآن ،محمود البستاني ، العدد السادس ، ١٩٩٩م، التفسير البنائي ، محمود البستاني ، العدد الرابع ، ١٩٩٨م
- 5-مجلة الكلمة -مقال النقد بين القيم الفكرية والجمالية ،محمود البستاني ، العدد الثالث،السنة الثالثة ،شباط ، ١٩٧١م
- 6-مجلة الكلمة ، حوار مع الناقد جبرا إبراهيم جبرا ، العدد ١ ، مطبعة الساعة ، بغداد ، ١٩٧٣م السنة الرابعة

7-نور الاسلام ، العددان ، ٢١ ، ٢٢ ، ١٤١٢ هـ

8- مجلة المجمع العلمي العراقي ، الدكتور محمود البستاني قراءة في منجزه النقدي النظري

والتطبيقي ، علي كاظم اسد ، بغداد، ج٢، مج ٦٨ ، ٢٠٢١م

10-مجلة المعرفة، من منهل الادب الخالد، محمد المبارك، دار الفكر ،بيروت، ١٩٦٤م،

العدد ٣٠

رابعًا /المواقع الإلكترونية

1-پرتال جامع علوم ومعارف قرآن

<http://maarefquran.com>

2-الدكتور محمود البستاني أديبًا، د.زهير غازي زاهد

<http://www.azzamam.com>

3-سيرة طالب

<https://alghat.com/beta/archives/449546>

4-صديقي الأخلاقي المفسّر دكتور محمود البستاني، عبد الجبار الرفاعي ،

<https://www.almothaqaf.com>

5- الفهم المتجدد لآيات الكتاب المجيد في ضوء المنهج البنائي ،حوار مع الدكتور محمود

البستاني

<https://www.ruqayah.net/subject.php?id>

6- نبذة عن حياة المفكر الإسلامي الدكتور محمود البستاني ، مؤسسة السبطين (ع)

<https://www.sibtayn.com>

7- مكتب سماحة المرجع بشير النجفي (دام ظلّه) ينعى الدكتور محمود البستاني

والمؤسسات الفكرية والعلمية تؤبّنه وتستذكر دوره في التجديد الأدبي والفكري

<https://www.alnajafy.com>

Abstract

Abstract:

After tracing the Qur'anic studies of Al-Bustani in order to Determine his critical reference, raises a number of questions That this research attempts to answer: What is the concept of Critical reference? What are the representations of Dr. Mahmoud Al-Bustani's critical reference? What are the foundations that Made Al-Bustani a critic? Was this reference monotypic or Mixed? How does he understand his use of critical terms and Methodologies? Did his critical concepts apply in his Qur'anic Studies or did Al-Bustani deviate from them? It can be said that Al-Bustani, who made literary criticism his starting point at the Beginning of his intellectual activity, was able to establish a stable Vision that does not deny the past, nor does it shy away from The present by mastering other languages, through his exposure To modern critical methods in their original contexts, so that he Could have a balanced and moderate reference that directs him Correctly in his studies, which were primarily focused on the Qur'anic text and the sayings of the infallible (peace be upon Them) This study has attempted to present three chapters Answering the mentioned questions. The first chapter discusses Something of Al-Bustani's life and his cultural formation, Represented by his insights and opinions, as well as shedding light on his knowledge achievements to place the reader before This diverse and rich work. Meanwhile, the second chapter Focused on the general concepts that surrounded Al-Bustani's Critical discourse, as these concepts form an

Abstract:

important part of His thought, which constituted his critical reference. Due to the Significance of these concepts in determining the cognitive Frameworks that shaped this reference, we aimed in the final third Chapter to examine the most important manifestations that Appeared in his Quranic studies specifically through two main Axes. In the first, Al-Bustani focused on paying attention to the Context surrounding the text, and what influences this attention Is the guidance of the reference towards specific points that often Lie outside the texts. While the interest of the second of them Was represented in caring for the text itself, and what follows From this care in directing its specific epistemological references Towards the texts themselves to study their internal structures That constitute them, as manifested in the applied studies by Bustani specifically regarding the text of the Holy Quran. We Concluded this study with the most important results we reached In this regard, which are results that the studies that made Bustani's critical discourse their focus did not mention.



Ministry of Higher Education and Scientific Research

University of Karbala

College of Islamic Sciences

Department of Arabic Language

The Critical Reference of Dr.

Mahmoud Al-Bustan.

A Reading of His Qur'anic Studies –

A thesis submitted to the Council of the College of Islamic Sciences
Department of Arabic Language, which is part of the requirements for
Obtaining a Master's degree In the Language and Literature of the
Qur'an

Written by

The student Khetam Raheem

Under supervision

Dr.Ali Mohammed

1447AH

2025 AD